**الإنسان**

**فطره أم حضارة ؟**

**وما الطريق للوصول بالحضاره الانسانيه الى مدها؟**

**المقدمة**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**هذا مبحث** شامل في الانسان، ماهيته وتكوينه، وسر وجوده، وأسرار اغواره النفسية ولتكوينه الخلقي والخلقي، ما حقيقته؟ وما سر وجوده؟ وما سر تكوينه؟ ومما يتكون؟ وهل هو جسد بعقل! يستقبل مما حوله ويحلل الغازها، كما ظن ويظن كثير من فلاسفة وعلماء العالم الغربي غير المسلم، أم هو خلق خاص خلقه الله وأنزله على هذه الارض وسيده عليها وسخر له ما فيها وما عليها، وجعل فيه فطرة خاصه به تميزه عما حوله؟ أم هو خلق اوجدته الصدفة وكونته وشكلته الظروف المحيط به كما ظن دارون ومن أمن بنظريته؟

لقد حاولنا التعمق في هذا المبحث وناقشنا فيه افكار ومعتقدات المفكرين والفلاسفة من كل أمم الارض، وناقشنا ما توصلوا اليه، وردينا على معتقداتهم وافكارهم بما نعتقد ونؤمن به نحن كمسلمين، ثم طرحنا حصيلة افكارهم ونظرياتهم التي طبقوها على حياتهم وما ألت اليه من مألات، ثم قارنا ذلك بما نعتقد انه هو الاصح والصواب من الافكار والمعتقدات، ودعمن ذلك بشهادة من التاريخ والواقع. ثم عرجنا الى الامراض التي اصابة وتصيب مجتمعاتنا وناقشا الحلول الانجع والاصح في حلها والوصول بالإنسانية والانسان الى بر الامن والامان والعيش بسلام، وكيفية الوصول الى العدالة الاجتماعية التي يصبوا اليها كل منصف يريد للحق ان يحق وينتصف. ومن خلال ذلك بينا حقيقة الصراع المفتعل القائم بين الامم المسمى ب "صراع الحضارات" وبينا حقيقته وحقيقة مألتاه، وما تصبوا اليه القوى الداعمة لهذا التوجه وبين مقدار سطوتها وامكانيتها في فرض ما تصبوا اليه، مما تطرحه من مصطلحات وأفكار غريبه وشاذه عن الفطرة وعن متوارث الفكر الانساني وتطوره الطبيعي المنسجم مع فطرته وتكوينه، ومما تبثه تلك القوى الداعمة من اشاعة ودعوات شاذه تنافي المراد من وجود الإنسان على هذه الارض وتربك مفهوم علاقته بما حوله من بني جنسه اومن المخلوقات والمكونات الاخرى التي حوله. ثم عرجنا الى تلك الفلسفات والنظريات التي تريد من الانسان أن يكون كألة ماكنه حديديه ليس لها مشاعر وتطلعات ,تستخدم لأغراض ومنافع تلك الفئه التي تريد الهيمنة على العالم ومقدراته وثرواته من خلال بث تلك النظريات النفعية الانيه التي تجعل الانسان لا ينطر إلا تحت قدميه , ولا يرفع رأسه ليرى حقيقة هذا العالم., وبيّن كيف تعمل تلك الافكار الهدامة الى تفريغ الانسان من إنسانيته وتقطع اي علاقة له بالدين او اي معتقد روحاني , او اي متعلق حضاري إستورثه من الاجداد , او ايمان بالغيب او بأي شيء غير مادي ملموس , ولا بأي مرجعيه يرتكز عليها في حياته , لتجعل منه الة لا تتأثر إلا بما يلامسها من المحسوسات الانيه القريبة , لقد اغرقته في نظريات تفكيكيه وتشكيكيه وعبثيه وانفصاليه عن الواقع وعن الخالق والخلق , وأغرقته في اوهام وهواجس الهو والغرائز والنزاوة النفسية المنفعلة في مستنقع المنافع الشخصية الوقتيه , وصار يعيش ليومه ولا يرى في افقه إلا سراب , لإنه كلما انطلق الى ما ظنه أنه ماء الحياة ومبتغاه ومروي عطش فطرته من نظريات فلاسفته ومفكريه وجده سراب , ثم ينطلقوا به الى فكر اخر وميدان نظرية عمياء اخرى ليجد السراب مرة اخرى , لينتهي بعد هذا اللهاث من الجري وراء السراب الى أن لا حقيقة لهذه الحياة إلا ما تلمسه يداه , فتمسك بماديات ما في يده وعض عليها وحسب أن كل ما على الاض وما فوقها وما بعدها ما هو إلا سراب , وأن ليس له من الدنيا إلا ما تملكه يداه فيها , فعاش في انانيه وخوف من ضياع ما في يديه وحرص عليها بكل ما يستطيع , فستُعبد ممن يملك تلك المادة التي يجري خلفها , فأصبح عبدا لهم ما داموا يقدموا له قوت يومه وما تهوى نفسه من متاع الدنيا المؤقت والزائل .

لقد حاولنا أن نبين الحلول لهذا الاستعباد وتخليص الناس من عبادة الناس الى عبادة رب الناس بما نعتقد انه انفع وافيد للناس جميعا في دنياهم واخِرتهم. لقد قدمنا الحلول بشواهد وبراهين وامثله من التاريخ والواقع. وبينا أنا معتقدنا وديننا يدعونا الى اعمار الاض بالخير والى الصلاح والإصلاح، واخذ الناس من الظلمات الى النور بفضل ما جاءنا من العلم. وان معتقدنا لا يكره الناس حتى يكونوا مسلمين وان الكل حر فيما يعتقد ويؤمن به ولا اكراه في الدين , ولكن نصح ومنصاحه , وهدي بالتي هي احسن , واننا نؤمن ان من مشيئ الله ان يكون الناس مختلفين فيما يعتقدون ويؤمنون , وان لوشاء الله لهدى الناس جميعا الى دين ومعتقد واحد .واننا في اختلفنا هذا يجب ان نسعى جميعا في العمل لخير الانسان والإنسانية , وان هذا التسابق في الخيرات هو الحضارة المنشودة الحقيقية التي يجب ان نصل ونسعى اليها , وأن منشئ هذه الحضارة هو انسانية الإنسان وما فطر عليه من حب لأخيه الانسان والتألف معه . وليست الحضارة مكتسبات نفعيه مصلحيه ضيقه مكتسبه من المحيط والتجارب الخارجية وأنها منقطعة او لا يؤثر بها ولا عليها ما فطر عليه الإنسان من انسانيه فضله الله بها على كل مخلوقاته على هذه الارض.

سعد غانم العباجي

الانسان:

هو خلق الله الذي خلقه بيديه , ونفخ فيه من روحه , وأسجد له ملائكته , وأستخلفه على ارضه ,وسخر له ما في الارض جميعا ليستعمرها, وجعله شعوبا وقبائل ليتعارفوا ,ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليبلوهم فيما أتاهم , وقدر أرزاقهم وأعمارهم ,وبعث فيهم الرسل والانبياء ليهديهم اذا ظلوا وليعلمهم سبل الصواب والنجاح والفلاح في الدنيا والأخرة وليخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم سبل السلام ليتعايشو بمودة ورحمه وليرحم قويهم ضعيفهم وليعطي غنيهم فقيرهم , وليأمروا بالمعروف ولينهوا عن المنكر , وليبتغوا في ذلك كله وجه الله, ولذلك خلقهم , كما قال الله جل وعلا ( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ) , فالعبادة هي إطاعة الله في كل ما أمر , والانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر. وهذا يعني أن الانسان لم يخلق عبثا يأكل ويشرب ويتمتع في الحياة ثم يموت وينتهي. بل خلق لتكون حياته وطريقته في العيش والتعايش والتعامل مع الاخرين على منهج الله، كما بين الله لرسوله "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين “. فكل افعال الانسان يجب ان تكون منضبطة لإمر خالقها، لتكون افعاله كلها عباده.

لقد خلق الله الإنسان وأسكنه على الارض، لا ليأكل ويشرب ويتمتع من متاعها، ولكن جعلها ارض امتحان، وقاعة اختبار لابتلاءات يبتلى فيها الانسان بالخير و الشر، يقول تعالى في سورة الانبياء 35 (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنه وإلينا ترجعون) (1) أي ليبلوهم فيما اتاهم، وليمتحنهم في الثبات والصبر على طاعة الله , ومخالفة هوى النفس ووساوس الشيطان , فينالوا جزاء ذلك الامتحان حياة ابدية سرمدية ,إما في جنة وإما في النار .

وأنه تعالى أحسن خَلَقَهٌمْ وخٌلٌقَهٌم، فمن حٌسْن خَلْقه أنه وضع فيهم نور الفطرة وأعلمهم أنه هو ربهم وخالقهم وقد أخذ العهد عليهم بذلك. فقال تعالى في سورة الاعراف الآية 172 (واذ أخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلا شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك أبناؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) (2)

وكذلك حَسَنَ الله خُلُقْ الانسان، فأعطى كل نفس هداها، فألهمها الطريق، وسهل لها السبيل، وأعطاها قابلية الخيار بين طريقي التقوى والفجور، وجعل لكل منهم سبيل يمكن للإنسان إدراكه والوصول اليه، اذا ما سعى اليه , فهو في خيار من امره , وله السبيل والوسيلة الى ذلك الخيار.

**فألهم الله النفس البشرية فجورها وتقوها**:

إن هذا الالهام لسبيلي الفجور والتقوى هو ما جبلت عليه النفس البشرية، فالله أرشد النفس البشرية بأن خيرها في فعل الخير، وجعل فيها فطرة تستأنس لفعل الاخير , وتضطرب أذا ما دس الانسان فجور النفس وطغيانها في قلبه .

إن هذه القابلية على الخيار، هي من ما حَسَنَ الله به خلق الانسان، يقول تعالى (ونفس وما **سواها** فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) (3) , **نعم ان من حسن التسوية وجمال وكمال الخَلق والخُلق ان تكون حرا طليقا في الاختيار وفي التفكير والتدبير** , وأن يكون لك القابلية على فعل ما تشاء وترغب . وأن تكون حرا طليقا في ان تتبع هواك وما تشتهيه الانفس، ولك القابلية والقدرة على ان تمسك نفسك عن هواك وان تتبع عقلك وما تراه الاحسن والافضل لك. إن هذه الملكية للإرادة الحرة, هي ما حسّن الله به الانسان وما سوى به خَلقه وخُلقه وأحسن تكوينه وخَلْقٌهٌ ,وبذلك فضله على كثير مما خلق تفضيلا كبيرا , يقول تعالى ( ولقد كرمنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا )الإسراء , وقد رافق ذلك التفضيل ,التمكين له في الارض في برها وبحرها, وجوها , وجعلها جميعا طوعا له لتحمل رغباته وتوجهاته وليتناسق جميعها لإرادته ومشيئته , يقول تعالى ( وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون )(4) .

إن هذا التفضيل والتمكين وحسن التسوية الذي ناله الإنسان جعله يغتر ويعجب بنفسه، ويقبل على تحمل الأمانة، التي أبت ان تحملها السماوات والارض والجبال، وخافوها وأشفقوا منها ومن ثقل تكاليفها. لقد تعهد الإنسان بحملها، لغروره بنفسه، وجهله بثقل حمل الأمانة، وثقل تكاليفها. ولجهله بصعوبة مجاهدة نفسه، وكبح هواها وجماحها من متاع الحياة الدنيا وملذاتها. وجهل أن جهادها هو الجهاد الاكبر من اي جهاد، كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأن جهاد هوى النفس أكبر من جهاد مقاتلة العدو بالسلاح ومواجهة الموت. يقول تعالى في ذكر هذه الأمانة في سورة الاحزاب الآية 72 (انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا) (5)، فهذه "**الأمانة" هي امانة** التعهد بالطاعة، طوعا واختيارا، والاستسلام لإمر الله في كل ما امر، وأن يكون مسلّما له ولإمره ولقدره خيره وشره والرضى بما قسمه الله له في هذه الحياة. فهذه الأمانة هي امانة التسليم طوعا لله في كل امور حياة الانسان، وهي الدين الذي ارتضاه الله لهم وأمرهم به عن طريق انبياءه ورسله الذين ارسل اليهم، وذلك في قوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) (6) , وهذا هو دين الذي دعي اليه كل الانبياء والرسل من الله , ولم يأتي الله بدين غير الاسلام , ولقد وجدنا في كتاب الله القران , ان كل الانبياء والرسل وأتباعهم يقرون ويشهدون لله بسلامهم له , وانهم له مسلمون .

لقد اختار الله أن تكون أمانة الاختيار بالتسليم طوعا, عنوان واسم لدين أمة اخر رسله , يقول تعالى لخاتم رسله , في سورة الحج 78 (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سماكم المسلمين مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ )(7) , إن هذه المجاهدة مطلوبة من الإنسان ليصل بها الى التسليم , وليستحق هذا الاسم "الاسلام" . وليستحقوا به مقام الشهادة على الناس يوم الدين، بما استحفظوا من كتاب الله المنزل على رسولهم، وبما قص عليهم من اخبار الاولين. وليقيموا معنى هذا التسليم عملا في دنياهم، بإقامة الصلاة، وهي الصلة الدائمة التي تنقيهم وتزكيهم مما يصيبهم من درن غرور النفس وفتنتها، وأن يزكوا مكاسبهم من هذه الحياة بالإنفاق على فقرائهم، لتكون نفوسهم متصلة بالله ومقطوعة عن متاع الدنيا وغرورها بالصلاة والزكاة، ليصلوا بهذا الى التسليم الكامل له والتوكل عليه، وليوقنوا في أنفسهم أن الله ربهم هو نعم المولى ونعم النصير.

إن هذه الحرية في الخيار والمشيئة في التفكير والقول والعمل، أتمها الله بنعمة **تسخير سبل تحقيقها،** من قابليةٍ في النفس، ومن تطويع وتسخير ما في الارض من الاشياء لتلك المشيئة، فقد جعل الله الإنسان سيدا مطاع في الارض، فطوعت الاشياء لمشيئته ومبتغاه في الخير والشر. ولقد أعطى الله ايضاً للأشياء القابلية لفعل الخير والشر، ولكن ليس من نفسها، بل طوعا لإرادة الانسان وفعله فيها. فالأنسان حر في أن يفعل بها ما يشاء ويختار. فهي طوعا له ولخياراته، يسخرها كيفما شاء، يقول تعالى في سورة الجاثية (وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعا منه إن في ذلك لأليات لقوم يتفكرون) وفي سورة نوح يقول تعالى (والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا) (8) ويقول في سورة الملك (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) (9).

ثم أتم الله نعمه على الإنسان، أن علمه ما هيه الاشياء كلها وعلم التصرف والتحكم فيها، وذلك في قوله تعالى في سورة البقرة "وعلم ادم الاسماء كلها "(11)، وقد فضله الله على الملائكة في هذا العلم، وهذا يعني "والله اعلم" ,ان الله عندما علم الانسان اسماء الاشياء كلها , فقد علمه افعالها أيضا . لإن أسم الشيء صفة لعمله، فالاسم في اللغة العربية هو ما دل على معنى في نفسه، وقيل: الاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، وأن أسم الشيء هو صفة عمله في اللغة العربية.  
  
 (المصدر: الدرر السنية من موقع علوي بن عبد القادر السقاف). (11)

وقد يكون من أوائل الأشياء التي تعرف عليها الانسان على الارض هي النار, فعلم استخداماتها وفعلها , وعلم قابليتها في استخدامات الخير والشر , فستخدم النار في التدفئة وفي الطبخ , واستخدمها في تسيير كل ما على الارض وما في السماء والبحر , فالعربات السيارة والقطارات والبواخر والطائرات كلها تسير نتيجة الاحتراق في محركاتها . وكذلك أستخدم الاحتراق في تشغيل الاليات لتصنع ما يحتاج له. واستخدمها في فعل الشر، في الحرق والتعذيب والقتل، فبها يحرق الزرع والمحاصيل، واستخدمها في ارسال صواريخه ودباباته وطائراته الاف الاميال للقتل والتدمير.

وانزل الله الحديد , وأعلمنا ان فيه بأس شديد ومنافع للناس , فقال تعالى " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله لقوي عزيز " أي ليختبرنا في فعل الحديد وما به من قابلية على فعل الخير والشر ,وليعلم من فعلنا واستخداماتنا للحديد من ينصر به شرعه وينتصر لأمره , أو من يستنصر به لفعل الشر , فقال تعالى : أن فيه بأس شديد في القتل والتدمير , وفيه منافع كثير في البناء والتحصين والتعمير , فنستطيع ان نصنع من الحديد بيوتا نحتمي بها او عربات نتنقل بها او مصانع واليات تعيننا في صنع اشياءنا وما نحتاج اليه ,وفي صنع اليات وادوات تعيننا في البناء والتعمير, والطهي وسقي محاصيلنا وحصادها , وكذلك نستطيع ان نستخدم الحديد في الهدم والتدمير والقتل والتجبر والطغيان.

وهكذا فأن كل ما حولنا له وجهان للاستخدام، مسخران إما للخير أو للشر، فكل ما حولنا من اشياء من مما عملت ايدينا من السيارة والتلفزيون والتلفون والانترنت وووووو، وكل ما وجد على الارض في برها وبحرها وظهرها وبطنها، نستطيع ان نستخدمه اما للخير وإما للشر، **لتتم بذلك عملية الاختبار للإنسان الذي طوع الله له كل شيء على هذه الارض.**  فالله الخالق القادر كما جعل للنفس البشرية قابلية فعل الخير والشر، جعل للأشياء المسخرة له القابلية لها وفي نفسها على ان تعين الانسان في فعل الخير والشر، متى ما شاء واختار، قال تعالى يقول في سورة نوح

(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (19) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا\*20)(7)

اي بسطها وسهل كل ما عليها لخدمة الإنسان، وطوعها لرغباته، ليسلك فيها سبلا فجاجا من رغباته واختياراته ليبلغ فيها ما يشاء ويختار.

هذا هو الاستخلاف في الارض، الذي جعل الله فيه التمكين للإنسان وجعله السيد المستخلف لينظر كيف يعمل، ثم ليجازيه على عمله بعد ان يكون قد اخذ حظه كاملا في الاختيار، وأستوفى حقه من الحرية في التصرف والاختيار في نفسه وفي ما حوله من الاشياء المسخرة له . ليجزي الله بعدها كل نفس بما عملت، لا ظلم اليوم.

**النفس:**

ماهي النفس البشرية؟ لقد اختلف العلماء والباحثين والفلاسفة في تعريف النفس البشرية. وما هو الفرق بين النفس والروح؟ كلام خاض فيه العلماء كثيرا. من المتقدمين والمتأخرين. حتى أصل بعضهم تعريف النفس الى اربعين تعريفا، وقد قال الشاعر في وصف حيرة المهتمين في تعريف النفس فقال:

قد حار في النفس جميع الورى .................. والفكر فيها قد غدا ضائعا

وبرهن الكل على ما ادعوا..........................وليس برهنا قاطعا

من جهل الصنعة عجز فما ......................... أجدر أن يجهل الصانعا

النفس في اللغة: تكون على وجهين، أحدهم كقول: خرجت نفس فلان، اي **روحه،** ويقال: في نفس فلان أن يفعل كذا وكذا، أي في **روعه**. والوجه الاخر: أن معنى النفس **حقيقة الشيء وجملته**، يقال: قتل فلان نفسه، وأهلك فلان نفسه، فليس هنا ان الهلاك وقع ببعضه، وإنما الإهلاك وقع بذاته، ووقع بحقيقته. (12)

واصطلاحا يعرفها علماء النفس على أنها جوهر الانسان، ومحرك اوجه أنشطته المختلفة إدراكيا، أو حركيا، أو فكريا، أو انفعاليا، أو أخلاقيا سواء كان ذلك على مستوى الواقع أو مستوى الوهم، والنفس هي الجزء المقابل للبدن في تفاعلها وتبادلها المستمر. (13)

فالنفس هي مركز العواطف والميول والشهوات لدى الانسان، فبها الانسان يحب ويبغض، وهي التي تحمل كل عواطفه ومشاعره، من الأنانية وحب الذات والخوف والشجاعة ووو....... فهي أخطر منطقه في حياة الانسان، فهي مصدر شقائه وسعادته، وهي طريق فساده وطريق صلاحه.

وتعرفها بعض المعاجم الفلسفية بأنها: مبدأ الحياة والفكر أو كليهما معا، باعتبارها حقيقة مميزه عن الجسد الذي تظهر فاعليتهما من خلاله (14).

بينما يرى **"ديوي**" أن النفس هي: شيء ليس جاهز معد من قبل، وإنما هي شيء في حالة صيرورة مستمرة وتشكيل دائم بواسطة اختيار العمل (15) .

وقد تكلم القدماء من الاغريق وغيرهم عن النفس، فاختلفوا فيها فمن قال هي تموت بموت الانسان , ومن قال انها تبقى خالده .

يقول أنقاغورس : إن النفس تموت وتفارق الجسد بعد موته .

أما انباذقليس فيرى: أن النفس والجسد يشتركان في الموت،

اما ارسطوكاليس فيرى ان: النفس تفارق الجسم وتتصل بالروحانيين، ويقصد بهم الملائكة والشياطين.

أما فلاسفة الاسلام فقد ردوا على فلاسفة الغرب بمنطقهم، ليدحضوا حججهم، فبين أبن الرشد أنّ النّفس تبقى خالدة بعد موت الجسم، وفسّر رأيه استناداً إلى قولين للغزاليّ: "إنّ النَّفْس إن عدمت لم يخل عدمها من ثلاثة أحوال: إما أن تعدم مع البدن، وإمّا أن تعدم من قبـل ضد موجود لها، أو تُعدم بقدرة القادر." فيقول "باطلٌ أنَ تعدم بموت البدن، فإن البدن ليس محلاً لها، بل هو آلة (الجسد) تستعملها النَّفْس بوساطة القوى التي في البدن، وفساد الآلة لا يوجب فساد مستعمل الآلة، إلا أن تكون حالاً فيها منطبعًا، كالنفوس البهيميّة والقوى الجسمانية (16).

أما ابن سينا (370-428) هجريه، فأنه يرى طبيعة النفس ومنشأها أمور وثيقة الصلة بالحقائق الإلهية والنبوية , فهو يفرق بين النفس الحيوانية والنفس الناطقة , فالأولى تفعل فعلها بعضو جسمي قائمة به , أما الثانية فهي قوى غير قائمه بجسم ,وتفعل فعلها بذاتها من دون توسط عضو جسمي , ومن هذا يكون للإنسان نوعين من القوى المدركة , قوى تدرك الجزيئات بتوسط أعضاء جسميه هي *الحواس* , وتتبع النفس الحيوانية . وقوى تدرك الكليات المجردة بدون توسط عضو جسمي، وهي العقل أو النفس الناطقة، ولذا فهو يرى: أن كل قوى تدرك الجزئيات بواسطة عضو جسمي هي قوى حسيه.

انواع النفس: لقد ذكر القران الكريم انواع النفس البشرية بعدة تسميات او صفات، وقد شرح هذ الوصف ابن القيم وقسمها الى ثلاثة انفس: النّفس الأمّارة بالسوء، والنفس اللوّامة، والنفس المطمئنّة، وقال يمكن أن تجتمع هذه الأقسام في النّفس البشريّة الواحدة في اليوم الواحد، فتكون في فترةٍ من اليوم مطمئنةً وتصبح بعد قليلٍ أمّارةً بالسّوء، فيُحكم على طبيعة النفس في صفاتها الغالبة من خلال طبع صاحبها وتصرّفاته، فالمطلوب من المسلم مجاهدة نفسه وتدريبها حتى تُصبح نفساً مطمئنةً.( انتهى كلام ابن القيم )(17).

ومن هنا نجد أن الله سبحانه وتعالى لا يحاسب الانسان على النتائج السيئة او الحسنة من فعله وقوله، ولكن يحاسبه على نية النفس التي دفعته الى ذلك العمل او القول، وعلى مقدار اندفاعها وانفعالها وعزمها على القيام به، وعلى مرادها وغرضها من ذلك العمل، فالله لا يحاسب على نتائج الافعال، ولكن يحاسب على الدوافع، ونية النفس ومرادها من تلك الافعال. لإن نتائج الاعمال كلها، هي مقدر وقوعها بقدر الله، ولحكمة له فيها. نجد بينة هذا في قوله تعالى لرسوله (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وما رميت إذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ )(18) أي على الرغم من ان إرادة الفعل هي إرادتنا ولكن تحقيقها كان من فعل الله عز وجل , وأن التمكين وتحقق ذلك الفعل كان بقدرة الله , والذي حصل منه القتل . فالنية ولإرادة حاصلة منا, ولكن تحقيق الفعل لتلك المشيئة ولإيراده والتمكين منها , هي متعلقة بمشيئة الله وإرادته وقدره , ويقول تعالى ( وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما )(19) , أي أن مشيئة الله تسبق مشيئتنا , فإن لم يشئ الله لشيء ان يحصل فلا مشيئة لنا به . وهذا يبين ان كل ما يحصل على الارض هو بمشيئة الله وقدرته، وإنما نحن نجازى على نيتنا في القيام بتلك الاعمال والاقوال ومقدار اندفاع مشيئتنا فيها، أما نتائجها فهيه تتحقق بمشيئة الله وقدرته وتقديره عز وجل .

فالله يريد من الانسان تزكية النفس، ليكون حسابه على مقدار مجادته للنفس الأمارة بالسوء، وتزكيتها وردعها عن الفعل او التدبير السيئ. لأن العمل مقدر وقوعه بأقداره التي قدرها الله له ,فما يقع من عمل حسن او سيئ لك او عليك, خيرا كان ام شرا , فهو مقدر لك او عليك , ولكن بأسباب تقوم بها النفس الخيرة ان كان خير , وتقوم به النفس السيئة أن كان سيئ ,فالعمل لا يقع إلا بقدر الله وعلمه وحكمته في ذلك العمل ,ولكن الله يسخر له اسبابه وادواته التي تقوم به , من انفس خيره ومن انفس شريرة , فالله مطلع على القلوب التي في الصدور , ويعلم نيتها وعزمها على فعل الخير والشر, فالله جل وعلا مقصده ومراده النفس , أما الجسم فهو بريء من الفعل والعمل رغم أنه يقوم به , لإنه عبد مأمور لمراد النفس ,ولذلك يحاسبها على ما تنوي وتهم للقيام به وإن لم يقع لأسباب خارجه عن ارادتها , لآن نتائج العمل هي دائما بيد الله , يقول الله تعالى مخاطبا رسوله في الاعراف 88 ( قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ولو كنت أعلم الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ )(20) ,فحتى رسول الله المرسل لا يعلم غيب نتائج العمل قبل وقوعه , فهو لا يملك قابلية النفع والضر , في ضمان نتائج الاعمال وعواقبها , **وأن مشيئة الله هي التي تقدر الفعل المبتدأ من الانسان الى قدره المقدر له من الله تعالى** .

ولما كان الله المحاسب على النية في العمل وليس على نتائجه. فقد جعل الله الحسنة تمح السيئة، لآن عمل الحسنه بعد عمل السيئة يبين ان النفس قد تزكت وندمت على عمل السيئة فأتبعتها بالحسنة, **عن أبي ذر و معاذ بن جبل -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «اتق الله حيثما كنت، وأَتْبِع السيئةَ الحسنةَ تمحها، وخالقِ الناسَ بخلقٍ حسن) (21)».**

فالنية الحسنة التي اتت بالعمل الحسن وطهرت سوء النية التي اتت بالعمل السيئ. وهذا الصفح والعفو يحصل عند صدق النية في الاداء حتى وإن لم يحصل العمل لأسباب خارجيه قاهره عن الإرادة.

وعن تزكية النفس وجاهدتها لتطويعها على عمل الخير والابتعاد عن عمل الشر ,يقول ابن القيّم رحمه الله تعالى: أنّ المجاهدة تكون في أربعٍ وهي: مجاهدة النّفس، والمطمئنّة؛ والذيوالدّنيا، وقد فُرضت على المسلم المجاهدة في هذه الأربع ابتغاء مرضاة الله وطلب هدايته حتى ينال الفوز بالجنّة، فالله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان جعل فيه نفسين: النّفس الأمّارة، والنّفس المطمئنّة، وهما متعاديتان فما يُرضي النّفس المطمئنّة لا يُرضي النفس الأمّارة، وما يُرضي النّفس الأمّارة لا يُرضي النّفس المطمئنّة؛ والذي تتلذّذ به وتستمتع به النّفس الأمّارة , تتألم به النّفس المطمئنّة، والعكس صحيحٍ، فالنّفس المطمئنّة تبتغي رضا الله سبحانه وتعالى من خلال العمل لأجله وتطبيق شرعه واتّباع أوامره واجتناب نواهيه، وهذه الصّفات تكون شاقّةً ومؤلمةً على النّفس الأمّارة , فهي أمارةٌ بالسّوء وتعمل لغير الله.. (انتهى كلام ابن القيم ) (22).

**الروح:**

**" ويسألونك عن الروح قل الروح من امري ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا "**

إن أجمل ما قيل في الروح قول علي ابن ابي طالب كرم الله وجه، حيث قال أن الله خلق الخلق بخمسة أرواحٍ :روح البدن. وروح القوة. وروح الشهوة. وروح الإيمان روح القدس".

ويقول أن:

الروح: هي اندماج روح البدن، وروح القوة، وروح الشّهوة، لذلك فهي بحاجةٍ لتوجيهٍ مستمرٍّ، وإذا أُضيفت إليها روح الإيمان ميّزتها عن نفس الحيوانات، والبهائم، أمّا روح القدس فإذا أُضيفت إلى روح الإيمان، فهي تُميّز نفس الأنبياء والصالحين عن باقي النّاس.(23).

وبينما ابن القيم يقسم النفس الى قسمين المطمئنة واللوامة، نجد الدبوسي رحمه الله في كتابه الامد الاقصى ,يتعمق في تحليل النفس البشرية وتفاعلاتها ,فيرى ان النفس البشرية تعمل باندفاع الشهوى والمتعة في الحياة الدنيا , ويقول" إن النفس لآمرة بالسوء إلا ما رحم ربي ", وأنها اذا تصرفت لوحدها من غير تأثير الروح عليها , فأنها تأخذ الانسان الى المهالك , لأنها تنظر الى المصالح الوقتيه الانيه , ولا تنظر الى العواقب المرتقبة من تلك الاعمال . **فهو يعتقد ان هذا التشاد والتفاعل يولد صراعا بين الجسم والروح داخل النفس البشرية**. (24) .

**الصراع بين الجسم والروح**

فقد شبه الدبوسي الجسم بالرعية التي تأتمر بأمر اميرين هما **النفس والروح**.

**فالنفس**: أمير من الدنيا ووزيرها الرأس، **والرأس** يعمل عند النفس, ويأتمر بأمرها.

**والروح**: أميرها من المولى. ووزيرها **القلب. فالقلب** يأتمر بأمر الروح ويتلقى منها.

فهو يرى ان الانسان كهيئة ومخلوق على هذه الارض وكجسم انساني، يسيطر عليه ويؤثر فيه اربعة اشياء !  **الروح والنفس والقلب والرأس.**

ويقول أن:

1\_ **النفس** تأمر الرأس، **وحواسه** تأمر الجسم وتنهاه في امور الدنيا .

2\_ أما **الروح** فهي تأمر القلب في استعمال عقله في امور تتبع الاخِرى.

( فأما من طغى واثر الحياة الدنيا فأن الجحيم هي المأوى , وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى )[ سورة النازعات الآية 37 -41 ](24).

وقد وصف الدبوسي رحمه الله،التفاعلات الحاصلة في جسم الانسان بين النفس والروح **بالصراع** , وهو ما نسميه في عصرنا الحاضر بالأمراض والعقد النفسية ,التي أرهقت مجتمعاتنا الحاضرة, والتي نتج منها كل تلك الازمات والشطحات والنطحات الفكرية الشاذة والغريبة عن فكر الانسان الطبيعي , والتي ادت الى الصراعات والخلافات الفكرية التي باعده بين بني البشر , وفرقة بينهم , وأدت الى الصراعات والنزعات والحروب القائمة .

و يقول أن هذه الامراض تزداد اعراضها وتقل بقدر **تصالح وتوافق** بين الاربع عوامل المحركة للإنسان كجسم.

فالدبوسي يعتبر الجسم كالرعية والنفس هي اميرة هذه الرعية تأمرها في شؤن الحياة الدنيا ومتطلباتها، وفي كل ما تشتهيه النفس وتصبو اليه.

اما الروح فهي مأمورة من عند المولى (والله اعلم) توجه وترشد النفس فيما ينفعها في امور الآخرة.

واما الرأس والقلب فهما يعملان بأوامر اميريهما النفس والروح، وعلى الجسم ان ينصاع ويعمل بتلك الاوامر الصادرة من النفس والروح.

ولكل امير له اعوان ينصرونه ويؤيدانه ليحقق ما يريد.

فالنفس تعينها الدنيا بظروف واتيه، إما بوقت وفرصه مناسبه من السنة، او تستغل فترة عمر الشباب المندفع والطموح، او بتسخير اصحاب الشر يوسوسون له ويدفعوه الى عمل ما.

أما الروح فيعينها على دفع الانسان للانصياع لها، هي الابتلاءات والمصائب التي تنزل بالإنسان، والتي تجعله عاجز خائر القوى مسلوب الإرادة (مما تجعله ينعزل عن المحيط، فبالبعد عن المحيط وتخبطاته التي تعكر الصفاء الفطري , تجعل الفطرة فتستفيق والروح تستريح وترتوي من نور الفطرة ) . وكذلك عندما يكبر الانسان ويشيب، أو بتسخير انسان صالح يدعوه الى عمل الخير. فهذه عوامل تعين الروح البشرية على فرض توصيتها وأرادتها على ذلك الانسان وجعله ينصاع لها لا للنفس. (24).

وقد وصف الرسول الكريم هذه التزكية والعمل بها بالمجاهدة قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في حجَّة الوداع: (ألَا أُخبِرُكم بالمؤمنِ: مَن أمِنه النَّاسُ على أموالِهم وأنفسِهم والمسلمُ مَن سلِم النَّاسُ مِن لسانِه ويدِه والمجاهدُ مَن جاهَد نفسَه في طاعةِ اللهِ والمهاجرُ مَن هجَر الخطايا والذُّنوبَ) (25)   
  
:  فهذه المجاهدة هي "الصراع النفسي " وهي المعركة الحقيقية والجهاد الاكبر عند الانسان. فإذا ما طغت الشهوة وسيطرة على النفس وامتلكت زمام امرها، عندها تكون المعركة اشد واقوى وتحتاج الى سلاح روحي وعتاد معرفي رباني في تلك المعركة، لكي تستطيع الروح من تحرير النفس من هذا التملك والاستعباد، يقول تعالى " وجاهدوا في الله حق جهاده " .

وقد كثرة الامراض النفسية والعصبية في ايامنا هذه، وذلك لضعف التأثير الروحي، ونقص العتاد العلمي الرباني في تلك المعركة. مما جعل شهوات النفس وطموحاتها ومتطلباتها تتغلب على الغذاء الروحي، فانكفئت الروح وانحسرت، لنقص مدادها وعتادها، وأصبح سيد الانسان شهوات النفس القاصرة والضيقة الافق ولرأيه، والتي ادخلته في متاهات الشهوات التي لا تنتهي ولا تقف عند حد، وليس لها قرار او منتهى او هدف ترضى به وتستكين.

وبما ان للعقل وللقلب طلبات ورغبات متضارب مع بعضها البعض، وغير متفقه في كثير من الاحيان مما يجعل الاضطراب والصراع يزداد شدة وحده. ولذا قيل ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك.

والنفس موصوفه بالذم حتى سميت طاغوتا، وأمارة بالسوء، إذا ما كان هواها بخلاف هدى الله، قال تعالى في سورة البقرة الآية 256 (ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى). قيل طاغوت كل أمرؤ نفسه، اي أن من يكفر ويعصى هوى النفس وشهواتها، ويؤمن ويستمسك بما امر الله به، فقد استمسك بالعروة الوثقى، وهو حبل الله المنجى المتين والهادي الى صراط مستقيم وتستريح فيه الروح وتأنس به النفس المطمئنة.

فأميران الجسم، **النفس والروح**، يعملا ضد بعضهما، فالنفس منكرة للروح لأنها تعمل للحياة الدنيا ولا اهتمام لها في الدار الآخرة.

اما الروح فهي تعرف النفس لان مضافه الى المولى سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى (ونفخنا فيه من روحنا) وقوله في سورة الحجر ايه 29 فقال (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ) فهنا نسب الله الروح اليه تكريما للنفس البشرية , اي أضافة تكريم , كبيت الله , وعبد الله , وناقة الله . فهي من الله وتعمل لإرضاء الله. (24) .

وبما أن الرأس والقلب هما وزيرا الاميرين الروح والنفس المتضادين، فالرأس للنفس، والقلب للروح.

فالرأس لا يستعمل إلا الحواس، فلا ينال به الانسان إلا المنافع الدنيوية.

فتٌري النفس الجسم، ما أدركته حواسها فتأمرها بطلبها والسعي اليها بكل شراها.

ولكن (النفس) لا تدرك ما تدعوا اليه الروح من حظ الآخرة حتى ولو اجتهدت وحاولت ان تفهم وتدرك.

فإذا كان العقل ينظر بنور القلب كما قال تعالى (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) الحج46 , لإن القلب كالشهاب للعين ونظرها، فهو ينظر ويتأمل في الغيبيات الغير محسوسة بالحواس، ليبصر ويرى منافع تلك الغيبيات ونتائج عواقبها التي هي المنافع الحقيقية للإنسان في دنياه والمنافع الباقية والغير زائله في اليوم الآخرة، فتأمره بتباع تلك المسالك النافعة الأبدية وترك المنافع الزائلة المؤقتة التي تأمرها بها النفس التي لا تدرك إلا بالحواس .

وقد تحصل **مصالحه** بين الوزيرين الرأس والقلب، وذلك عندما يدرك بصر العقل ببصيرة القلب، وبما ان قوام بصر العقل هو الدماغ الذي هو في الرأس، فأي الاميرين غلب كان الوزيران تبع له. فالقلب هو كالفتيلة، والعقل كالشهاب الذي يقدح الفتيلة، والدماغ هو كالزيت (فالزيت هو المادة والمعلومة المكتسبة من خارج) الذي تستسقي منه فتيلة القلب. فإذا وافق العقل بصيرة ورؤية عين القلب، فسوف يسير الإنسان الى الرشاد والهدى ويربح الدنيا والآخرة . وأما اذا ساير القلب العقل المدرك بالحواس الملموسة فقط والمؤتمر بهوى النفس ورغباتها ,و بملموساته المؤقتة غير مكترث او ناظر لعاقبه الامور بل غارق في حاضر ما سولت له نفسه , غير ملتفت الى العواقب التي قد يرشده إليها قلبه ,فهذا الانسان في هذه الحالة يسير مكبا على وجه أعمى ,لا يبصر ما حوله , يقول تعالى( أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم ), ولذلك كانت دعوة المولى بأن يسير الانسان على هذه الارض بتفكر وتدبر وبصيره , يقول تعالى (أفلم يسيروا في ارض فتكون لهم **قلوب يعقلون** **بها** أو أذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ) الحج الآية 46. فالقلوب اذا عمت بصيرتها اصبح العقل يقودها كيفما شاء، وبما ان العقل يتلمس الامور بالحواس الملموسة فقط، فلا يرى إلا صور الاشياء ويعمى عن معانيها، **لإن من يعطي معنى للأشياء هي بصيرة القلب**.

فإذا كان القلب مبصرا بشهاب نور العقل المدعوم بمعرفة زيت الدماغ المستمد من نور الله المرسل على رسله، أنيره بصيرة القلب بنور على نور، أما إذا عمي القلب عن ادراك نور العقل، وذلك لكثرة الذنوب التي اعمت بصيرته، وحجبته عن رؤية نور العقل المدعم بمعرفة زيت الدماغ، عندها يعمى البصر عن البصيرة والادراك، حتى وإن كانت ابصار العيون مفتحه وسليمه. فالأبصار لوحدها من غير البصيرة لا تدرك إلا المصلحة الانيه المؤقتة والضيقة والتي تتبع النفس الأمارة بالسوء من انانيه ومصلحه دنيوية ذاتيه ضيقه فهي لا تنظر الى مصالح الغير ولا تكترث بما قد يصيب الغير من اذى في تحقيق اماني النفس وأهوائها.

اما نور القلب فأنه يدرك ويبصر بنور العقل والعلم، فينظر الى الصور كاملة غير مشوشه او مشوه، فيرى ابعاد العمل، فيقوم بانتقاء ما ينفع من العمل، وما ليس فيه ضرر له وللأخرين (وهذا هو عمل الروح والفطرة البشرية التي خلقها الله لتحيا على هذه الارض فتعمرها بالخير والصلاح والنفع للجميع). وهم الذين قال عنهم تعالى (الذين إن مكناهم فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ).

وهذه هي حياة المسلم، المُّسلم امره لله، والذي يسير على هدى نور الله من القلب المستنير بنور كتاب الله، والذي أستنار عقله بنور علم الله، فأنار فتيلة القلب، لتستضيء الفطرة وتستفيق وتنفض عنها غبار ما اصابها من المحيط المظلم، وتتذكر الأمانة التي اودعت فيها، وتستذكر الوعد الذي اخذ عليها . فتصبح نور على نور.

ولذا نجد ان الانسان المسلم والذي سلم روحه ونفسه وهواها لمراد الله، لا يعمل إلا ما يرضي الله، ولا يتكلم إلا بما يرضي الله. وقد بين رسول الله صفاه هذه النفس المسلمة المستسلمة لله، فقال “المسلم من سلم الناس من لسانه ويده “، وقال "لا يؤمن احدكم حتى يحب لآخية ما يحب لنفسه ", وقال وهو يقسم ثلاث "والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه " (26)، اي اذاه وشروره. فهذه الدعوة الى الاخلاق الحميدة، هي ما تدعوا به الروح والنفس المطمئنة، المستلهمة الهدى والرشد من خالقها، فهي تدعوا الى السلم والسلام والامن والامان بين الناس جميعا، ويؤكد هذا قول رسول الله "انما بعثت لإتمام مكارم الاخلاق"، فكانت دعوته حث على تلك الاخلاق الحميدة ويقول" إن اقربكم الي مجلس يوم القيامة احسنكم اخلاقا". وقد وصف الرسول الكريم الدين في كلمتين فقال “إن الدين المعاملة" اي أن المعاملة الحسنة مع الغير وحسن الاخلاق والمعاشرة الطيبة مع الاخرين، والعيش بسلام وامن وامان مع الجميع، هي دين الله وطريقته التي ارتضاها لتكون بين خلقه. فهذا هو دين البشرية الذي اراده الله ان يعيش به الانسان على هذه الارض. فهذا الدين هو الدين الذي جُبِلت عليه النفس المطمئنة والمسلمة والمستسلمة لأوامر الروح والفطرة السليمة المستأنسة بالتعاليم السماوية لأعمار الارض وبنائها.

فسبحان الذي جمع في جسم الانسان أميرين متخاصمين لإظهار حكمة الخالق في الخلق والحياة على هذه الارض، ليتم الامتحان بحرية كامله، مع توفر كل ملتزمات تلك الحرية في الاختيار والعمل، في هذا الصراع والمنازلة، ليكون الجزاء عادل يوم الحساب، بحياة ابديه , إما في نعيم دائم , او عذاب مقيم .

فالروح امدها الله بمعرفة النفس وهواها، لترد تهور النفس، بتفكر الروح، فكما يقال ان الفكرة انفع من الكره، والحيلة أبلغ من القوة.

فإذا تابعت النفس القلب اراها القلب نفع العمل الذي يبتغ فيه نفع الدنيا والآخرة وترك العمل الذي تكون مصلحته انيه وخسارته كبيره في الدنيا ولآخره.

فإذا كانت الروح هي الوالية والمتحكمة في الجسم، فسوف تأمره وتدله على تجاره رابحه، وزراعه نمائها نعيم مقيم، وتنهاه عن زيف ما تسوقه النفس من هوها وهوى شياطين الانس والجن، وتكبح شرود وجموح هوى النفس الأمارة بالسوء. وذلك بالعقل الراجح المضاء بفتيلة القلب "الفطرة" ، وبالهدى الذي جاء به المرسلين من رب العالمين, لكي لا يكون للناس حجة بعد الرسل .

**فتيلة القلب: الفطرة**

لقد أودع الله تعاليمه في فطرة الانسان , اي وضع دينه الذي ارتضاه للإنسان في فطرته , , عندما نفخ فيه من روحه, ليحيا به ويموت عليه , يقول الله تعالى لرسوله **( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) (27)** , فلإنسان مفطور اي مخلوق على هذا الدين يعيش في ضميره ووجدانه , لا يفارقه مهما اختلفت احواله واموره وزمانه ومسكنه ومحيطه , فلا تبديل لخلق الله , فهو مخلوق فيه لا تغيره الاحوال ولا تبدله الازمان والاعمار . رغم تغير ظاهر الانسان، بتغير محيطه ومجتمعه، فقد يسلك ويدعي الإنسان دينا غير الدين الذي فطر عليه، غير أن هذا الدين هو دين الظاهر الذي تتحكم به الامور الظاهرية من شهوات ونزوات وأطماع في محسوسات الحياة الدنيوية الجسدية، والتي تتغير وتتبدل بتغير وتبدل الظواهر والظروف المحيطة، وكذلك تموت تلك المحسوسات الجسدية بموت الجسد او موت الشهوة إن كانت جنسيه او لذات من طعام وشراب بتغير الذوق او المرض. ولكن الثابت والذي لا يتغير عند الإنسان هو الفطرة التي فطر عليها، فهي جزء من خلقه وتكوينه الانساني البشري المؤتمن على عهد الله، والمتعهد بحمل امانة ثقلت على السماوات والارض والجبال، فهو الخليفة المأمور من قبل خالقه لإعمار الارض. بالعهد والإثمان والاستخلاف الفطري الذي فطر عليه.

ويؤكد هذا المعنى الشيخ الطبري بتفسيره اية الأمانة، بأن الأمانة هي الفرائض حيث يقول ( حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم عن أَبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله ( إِنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا ) قال: الأمانة: هي الفرائض التي افترضها الله على العباد)(28).

فإذا كانت الفرائض هي العبادات التي شرعة للإنسان في كتابه المرسل على اخر المرسلين، فهذا يعني أن الإنسان قد علم ما أفترض عليه، وأنه تقبل حمل تلك الفرائض من الأمانة التي تعهد بحملها.

وهذا يبين ان الفرائض والعبادات قد عرفها الانسان، وأصبحت من مكنون خلقه، وإن لم يذكرها عقله لان العقل يستقي معلوماته من الحواس الملموسة، ولكن القلب والروح تذكرها لأن علمها ومعرفتها تستقيها من مكنونها الفطري ومن بارئها الذي فطرها. وقد جاء القران الكريم بهذه الفرائض والعبادات, مقروءة في كتابه الكريم , وهذا يدلل على أن الفرائض قد ارتسمت في فطرة الإنسان من يوم خلقه , وبذلك يكون قد عرف القران ," إن لم يكن بنصه فبمعناه وروحه" ,والله اعلم , وهذا تفسير قوله في سورة الرحمن " الرحمن علم القرآن خلق الإنسان ,علمه البيان ) , فنرى أن المولى ذكرى أنه علم القرآن قبل ان يذكر خلق الإنسان , وهذا يدلل على أن هذا العلم القرآني هو العلم الذي ذكر في اية الأمانة, التي تبين العرض والقبول , والتي حدثت وهو في عالم السر والغيب من قبل ان يخلق من طين , اي يوم ان كان في علم الله وتدبيره وتقديره , في عالم الشهادة . (والله اعلم).

ومن الشواهد على العلم الفطري والقلبي هو إرشاد رسول الله صلى الله عليه وسلم لإصحابه عندما يستشكل عليهم امر من امور دينهم أحلال كان ام حرام، أن يرجعوا الى قلبهم وضميرهم ويستفتوه، فأن اطمئن له فهو حلال، وإن لم يطمئن به ويرتاح، فهو حرام"، او كما قال رسول الله. فهذا الحديث يؤكد ان في القلب علم من لدن عليم حكيم استودعه في قلب الانسان، ولذلك دعانا رسول الله بالرجوع اليه عند الإستشكال، للاستشارة والتيقن من حلة او حرمة ذلك الامر. وهذا يدلل مرة أخرى ان الرحمن قد علّم علِوم القرآن للإنسان قبل ان يخرجه مقروءا للعيان. وهنا يجب التنبيه الى ان القلب إذا اعمته الذنوب وفقد البصيرة والنور الذي فيه، يصعب عليه التفريق ومعرفة الحلال من الحرام، لإن رسول الله كان يخاطب في ذلك الحديث أناس قد صفة سريرتهم ونصعه فطرتهم وأنيره من نور هدي رسول الله ومن مما قرأ عليهم من آيات الله وقرأنه.

**فقراءة القرءان على القلب هي استرجاع لما استودع في القلب والفطرة من العهد الذي أستودعه الله فيه من علم الربوبية ومن علم التشريع. ولذا سمي البيان لآنه يبين ويوضح لقلب الانسان ولفطرته السليمة ما أرتسم فيه من العلوم والمعرفة الربانية الفطرية التي فطر عليها كل انسان. (والله اعلم)**. ولذا كان هذا التبيان محفوظا في كتاب مقروء، كما وصفه الله جل وعلا بأنه " تبيانا لكل شيء "(30)، ولقد سمي قرأن لأنه يقرئ عليهم من قبل رسول الله .

وقد أنزل الله هذا التبيان بعد ان أكتمل نضج الإنسان فأصبح قادرا على ان يفهم ما أُنزل اليه من ربه . وبين له هذا الكمال بقوله عز وجل (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (31) , فهذا إعلان باكتمال نضوج النفس البشرية بعد أن جائها التبيان الكامل من خاتم رسل الله محمد صلى الله عليه وسلم , ليختم ما جاءت به رسل الله من قبل , ولتكون هذه الرسالة الخاتمة مهيمنه على ما جاء من قبل من الرسالات ولتكون تبيانا ونورا لما في الصدور , بعد ان نضج الانسان , فختمت تعاليم ربه اليه بهذه الرسالة الخاتمة الكاملة.

ويؤكد هذا المعنى الشيخ الطبري في تفسيره سورة الروم 30 في قوله تعالى لرسوله

( **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . (30) .**

فيقول قال ابن زيد : (فطرة الله التي فطر الناس عليها ) هي الاسلام مذ خلقهم الله من ادم جميعا, يقرّون بذلك, وقرأ:( وإذ أخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلا شهدنا ). قال: فهذا قول الله : (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ )]. (33) .

اي ان الناس كانوا مسلمين فطرياَ، ثم بعث الله لهم النبيين مبشرين ومنذرين , اي مبشرين للذين حافظوا على العهد مع ربهم , ومنذرين لمن خالفوا عهد الفطرة التي فطرهم الله عليها.

فبعث الله محمد (ص) رسول الله وخاتم النبيين ليصحح ما اختلف الناس عليه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من قبل من اليهود والنصارى، والعرب، ليأخذ بهم جميعا الى دين الفطرة الدين الذي فطروا به وولدوا عليه والذي جاءت تدعوا به كل رسل الله وانبيائه من قبل.

فهذه الرسالة هي للبشرية جمعاء , وهي نور وهدى وشفاء لما في الصدور من حيره وضلال , فهي ضياء ونور وهداية للفطرة التي تبحث عن توائمها من نور هدى القرآن , **فهذا القران هو نور البيان لتوءم الفطرة الذي جاء ذكره في سورة الرحمن , ليكتسي الانسان بنور على نور** .

ويؤكد هذا العلم الفطري والنور الرباني الذي استودع في قلب الانسان , الشيخ الرباني القاضي الدبوسي رحمه الله بقول (ومتى رأى العبد بقلبه , وأدرك بتوفيق ربه, سبق دركه درك العباد النورانيين ,حتى علم ادم عليه السلام ما غاب عن الملائكة أجمعين ,ولم يبلغنا من علمهم (اي الملائكة) إلا اشياء مقصوره على السماع والمسموعات , وتعدت علوم بنى ادم الى المستنبطات, ويقول الدبوسي: فالمسموع وإن كثر فمحصور , والمستنبط غير محصور ,وذلك تأويل قوله تعالى (والله اعلم) في سورة الكهف ( قل لو كان البحر مداد لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) ليكون احتجاجه عليهم بما اوتوا من كلمات الرب عز وجل , لا بما اختص الله تعالى بعلمه من الغيب , فيكون ابلغ في الثناء على الله تعالى , وابعد من الريب , بخروج انواع علوم الاستنباط في الناس عن الحصر تحريرا , او الحد تفسيرا , فأنها تزداد كل يوم بلا نهاية لا ينكرها ذو حاسة صحيحه وعنايه . وملخص كلام الشيخ القاضي، ان من رأى بصفاء قلبه وأدرك بتوفيق ربه , يعطيه الله من العلم ما لا حصر له من استنباط التفكر والتدبر في كتاب الله العزيز الحكيم .(24) .

ولقد كانت الرسل، من قبل ان تتلقى نور الرسالة من ربها، في صفاء فطري خالص، تبحث عن توءمة وظل نور الفطرة، الى ان تتلقى الرسالة من رب العالمين.

ونجد هذا في سيرة بحث إبراهيم عليه السلام عن النور التوءم للقلب، نموذج لهذه الرحلة الإيمانية للإنسان المؤمن الذي يبحث عن توئم علم الفطرة التي فطره الله عليها.

لقد سعى خليل الله ابراهيم عليه وعلى نبينا افضل الصلاة السلام، في البحث عن توءمه الفطري منذ صغره ,حتى أنار الله قلبه بعلم من عنده , يقول تعالى ( وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين 75

**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ 76**

[**فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ**](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura6-aya77.html)

**(**[**77**](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura6-aya77.html)**)**

[**فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura6-aya78.html)

**(**[**78**](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura6-aya78.html)**)**

[**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura6-aya79.html)

(34) . **(**[**79**](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura6-aya79.html)

إن هذه الآيات القرآنية تبين وترسم خطوات ذلك البحث، الذي اوصل أبراهيم الى هذا اليقين الفطري. بأن الذي فطر السماوات والارض وخلقهم هو الله بعد ما رأى آيات الله في خلقه من النجوم والقمر والشمس، وتأكدت له حقيقتها، فألزم بها نفسه، وأنير بها قلبه، ثم أنزل الله عليه بعد ذلك وحي من السماء، ليتمم نوره ويجعله نور على نور، وليكون نورا يهدي به خلقه. وكذلك كان محمد صلى الله عليه وسلم، يبحث عنها سنينا محنث في غار حراء، فلما بلغ الاربعين سنة ترسخت له حقيقة في ضميره وصارت نورا ساطعا، ثم تلقها وحيا مقرأ من وحي رب السماء على قلبه،ليكون نورا يضيئ به ما على الارض ورحمة وهدى للعالمين , فهو الرسول الخاتم الامين.

وهكذا فالصفات البشرية، **"الفطرة الإنسانية"** , هي نبراس يميز الانسان عن باقي المخلوقات الأرضية , فهي صفات خلقيه خاص به , يتصف بها الانسان , ويطلق عليها أعمال إنسانيه أو إنسانيته التي يعرف بها , والتي هي من جنس خلقه , فليس لاي مخلوق أخر مهما تطور وتعلم وتهذب وتدرب عن طريق الانسان او الطبيعة أن ينالها أو يقدر ان يصل اليها . لإنها هي صفات انسانيه خالصه ساميه مميزه له عن باقي المخلوقات.

وعل سبيل المثال، لقد تبين من البحث المختبري ان اقرب جينات للإنسان هو قرد البنامه والذي لا تختلف جيناته عن الإنسان إلا ب 1.7% فقط, إلا ان تلك القردة ابعد ما تكون عن العلم المعرفي الانساني الفطري .

لإن جسد الانسان ما هو إلا الة تستخدمها روح الانسان، وان النفس البشرية ما هي إلا روح من عند الله ونفخة من روح الله، فحملت عهد الله وأمانته، وبهذا تميزه عن جميع مخلوقات الله , وأن هذه الروح المميزة للإنسان هي الوحيدة التي قبلت ورضيت بحمل الأمانة والعهد من خالقها . فلإنسان من اعظم مخلوقات الله , وبه عظيم اسراره , ولكن كما يقال من جهل الصانع جهل الصنعة , فاللائك الذين لا يعرفون عظمت خالقهم يجهلون عظمت خلقه , فيأخذ بهم الجهل الى شفهات وتفاهات التفكير بتبسيط الامور وجعل الإنسان ما هو إلا حيوان ناطق , وجعل كل ما يرون من عظيم الصنع مما حولهم ومن انفسهم ما هو إلا تراكمات نشئه من قبيل الصدفة , وأنها كما نشئه من الصدفة فأن نهايتها تكون بالصدفة , فهم لا يعتقدون ان هناك مدبر ومقدر لكل ما هو موجود في هذا الكون العظيم , مما يرونه ومما لا يرونه , وان كل شيء يحصل في هذا الكون بمقدار مقدر له .لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يحيد عن مساره الذي سيره الله به, وخلق كل شيء وقدره تقديرا .

كيف تتكون وترتسم الشخصية الإنسانية :-

إن الشخصية الإنسانية تتأثر بالمحيط كثيرا وتنطبع بطباعه وترتسم عليها احواله. فلإنسان يكتسب ويرتسم بعادات وأطباع المحيط الذي يعيشه، فيصطبغ كل انسان بعادات مختلفة تختلف باختلاف المحيط, غير أن هذه الصبغة ما هي إلا طبعه ترتسم على انسانية وفطرة الإنسان التي فطر عليها فتتفاعل تلك البذرة الفطرية مع محيط الارض التي وجدت فيها, ليشكل هذا التفاعل شخصيه لها عادات وثقافه خاصه بها . وأن هذه العادات والثقافات الناشئة من ذلك المحيط تشكل نمط من الحياة المتعارف عليه يطلق عليه حضارة , اي ما حظر وظهر من تفاعل ذلك المجتمع مع محيطه .

**وبما أن المكنونات الداخلية الفطرية** هي عامه وواحده في جميع بني البشر والتي تمثل انسانيته وفطرته التي فطره الله عليها ,ولذا فان التأثير المحيطي على الإنسان ليس له القدرة على التأثير الجوهري للإنسان , كما هو الحال عند باق المخلوقات الاخرى من نباتات وحيوانات .

لقد جعل الله لكل خلق فطرة تناسب المراد من خلقه الذي خلق له،ف" **سبحان ربي الاعلى الذي خلق فسوى \* والذي قدر فهدى** \*" اي خلق كل شيء فسوى خلقه لمراد خلقه الذي خلق لإجله , والذي قدر لكل مخلوق قدره وهداه إليه .

فلا تغير في خلق الله والتبديل،يقول تعالى ( فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها **لا تبديل لخلق** الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون )(27) , أي لا تبديل بالخلق الجسدي والخلقي والنفسي والروحي الذي خلق الله الاشياء عليها , ولا تبديل للفطرة التي فطر الله الخلق عليها. فالله خلق الانسان بدين فطري، فلا تبديل لذلك الخلق. فالنظرية دارون في تطور الخلق باطله، وقد اثبت بطلانها العلم الحديث ولم يعد يعتد بها أحد.

وأن كل المخلوقات لها علم فطري بوجود الله، لقوله تعالى “تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وإن ما من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا " (36) , ومن هذا يتبين أنه حتى اجزاء واعضاء وخلايه جسم الانسان تسبح بحمد ربها وخالقها, تسبيحا فطريا لا أرداه للأسنان فيه . فقد يكفر الانسان بربه إلا ان اعضاء جسده تسبح لخالقها. فالله "أعطى كل شيء خلقه ثم هدى". فالله هو المقدر لكل شيء في هذا الوجود وهو الذي يسير هذا القدر ويقدره بقدره ويتحكم به "فكل شيء عنده بمقدار".

**ومن المؤثرات الأخرى على سلوك الإنسان، الطعام والشراب: -**

فقد تبين بالمطالعة والبحث والتجربة العلمية والملاحظات الإحصائية، ان ما يتناوله الانسان من مأكل ومشرب يؤثر في طبعه وسلوكه كما يؤثر في نموه وصحته. فقد يأخذ الانسان من طبائع الحيوانات التي يأكل من لحومها. فمثل الاقوام التي اعتادت اكل لحوم الجمال أخذت من طباع الجمال الغيرة والحياء عند التعامل والمعاشرة مع الانثى، وتطبعت بالصبر على الاهوال والمشاق. وان الاقوام التي اعتادت اكل لحوم الخنازير اخذت من طبع الخنازير، عدم الغيرة على اناثها، وعدم تأففها في مأكلها ومشربها وأنها تأكل كل ما يقدم لها.

وهذا يبين على ان طبيعة الطعام تأثر على الصفات الجينية في الانسان.

وقد أكد الاسلام هذا، عندما حرم على الرضيع الذي يرضع من حليب ام غير امه أن يتزوج من بناتها، لإن تلك الرضعات جعلته اخ لبناتها، فأصبحت تلك المرضعة أم له بالرضاعة وأطفالها اخوة له بالرضاعة. ولذلك كان الناس تتخير فيمن يرضع ابنائها. فقد روي عن الامام ابو حنيفه أنه غضب غضبا شديدا عندما رأى طفله ترضعه خادمة له، وقد قيل ان هذا الغلام عندما كبر فعل فعلة غريبه عما تربى عليه، فقال ابي حنيفه رحمه الله لمن حوله "ان هذه الفعلة من تلك الرضعة" التي تناولها من خادمته.

لقد وجدة الدكتورة فوتيني هاسيوتو من تجاربها المعملية والاختبارات العلمية أن حليب الام يشترك في تكوين اعضاء جسم الرضيع ويتحكم في جينات الرضيع: - وقد نشرة اكتشافها العلمي هذا في مجلة

**, في عام 2015 مع مجموعه من العلماء والباحثين،FASEB Journal 29;876 وقد بينت هذه الدراسة المختبرية ان حليب الرضاعة** مليء بالخلايا الجذعية الغير متخصصه والتي يكون عددها ما بين الالاف الى الثلاثين مليون خليه , وان هذه الخلايا تنتقل من حليب الام الى الرضيع وتتداخل وتتفاعل مع اعضاء جسم ذلك الرضيع وتتحول الى خلايا في تلك الاعضاء التي تصل اليها من قلب وكبد وكليه ودماغ وكل اعضاء الجسد وتصبح جزء فعال في تلك الاعضاء من الجسد .

وتقول ايضا ان حليب الام يحتوي على مادة الايكرو أيرونيس وهذه المادة تكون موجوده عادة في كل الأغدية والأطعمة، ولكنها تكون موجوده بالألاف و بشكل كبير جدا في حليب الام , وتقول انها وجدت نوع خاص من الميكروأيرونيس موجود فقط في حليب الام , وان هذه الميكروأيرونيسات تتحكم في الجينات وكذلك تتحكم في الخلايا الجذعية , وتقول انها تتوقع ان تجد تأثيرات حليب الرضاعة على امور اخرى في جسم الرضيع .(37).

وهذا دليل علمي أخر يبين لماذا شرع الله “**الأخوة في الرضاعة"**.

وقد حدد الاسلام الأخوة في الرضاعة بعدد الرضعات وبالمقدار المشبع في كل رضعة، وهذا يفسر ما بينه البحث السابق بأن تلك الخلايا يختلف عددها ما بين الآلاف الى الملايين، ولذلك حدد الاسلام كمية الرضعات المشبعة التي يرضعها الطفل ليعتبر ابن في الرضاعة لتلك الام المرضع.

وقد وجدنا ايضا أن التشريع الاسلامي حرم على المرأة المطلقة او التي مات عنها زوجها وهي حامل ان تتزوج حتى تضع حملها، لكي لا يدخل على الجنين الذي في بطنها السائل المنوي للرجل الجديد غير الاب، فيتغذى عليه الجنين، فتمتزج جينات الأبوة عند الجنين .

وكذلك كان القانون الياباني يحدد عدة المرآه المطلقة او المتوفى عنها زوجها ب مئة يوم لكي لا تختلط الأنساب.

وقد تكلم العالم الجليل ابن القيم في كتابه مدارج السالكين عن هذه المكتسبات الطباعية والأخلاقية المكتسبة من الحيوانات فيقول " ان كل من ضرب ضربا من ضروب هذه الحيوانات اكتسب من طبعه وخلقه، فأن تغذى بلحمه فأن الغاذي شبيه باالمتغذي".(38).

فهو يعتقد ان حتى العيش قرب الحيوانات يجعل الانسان يكتسب من طبعها.

كما ان الطبيعة التي يعيش فيها الإنسان من صحاري و سهول و جبال، ومناخ حار كان او بارد، يؤثر في طبع الانسان ويكسبه صفات تتناسب مع المحيط والمناخ الذي يعيش فيه.

ويجب هنا أن نبين أن هذه التأثيرات الخارجية بكل اشكالها، يعتمد مقدار وحجم تأثيرها على عاملين: -

الاول: هو مقدار الصفاء الفطري: هو مقدار تأثير لمحيط الخارجي وكمية الاحداث الطارئة فيه . فكلما كان الصفاء الفطري عالي التركيز كلما كان قادرا على أن ينقي ويصفي المكتسب الخارجي ويؤثر فيه. فيصقل الاحداث ويطبع فيها الطابع الانساني الراقي ويبعد عنها وحشيتها وتوحشها القادم منها , أما اذا كان الصخب الخارجي عالي الضجيج سريع الاندفاع عالي الموج ومندفع بقوى في الانسان , فإنه يستطيع ان يربك الغربال الفطر الانساني ويقلل نشاطه ,ويقطع نسيج الغربال الفطري ويشققه , فلا يعد قادر على غربلة الصحيح من غيره , فتختلف عند إذ الموازين عند الانسان , فيشط ويشطح في قراراته وتقديراته ونظرته للأمور, ويصبح حكمه على الاشياء مرتبكا مشوشا , لتشوش بصيرة الفطري بالعاصفة الهوجاء التي احاطة بها من محيطها الخارجي .

وعليه فإن للمحيط تأثير كبير في تكوين شخصية وحضارة الإنسان. ويكون اختلاف ناتج التفاعل الخارجي مع فطرة الانسان يعتمد على درجة صفاء الفطر ونقائها عند التقائها بذلك المكتسب الخارجي، ولذلك نجد ان الإنسان المسلم بفطرته أهدأ وأركز وأمنع من تأثيرات المحيط به فلا يرتبك بسرعه، لأن المصدات الإنسانية الفطرية لا تزال عنده قوية فلا تؤثر بها كثيرا الموجات والاعاصير الخارجية، ولا تصرعه وتربكه، لإن بصيرة القلب واعيه.

فكلما زاد التأثير الفطري عند الانسان كلما كان أكثر شفافية وإنسانيه في تطلعاته وحكمه على الاشياء، اما إذا ضعف التأثير الفطري للإنسان، فإن أهواء المحيط الخارجي وتطلعاته هي التي تحكم سيرته وتحكم اندفاعاته. فيجرفه التيار المحيطي بأهوائه، وتختفي او تنعدم عنده الصفاة والاحكام الفطرية، من مفاهيم العدالة وحب الخير وكره الشر ومبدأ العلاقات والتعاملات الإنسانية المختلفة .

**ما هي العوامل المؤثرة في التفاعل الفطري مع المحيط لتكوين شخصية الانسان وإنسانيته الحضارية:**

لنبدئ بحثنا بالسؤال هل الحضارة هي ناتج فطري انساني موحد عند كل البشر؟ أم أن الإنسانية هي التي تؤثر بالمحيط وتصنعه وتصيغ شكله وطبعه بما يتلاءم وينسجم مع فطرتها وإنسانيتها؟ , أم ان المحيط هو الذي يصيغ طبع الانسان ويشكل طابعه الحضاري! وما العوامل التي تنصر طرف على طرف في هذا التفاعل والتصارع، وما هو دور الدين في هذا الصراع والتفاعل،

السؤال الكبير والرئيسي هو: ما هي العوامل الحقيقية في تكوين شخصية الانسان الحضارية؟:

هل أن التأثير **الخارج**، هو العامل الاكبر والرئيسي في تشكيل طبيعة الإنسان و ثقافته الحضارية كما يعتقد معظم فلاسفة الغرب، او كما يدعي من يؤمن بنظرية دارون , بأن الانسان خلق من تطور الطبيعة , وأنه بدأ من خليه اميبيه فجعلت منه الصدفة والتبيعة الملاءمة انسانا) .

**أم ان الفطره الإنسانية؟** هي التي شكلت الشخصية الإنسانية، وأنها هي الفاعل الاساسي في تكوين شخصية وثقافة الانسان الحضارية.

**للإجابة على هذه التساؤلات! لا بد ان نبحث في العوامل والمؤثرات التي تجعل الانسان ينتصر في هذا التفاعل التنازعي والتصارعي لإنسانيته؟**

**تعريف الانسان: هو** ذلك المخلوق البشري الذي يختلف عن سائر المخلوقات على هذه الارض , خلقه الله بيديه, ووضع فيه فطرته ,وأعلمه وأخذ العهد عليه بأنه هو ربه وخالقه , وأعطاه حرية الاختيار والتصرف, و كساه بصفات انسانيه خاصه به, وأنعم عليه من صفاته جلا وعلا ,ليتعايش بها بسلام مع نفسه وجنسه ومحيطه الذي يعيش به, وليعمر الارض , ومن هذه الصفات حبه للخير وكرهه للشر وحبه للعدل وكرهه للظلم , وحبه لجميل الاشياء وكرهه لقبيحها , وإن أتصف بغير تلك الصفات خرج عن إنسانيه .

وكذلك هناك صفات اخرى في خلق الانسان بينها الله لنا في كتابه الكريم، فقال جل وعلا " ان الانسان خلق هلوعا \*إذا مسه الشر جزوعا\* وإذا مسه الخير منوعا\* إلا ألمصلين " فبين ان فيه الهلع وسرعة الانفعال، واستثنى الله المصلين من هذه الصفة، وهذا يبين ان الاتصال بالله يهدئ من روع المؤمن ,ويذهب عنه الخوف والجزع . يقول تعالى ( إلا المصلين \* الذين هم على صلاتهم دائمون \*)(39) , فالصلاة ولاتصال الدائم يمنع تلوث الفطرة , ويبقيها على الخيرية التي فطرت عليها .

 وفي سورة العاديات يقول تعالى (إن الانسان لربه لكنود\* وانه على ذلك لشهيد\* وانه لحب الخير لشديد\*)، فبين تعالى أن الإنسان جاحدا لنعم الله التي انعم الله بها عليه، وكذلك من معاني الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى النعم فيلوم ربه، يقول السعدي في تفسيره لهذه الآية (أن ما جبلت عليه النفس انها لا تسمح بما عليها من الحقوق، فتؤديها كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليها من الحقوق المالية والبدنية، إلا من هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق) (40).

وكذلك مما جٌبل عليه الإنسان العجلة والتسرع، يقول تعالى (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون) (41).، فهو يستعجل في طلب ما يريده ويتمناه،فليس له صبر على مبتغاه , وقد يوقعه هذا التعجل في المهالك , كما قال تعالى في سورة الاسراء ( ويدع الانسان بالشر دعائه بالخير وكان الانسان عجولا) (42) , اي يدعوا الله متعجلا تحقيق ما يبدوا له ويحسبه خير , إلا ان تعجله في طلب ما يظنه ويحسبه خير يوقعه في طلب الشر لنفسه , فيدعوا بالشر ظنا منه انه خير.

وقد يبن الله لنا أن الإنسان قادر على التغلب على هذه الصفات \* ) , من ضعف وقلة صبر وعجل وجحود , وباستطاعته أن يصحح مساراتها ويقوم اعوجاجها ,وينجوا من مهالكها , اذا ما استقام وسار على منهاج الله القويم ,فقال تعالى ( والتين والزيتون \* وطور سنين \* وهذا البلد الامين \*لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم \* ثم رددناه اسفل سافلين \* إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون \* ) (43) , فقد اقسم الله هنا بما خلق من تين وزيتون, واللذان هما من نعم الله التي تعين على تقويم بدن الانسان وإصلاحه , بأنه خلق الإنسان في احسن تكوين وتقويم ,بما وضع فيه من فطره سليم تعرف ربها وخالقها , وبما اتصفت بها إنسانيته من صفات الله الجليلة, ثم يقسم الله بأطوار خلق الانسان , وفي سنين تطوره الخلقي والخٌلقي. والذي جعله في أحسن تقويم من خلق في البدن وخٌلق في النفس والذي فضله بهذا الخلق على كثير مما خلق تفضيلا كثير. بأن هذا الخلق العظيم سيؤول الى أسفل سافلين إذا ما بعد عن شرع الله وعن هديه، وأن الناجي الوحيد من هذا الهلاك المحتوم وهذا التدني في الخُلق هم الذين يحافظون على عهد الله وإيمانهم، فهؤلاء قلوبهم حية بما عهد الله بها واستأمنها عليه، ولذا لم يرتدوا الى اسفل سافلين ,كالذين خانوا العهد ونكثوا ايمانهم, فضلوا وتاهوا , فتدنوا في خُلقهم كالبهائم او اضل سبيلا .

ومن خلال ما تقدم من وصف لصفات الانسان , يتبين لنا ان الإنسان يستطيع ان يتحكم في خياراته ويستطيع ان يتغلب على نقاط ضعفه , بفضل حرية الخيار الكامل التي اعطاه الله إياها , فهذه الحرية الكاملة في اختيار ما يشاء من خير وشر, تجعله قادر على بناء شخصيته , وتحديد هويته ,ومسار حياته , وذلك بتحصين نفسه من النواقص ونزوات النفس الضعيفة والطماعة ولجحوده والمتعجلة , وبالحفاظ على الفطرة السليمة, وأنارت بصيرتها بنور الله المرسل على رسله , وان لا ينجرف وينحرف مع هوى النفس وما تشتهي , ,فيمشي ورائها كالبهيمة مكبا على وجه متبع هواها , فيهوي الى اسفل سافلين .

**الفطرة: -**

أولا لنبحث عنها ونتعرف عليها من القرآن الكريم، ثم لنتطرق بعد ذلك الى طرق تعرفنا أليها من خلال سلوك الانسان ومشاعره وانفعالاته.

ذكرها في القرآن: -

يقول الله تعالى عن الفطرة (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله \*ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (32). فالفطرة هي من اصل خلق الانسان، لا تبديل ولا تغير لها، ولكن تتلبد وتغشاها العتمة نتيجة الضباب المحيطي، إلا ان محتواها يبقى محفوظ . فهي الكنز المكنون من الخالق في القلب المختوم بالعهد المشهود "ألست بربكم" وبالإقرار المشهود " بلى شهدنا " ,كما جاء في الآية 172 (وأذ أخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلا شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين \* أو تقولوا انما أشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)(44), حيث يبين لنا الله جلا وعلا أنه قد وضع علم الربوبية في قلب الانسان عند خلقه , وأعلمه انه هو ربه وخالقه, وأن هذا العلم جزء من خلق الانسان يولد به ويبقى كالكنز المكنون في اعماق الانسان لا يفارقه ابدا , في اي بيئة كان , او لاي أب ولد .

وبذلك تكون فطرة الانسان الحجة البالغة عليه يوم القيامة، لا تسقطها اي حجة اخرى , فلا تغني عنه حجة دين ابيه وقومه او من كان حوله أو المحيط الذي عاش فيه , لان هذه الفطرة تبقى النبراس والدليل والعلم الذي لا يتغير, وهي الشاهد عليه عند ربه , حيث انها سوف تشهد وتقول كنت أرشده اذا رجع إلي , وكنت انبهه اذا غفل عني , وكنت أخاصمه اذا تولى بهواه وغوى الشيطان وأدبر عني , وكنت مطمئنته ومسكن حيرته اذا لجاء لي . فعندها لا تكون له حجة عند ربه.

## ومن العوامل التي تعمل على اضلال فطرة الانسان, تضليل الشيطان له, و الذي اخذ العهد على نفسه بأن يظل عدوه الإنسان , فقال (" ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ" ) (45), فالشيطان يسعى حثيثا لطمس فطرة الإنسان وتشويشها وتعكير صفوها , فقد توعد أن يأتي الإنسان من كل حوب وصوب , من كل جوانب الحياة ,ليضله ويغريه بكل ما يحيط به , فيأتيه من جانب الخوف ومن الفقر او المطع بما في ايدي الناس , او الاعتداء على حرمات الناس ,او حسد الناس على ما اتاهم الله من فضله , او ان ينفخ فيه روح التكبر, أفة الشيطان وجرثومة "ألأنا" من الأنانية وحب الذات ,وكل الامراض التي تمرض القلب وتعمي بصيرة الفطرة , وتربك بوصلتها , ولكن من رحمة الله بالإنسان ان لم يدع للشيطان سبيل لتعكير نور هدى الله المرسل من السماء , فلم يقل من فوقه لإن الفوقية محفوظه بأمر الله وهي سبيل الرشاد للأسنان عن طريق رسل السماء ,التي تأتي بالنور والهدى من عند الله , , فجعل الله هذا الباب معصوما وموصود امام نفث الشيطان , فقال جل وعلا عن النور المرسل من السماء (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد )(46) اي ان الهداية السماوية الفوقية محفوظة من عمل الشيطان , ليهدي الله بها من أناب اليه يقول تعالى ( والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي) . فإذا ما اتجهت ابصارنا وأسماعنا وافئدتنا الى النور القادم من فوقنا، هدانا الله لنوره وكشف عن قلوبنا ما غشاها من ظلمه المحيط. . فمن فتح نوافذ عقله للنور القادم من السماء، استقبل القلب ذلك النور استقبال العطشان الى الماء، وتروى القلب بنور الله، فيتوثق العهد من القلب مع خالقه.

أن رسل الله هم مصابيح الهدى لفطرة الانسان، ليضيئوا ما أُظلم من ضياء الفطرة، ولينيروا للبصيرة ظلمتها ويزيحوا عنها ما ران عليها من غشاوة , لقد أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين وموقدين شعلة نور الفطرة عند الانسان , لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل , يقول تعالى(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)(47) وقد تعهد الله بان يوصل نوره الى كل امم الارض فقال (وإن من امة الا خلا فيها نذير)(48) .

فمهمة رسالة الرسول هي ازاحت طمي الذنوب عن الفطرة الإنسانية وتنقيتها مما اصابها من غشاوة المحيط التي تعيش فيه. ولكن من اتبع هواه وصدى عن النور المرسل فقد ظلم نفسه، يقول تعالى " ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله أن الله لا يهدي القوم الظالمين “ , فهوى النفس يطفئ نور الفطرة اذا ما نفخ فيها . فمهمة الرسل هو صد هو النفس عن الفطرة ليبقى نورها يضيء الطريق للإنسان، ليُريه الصراط المستقيم. وتبقى النفس مطمئنة راضية بأقدار ربها، الى ان يأتيها منادي من ربها، فيناديها " (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضيه فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) (49).

فرسل الله تأتي بما يطمئن الفطرة، وشاهد على صدق ما فيها، لتطمئن النفس ويهدئ روعها بأتباع النور الذي جاءت به الرسل، ومبشرة بنعيم مقيم ومنذرة من عذاب أليم للمخالفين والمعاندين، يقول تعالى (يأيها النبي إنا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا \* وداعيا الى الله بأذنه وسرجا منيرا \*وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا \*) (50), فأول مهام هذا النبي هو الشهادة على صدق ما في فطرة الانسان من علم ,ولذلك سمي دين الإسلام "دين الفطرة ".

فإذا ما أنشرح الصدر بنور الهداية شع ذلك النور في كل اعضاء الانسان، فيصبح كل ما يأتي به الإنسان خيرا. لإنه قد أصبح في معية الله ومن اولياءه الصالحين، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال “إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذه" رواه البخاري (51)..

فإذا ما امتلئ القلب بنور ربه استجابت النفس وانصياعه لأوامر ربها، فتقربت إليه بالطاعات والنوافل، حتى تصبح تحت ظله وفي معيته **فتصبح كل حركاتها محفوظة بتوفيق الله وتسديده.**

وأن قدر كل أنسان من هذه الشفافية النورانية بقدر صفاء ونقاء فطرة الانسان من هوى النفس ووساوس الشيطان، ولذا نجد عباد الله الصالحين يتفاوتون في درجات التقى والصلاح. وهنا احب ان انقل للدبوسي في هذا المجال حيث يقول (ولله تعالى في كل ما أبدى وأخفى عبرة وحكمة، من أبصرها عبر، ومن عمي عنها عثر، ولا بصر إلا بعقل، ولا عقل إلا بفكرة , ولا فكرة إلا بعد طهارة الفطرة. ) (52). أي بمعنى أخر أن درجة سلامة الفطرة ونقاؤها يجعلها تتقبل وتتفهم كل ما جاء به الرسل من الله لآنها ستجد كل تعاليم الله موجودة، بل مطابقة لما في فطرة وقلب الانسان، فسلامة الفطرة هي التي تعين الانسان على تمييز الحق من الباطل.

**وان سلامة الفطرة هي اساس وأرضية كل بناء يبنى عليه فكر وعقيده ومذهب وإيمان وحضارة ذلك الإنسان , وهذا اساس بحثنا , الذي نريد ان نبين فيه أن منشأ شخصية ومعتقد وفكر الانسان يعتمد بناؤها على طبيعة الأرضية التي بنيت عليه , فهذه الارض هي التي تحدد قيمة وطبيعة هذا البناء , فان كانت الارض صحراء رمليه , متحركة بتحرك الهوى ,فلا يمكن ان تبني بها بناء شامخ راسخ, ام اذا كانت الارض صلدة صلبة راسخة لها قواعد وجذور راسخه من اصل تكوينها , تستطيع ان تبني البنيان العالي الشامخ الراسخ .**

**فالإنسان عظيم في خلقه لإن خالقه العظيم نفخ فيه من روحه وجعل له السمع والابصار والأفئدة , فسمع الانسان ليس كسمع المخلوقات الاخرى التي على الارض , ولا بصره كبصرها فهو يسمع بإذنيه وبقلبه , و يبصر بعينيه وعقله وقلبه ,وليس لاحد غيره ما له من فضل, لقد فضله الله على كثير من مخلوقاته , يقول الله في محكم كتابه ,عن خلق الانسان**

( ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم\* الذي أحسن كل شيئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين\*ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين\*ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والآبصار والآفئده قليلا ما تشكرون)(53) , إن هذه الايات التي تبين أن الإنسان الذي بدأ خلقه من طين ,ثم جعله يتناسل على الارض وينتشر من ماء الرجل المهين , هي رسالة من الله العظيم الجبار للأنسان , يخبره بها أن اصل خلقه مهين , من الطين وماء الرجل المهين , فلا يتكبر ويتجبر , ويقع فيما وقع به ابليس , عندما اغتر بمادة خلقه , فقال انا خير من ادم , خلقتني من نار وخلقته من طين , فليتعظ وليعلم ان عظمت خلقه لم تكن من مادته التي خلق منها , ولكن من نفخة السر الالهي التي وضعت فيه , فالعزيز الرحيم جعل من ما هو مبتذل مهين , في أعين الانسان , خلق عظيم, عندما نفخ فيه من روحه فسواه وعدله واكمله وأجمل صنعه , **و جعل فيه السمع والابصار والأفئدة , ومن اسرار هذا الخلق العظيم ما اخبر الله عنه في هذه الآية , فجاء السمع ذكره في صيغة المفرد , والبصر والفؤاد ذكرهما في صيغة الجمع , وذلك ليعلنا انه قد انعم على الانسان ببصائر عده , بصر العين وبصيرة القلب وبصيرة العقل , وكذلك انعم علينا بأفئدة عده , فؤاد نهوا به ما نهوا , وفؤاد يتطلع لنور الله , وفؤاد وضع فيه سره وعهده وما فطره عليه.**

فيذكر لنا علام الغيوب في هذه الآية، سر حكمة التناسل وخروج الانسان وتناسله من بعضه البعض، **ليجعل من هذا التناسل سبب لصلة الرحم والتراحم، ويكون سبب لتواصلهم وتراحمهم وتعاطفهم وتوادهم بعضهم مع بعض. ولو جعل الله الانسان ينبت مفردا كما ينبت النبات، لما كان هذا التراحم والتواد بينهم، ليأنس الإنسان بأخيه الإنسان. فمن حكمته في خلقه أن يخرج خلقا من خلق ليجعله مترابطا بعضه ببعض وليألف بعضه بعضا ويأنس بعضه بعضا، ليتعاونوا على البر والتقوى، وليتعاونوا على دفع الإثم والعدوان عن الإنسانية، وليعمروا الارض التي استعمرهم عليها، حتى تتحقق الخلافة التي ارادها الله للإنسان على الارض.**

**فقد بينة هذه الآيات اسرار عظيم خلقنا لنكون من الشاكرين.**

**ثم تبين لنا سورة النور كيف يتفاعل النور المرسل من السماء مع هذا الخلق العظيم، ليتم نور الله وفضله على الإنسان فيصبح نور على نور.**

إن الصورة الرائعة للانتقال والتفاعل النوري بين النور المرسل من السماء، ونور الفطرة السليمة، وكيفية وأطوار سير هذا التفاعل النوراني من مشكاة الله التي انارت السماوات والارض الى قلب المؤمن . والذي إذا ما أمتلئ بنورها أصبح مشاعل من نور يضيئ ما حوله , وكيف ان هذه المشاعل تكون مصابيح لبيوت الله المساجد , لتكون تلك المساجد منارة للنور والهدى في المجتمع , يقول تعالى ( الله نور السموات والارض \* مثل نوره ***كمشكات*** فيها ***مصباح*** ***المصباح*** في زجاجه ***الزجاجة*** كأنها ***كوكب دري*** يوقد من ***شجرة مباركة*** زيتونة لا **شرقية** ولا غربيه يكاد ***زيتها*** يضئ ولو لم تمسسه نار ***نور على نور*** يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم \* في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها أسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال \* رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار \* ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب)(54) , ***فالمشكاةهي نور الهدايه من الله التي اهتدى بها من في السموات والارض,والتي منها انيرة فطرة كل المخلوقات والموجودات التي خلقها وأوجدها مالك الملك , ومن تلك المشكات انبثق النور الذي جائت به رسل الله لتخرج الناس من الظلمات الى النور ,*** فمن نور هذه "المشكاة " اهتدت مخلوقات الله لهدي الله , فالله هو "الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى" اي هو الذي اعطى نور الهداية لكل ما خلق ,و بهذا النور عرفته مخلوقاته وسبّحت جميعها لعظمته , يقول جلا وعلا (وما من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ,فبهذا النور سجد له الشجر والنجوم والدواب وكثير من الناس الذين انيرت قلوبهم بهذه المشكاة , ومن هذا النور اهتدت كل المخلوقات متحركة كانت او جامده الى طريق صلاحها وسبل عيشها وبقائها وعدم فنائها , وبه عرفت ربها , فسبّحته وسجدت له ,ومن هذه المشكاة جاءت رسل الله بالهدى ونور الحق ,ومن نورها اضيئ نور رسالة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم , يقول تعالى (*كمشكات فيها مصباح***)** فالمصباح هنا هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (فرسل الله هم مصابيح توقد من مشكاة نور الله ) تشع من نور مشكاة الله , لينير للناس قلوبهم ويهديهم الى صراط مستقيم ,كما جاء في سورة الاحزاب46 (ياايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بأذنه **وسراجا منيرا**) . فكان سراج مصباح رسول الله نور ينير قلوب الناس، ويخرجها من الظلمات الى النور , كما ينير سراج المصباح دروب الناس وبيوتهم ,لقد كان محمد(ص) نورا ربانيا يمشي على الارض ,كما وصفته زوجته ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وارضاها , بقولها :انه كان قران يمشي على الارض, فكان قبس نوره من نور كتاب الله . ثم تقول الآية إن :-

***(المصباح في زجاجه*** ) *والزجاجة ,* هنا تمثل كتاب الله القرآن الكريم , فمصباح رسول الله في القرأن ومن القرأن , ,فكان قبس نور محمد (ص) يسرج من نور كتاب الله , والتي هي الزجاجة التي يشع من خلالها سراج رسول الله .

كما جاء في سوره التغابن الايه8 (فأمنوا بالله ورسوله **والنور** الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير)، اي نور القرآن الذي اسرج سراج رسول الله وأضاءه، لينير للبشرية طريق الهداية. ثم تقول الآية أن: -

الزجاجة كأنها كوكب دري:

فهذا وصف للقرءان الكريم (الممثل بالزجاجة) وكأنه كوكب دري في انارته وبيانه , وما جاء به من الحكمة والموعظة ,التي أنارت بصيرة المؤمنين , وبينت للبشرية جمعاء طريق الخير والصلاح والإصلاح , واخرجت أُمما من الظلمات الى النور ,***فهو كلئلئه والكوكب الدري*** في أنارته ووهيج ضيائه ونوره الساطع الذي لا يخفى على من قرئه ونظر فيه بتبصر وبصيره , فهو ساطع وضاء في البيان والتبيان , وفيه شفاء لما في الصدور , ونوره مهيمن على كل الانوار التي جاءت بها الرسل من قبل )) كما قال تعالى (ومهيمنا عليه) اي مهيمنا بنوره الساطع على كل الانوار ويزيدها نور على نور., كما تزداد القلوب النيرة المؤمنة نورا على النور الذي فيها . فنور القرآن يملئ الافاق ليشع على البشرية جمعاء ,فهو رحمة للعالمين , قال تعالى "وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين " اي أنه نور هداية لكل الاقوام والاجناس التي تبحث عن نور ربها , كما بينة سورة فصلت 44 , أنه نور لكل الاقوام والأجناس المؤمنة والمؤتمنة على العهد , يقول تعالى عن هذا النور ( ولو جعلناه قرأنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أءعجمي وعربي \* قل هو للذين أمنوا هدى وشفاء \* والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى\* أولئك ينادون من مكان بعيد) , فالله يبين لنا في هذه الآية ان نور القرآن هدى وشفاء يشع في القلوب المؤمنة المطمئنة عربية كانت او أعجمية, والتي لا تزال بصيرتها تبصر بنور الفطرة, فهي تفهم معانيه وإن كانت لغة لسان حالها غير لغة العرب , فللقرآن نور هداية لا يفهم لغته إلا القلوب المطمئنة المؤمنة, فهو هدى وشفاء لها أيّنْ كانت لعرب او لعجم , ,أما القلوب المعاندة والتي ملئها الشيطان بالكبر والعناد فهو عليها عمى , أيّن كانت لعرب ام لعجم . فقد فصلت آيات القرآن لقلوب المؤمنين كما يفصل الثوب على صاحبه، فهو يخاطب القلوب بلغتها , ولذلك نرى تلك القلوب المؤمنة تقتبس من أنواره كل يوم نور جديد يضيئ لها ظلمات كانت تعيشها, ويزيح عنها غشاوتها , فهو الدواء الشافي للقلوب التي ليس فيها عمى ,وهو النور لإولي الالباب , كما قال تعالى ( إنما يتذكر أولوا الالباب ) , فهو الهداية والنور المبين .

فالقرءان الكريم هو كالكوكب الدري في وضوحه وبيانه واعجازه, فلا يضاهيه نور, ولا أية ولا تبيان. , فيقول تعالى في سورة العنكبوت 51 ( أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ) اي ان نور هذا الكوكب الدري يغني عن كل الآيات والمعجزات فقد رحمهم عن عناء البحث عن الآيات والدلائل ,ففيه تبيان لكل شيء وهدى ورحمه وشفاء لما في الصدور وفيه ذكرى وتبصر للإولي الألباب والعقول النيرة , فهو الآية الكبرى والمعجزة الباقية الى يوم الدين .فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم . ثم تقول اية النور بعد ذلك أنه: -

(يوقد من شجرة مباركة زيتونة

اي أن هذا الكتاب يوقد من قلب المؤمن , اي يضاء نوره ويشع في قلوب المؤمنين , اي تظهر معانيه وأنواره من القلوب المؤمنة التي تستنبط منه الاحكام والمواعظ , والتي تستبين منه عظائم خلق الله وقدرته وعظيم قدره جلى وعلا وشأنه , وهذه الشجرة المباركة هي القلوب المنفطرة السليمة التي زرعها الله في صدر الإنسان , اي ان هذا القرأن لا يوقد ويشع نوره إلا في القلوب المؤمنة والتي فيها الفطرة نقيه وسليمه بما فطرها الله عليها, والفطرة تمثل زيت هذه الشجرة المباركة الزيتونة "قلب المؤمن" , والتي فيها العهد والوعد ,كما جاء في أية العهد , فهذا الزيت الفطري يوقد الزجاجة "القرأن " في قلب المؤمن , لإنه الزيت الموقد لشعلة نور القرأن , فبهذه الشجرة ينار قلب الانسان وعقله ويهتدي الى سواء السبيل. وهذا يبين ان القرأن لا يوقد ويشع إلا في القلوب المؤمنة، ولذلك نجد ان ليس كل من قرأ القرأن شع في قلبه وأتقد ورئ النور الذي جاء به .

فهذه الفطرة السليمة التي تنبت من الشجرة الزيتونة القلب , الذي هو مركز الانسان , ومرتكزه في الصدر , والتي تنبع من ذاته ,لا من شرقه ولا من غربه (لا شرقية ولا غربيه) أي انها ليست من تأثيرات المحيط الخارجي للإنسان ,بل هي من نبت القلب وزيت شجرة القلب ( الفطرة) ,والتي تتوقد بكلام الله ,فتصبح نور على نور, وتصبح مصدر اشعاع ونور تهدي وتنير لمن حولها كما قال رسول الله (ص) ان العلماء هذه الامه هم ورثة الانبياء , وان علماء امته كأنبياء بني اسرائيل , فقلوب عباد الله الصالحين تشع قلوبهم بالنور كما تشع قلوب الانبياء بالنور والهداية للناس .

(غير أن هذا النور، "كلام الله وقرأنه" إذا لا مسى القلوب القاسية، اي التي قد فسد زيت الفطرة فيها، فلا يشع ولا يتقد، وذلك مصداقا لقوله تعالى (الله ولي الذين أمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فقلوب أولياء الله ينيرها الله بنوره ويزيح عنها الظلمة التي علقت بها , فتصبح نيًرة بنور ربها ,وتصبح هي مصدر نور إشعاع لكلام الله ونوره . واما القلوب الكافرة التي كفرت بالنور المرسل من ربها إليها وجحدت به، فأنها تزداد جحدا وطغيانا ورجزا، ويزداد عنادها، فيخرج ما كان بها من نور فتصبح سوداء كالحه وهذا تصديق لقوله تعالى بوصف الكافرين في سورة التوبه125 (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه أيمانا فأما الذين أمنوا فزادتهم أيمنا وهم يستبشرون 124 وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجزا الى رجزهم وماتوا وهم كافرون 125) .

فالقلوب التي لا تتقبل النور، يكون زيت الفطرة قد فسد فيها فلا يوقد بنور القرأن , بل ان النور والقدح الرباني حين يلامس زيت الفطرة الفاسد يخرج دخان اسود يزيد ظلمات القلب ظلمه , ويزيدهم رجزا الى رجزهم ويموتوا وهم كافرون .

وفي قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) فهنا التأكيد على ان فطرة الانسان

"زيت الشجرة" هو نور بحد ذاته يهدي الانسان ويرشده الى الخير أذا ما بقي سليم من التلوث مما حوله من المؤثرات الضالة، لذا نجد رسولنا الكريم يقول" ان الانسان يخلق مسلما بفطرته فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه". فالفطرة هي مصدر نور بذاتها، فهي اشعاع نوراني رباني لهداية الناس الى طريق المستقيم طريق الحق الذي لا يزيغ شرقا ولا غربا.

فعندما يلامس نور القرأن ذلك القلب السليم المنار بنور الفطرة السليمة، والتي لاتزال تذكر عهد ربها , يزداد الإنسان نورا على نور , اي نور القلب المتقد من الفطرة , مع نور الرسالة السماوية . **(نور على نور )**  ,فهذان النوران اذا ما شعا في قلوب المؤمنين لا يمكن ان يحجبه او يطفئه اي ضلال . وكذلك نجد ذكر هذان النوران في قوله تعالى في سورة الحديد الآية 28 (يأيها الذين أمنوا أتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتيكم ***كفلين من رحمته*** ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) حيث نجد ان المخاطب هم الذين امنوا لأن يتقوا الله ( فتقوى الله تدل على سلامة الفطره ) وعندها سيدخل نور القرءان الى القلب ليكتمل النوران , وهما الكفلين المذكوران في هذه الآية , "والله اعلم", وعندها يكون الانسان طاهرا من الذنوب مغفورا له وذلك تصديقا لقول رسولنا الكريم انه اذا ما تقبل القلب نور الاسلام , غفورة ذنوبه ,وخرج نقي من الذنوب كما ولدته امه, أي يخرجه من الظلمات الى النور , إن هذا النور اذا لامس القلوب الزكية وأضاءها , لا يطفأه اي هوى وضلال ,يقول تعالى (يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) اي ان نور الرسالة المحمدية سينير نور الفطرة في قلوب الناس ويتم نعمته عليهم , كما خاطبهم وبشرهم بذلك في سورة المائدة بقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ) اي أن هذا الاتمام النوراني قد اكتمل بهذه الرسالة الخاتمة , فمن جحد هذا النور وأراد ان يطفئه بالباطل من القول , فلا حجة له عند ربه , يقول جل وعلا (ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء), اي بعد ان أُضيئت الفطرة بنور الرسالة , واصبح نور على نور ,بعدها لا عذر لمن كفر وجحد بوجود الله وربوبيته على البشر , وذلك لإن الله جلا وعلا , يكون قد استوفى الحجة على عباده ,بعد ان ارسل إليهم الرسل لتوقد نور الفطرة , ولذلك يصف الله الشرك بالظلم العظيم , لآنه إنكار للنور الكامل المستبين في القلب , الذي لا ينكره إلا جاحد ظالم لنفسه مبين , فكُلُ ما في القلب يشهدُ بأن الله واحد , كما يثبت الله تعالى هذا بقوله (جحدوا بها وستيقننها انفسهم ) .

و ***(يهدي الله لنوره من يشاء***) من عباده ذوا القلوب المتشوقة لنور السماء، والتي حفظت العهد التي ستوثقها الله اياه، ويقول تعالى (أوفوا بعهدي أوفي بعهدكم) اي حافظوا على العهد الذي اخذته عليكم وأشهدتكم عليه انفسكم بأني ربكم، عندها سأوفي بعهدي لكم واهديكم الى طريق الرشاد والهداية لتنالوا جنتي ومغفرتي ورحمتي وتكونوا من عباد الله الصالحين. وهنا يتبين لنا من هم الذين يختصهم بهدايته وينصرهم على شرور أنفسهم وشرور ما يحيط بهم من الجن والانس، فالله يقول " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم " على الهداية كما يثبتها عند القتال والنزال.

ولتوضيح الهداية في هذه الآية يجب ان بين أن الهداية نوعان.

فالهداية عندما تذكر في كتاب الله تأتي بنوعين هداية الدلالة وهداية التوفيق.

الهداية الاولى: هي هداية الدلالة الى طريق الخير كما جاء في سورة [**النمل - الآية 63**](http://quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=27_63) (أَمَّن يهديكم فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) اي ان الله هو الذي يدلكم ويرشدكم إذا ظللتم في ظلمات البر والبحر. فالله يهدي الجميع مؤمن وكافر، اي يهدي الجميع الى فعل الخير والابتعاد عن طريق الشر والهلاك والخسارة والندم في الدنيا والآخرة. فهو الله "الذي قدر فهدى، اي قدر لكل شيء قدره فهاداه وسيره الى ما قدره له، وهو الذي هداه ويسر وسهل له طريق الهدى والنجاة من المهلكات، وعلمه طريق الحفاظ على نفسه وجنسه.

وأما هدية التمكين والإعانة في فعل الخير والتوفيق اليه. فلا ينالها إلا اصحاب القلوب المنفتحة التي تبحث عن الحق وعن الهداية، والتي لا زالت تذكر عهد ربها، والتي هي في شوق لتلقي نور ربها، فهذه القلوب يأتيها العون والمدد من الله، وتفتح لها ابواب الهداية ويدخل نور الحق الى تلك القلوب، فتُقبِل على عمل الخير، ويُيسر لها ويحبب إليها، ويكره لها الكفر والفسوق والعصيان فأولئك هم الراشدون كما وصفهم الله. فالله يعين من هو مقبل عليه صادقا في توجهه لعمل الخير. ومعنى ان الله لا يهدي القوم الكافرين اي ان الله لا يذلل العقبات ولا يسهل امر هدايتهم، فالهداية لا تكون إلا للذي تلين قلوبهم لذكر الله، وتقبل بالحق إذ جاءها وتسلم له، اي ليس فيها كِبرٌ وعناد. فالمعونة والعناية والتمكين من الله العلي القدير على الطاعة والتوفيق تأتي للقلوب المقبلة المتشوقة لنور الله لا للقلوب المدبرة الناكرة الجاحدة. **فالله يُكَرِه الشر والفسوق والعصيان للقلوب المؤمنة، ويحبب إليهم الايمان ويعينهم عليه ويزينه في قلوبهم. ويهون عليهم صعوبة الطاعة ويخفف عنهم شراهة الشهوة ويحبب إليهم كل اعمال الخير والصلاح. فالهداية التوفيقة تكون بيد الله وحده ,** لذلك يقول لرسوله " إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء " ويبين لرسوله " فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا **الْبَلَاغُ** وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ " الشورى 48 , ويقول لرسوله " لا تذهب نفسك عليهم حسرات" ثم يبين له حقيقة الامر بقوله " ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها \*ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين " السجدة الآية 13 .

من هذا نستنتج ان الهداية الاولى وهي هداية الدلالة على فعل الخير والابتعاد عن الشر وأهله، وتكون هذه الهداية موجه الى العقل ليعقلها ويسترشد بنور هدايتها الى الطريق الصحيح، فاذا ما اقتنع العقل وعمل بها , تأتي الهداية من الله الى القلوب , اي يُدخلُ الله حب ذلك العمل الى القلب , فتتلقفه الفطرة السليمة ,عندها ينسجم الانسان مع نفسه, وتنقشع ظلمت هوى النفس والشيطان , ويزيح الله الظلمة عن قلبه .

إذا فتوصيل الهداية للقلوب هو بأمر الله. وهي هداية التمكين. فهداية التمكين هي هدية من الله لا يملكها غيره. وقد جعل الله لرسوله هداية الطريق، حيث قال له "وإنك لتهدي الى صراط مستقيم". ولذلك قيل إن العقل مطية توصلك الى باب السلطان، ولكن لا تدخلك عليه "اي القلب". وذلك معنى قوله تعالى (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) اي ان هداية التوصيل الى القلب، لتنار الفطرة وتنسجم مع نفسها، هي من عند الله وحده. وقد بين الله هذا في سورة الانعام 108 -113 , ردا على الذين يقسمون بزعمهم أنهم إذا جاءتهم أيةٌ ليؤمننا بها، فيجيبهم تعالى بقوله:

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آَيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآَيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (109) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَالَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (110) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111)

فيبين الله توهم هؤلاء القوم ويبين لهم ان الايمان لا تحققه الآيات والدلائل المادية المعجزة للعقول، ولكن من يفتح القلب لها هو الله وحده فهو الذي بيده القلوب يقلبها كيفما شاء , ويهدي من يشاء , ولو اجتمع كل من في الارض والسماء على هدايتهم ما استطاعوا . لآن الهداية بيد الله وحده. وأنه لو اجتمعت كل مخلوقات الارض والسماء، من ملائكة , وانس وجن , ومن كل ما خلق من شجر وحجر وحيوان , من الاولين والأخرين, فلو اجتمع كلهم ميتهم وحيهم , وحشر عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا ان يشاء الله .

وكذلك تخبرنا سورة الزمر في الآيتين 22-23 بهذا المعنى, بقول تعالى( أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ظلال مبين\*22 الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ومن يضلل الله فما له من هاد23) أي ان النور يدخل الى القلوب المنشرحة المتلهفة الى نور ربها ,فمن يجد الله في قلبه شوق وصدق وتلهف لنور الحق , يشرح صدره وينيره بنور الهدى , أما المتكبرين المعاندين والصادين عن طريق الهداية , والقاسية قلوبهم عن ذكر الله , فأولئك لا نصيب لهم من الهداية والنور وأولئك هو الضالون .

وهذه الآية تبين وتؤكد " والله أعلم " ان ما في القرآن من نور هو مثاني مشابه ومتشابه مع ما في الفطرة من نور وهداية , ولذلك ترى القلوب ذو الفطرة السليمة تنشرح وتتلهف لذكر الله ,وتقشعر جلودها لذكره , فتفرح باللقاء النور الرباني , كاشتياق العاشق المحب لحبيبه ,وكالضال الذي وجد ضالته, وكالعطشان الذي وجد ما يروي عطشه , فالقرآن هو الماء الذي يروي عطش الفطرة الى نور ربها , فإذا ما سمع ءايات الله تتلى عليه خشعت قلوبهم ولانت جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله, لإنها طابقت ما في فطرتها , وكلمتها بلغة تفهمها وبحديث يشابه حديثها .

وقال الطبري في قوله (بل هو ءايات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) (55) قال " حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، قال: قال الحسن البصري رحمه الله، في قوله: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) فقال القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، يعني المؤمنين. (56).

والمؤمنين هنا هم اهل الكتاب لآن الآيات التي قبل هذه الآية كانت تتكلم عنهم، فقلوب المؤمنين من الذين اتوا الكتاب من قبل، هي منارة بنور الله بما جاءها من نور ربها، ولذلك أدركت ما يتلى عليها من آيات القرآن الكريم، لآنه مشابه ومثاني لما في الفطرة من نور , فالفطرة النقية السليمة تُقبل على ما أنزل الله من الكتاب بشوق ولهفه . لإنه يناغم ويطابق اصل ما طبع عليه الانسان من علم وعهد، فهذا التناغم والتلاقي للمتشابه والمثاني لما في الفطرة من علم، يجعل الجلود تقشعر والابدان ترتجف فرحة ورهبة بهذا اللقاء المنتظر لنور الله. فارتاحت النفس من عناء البحث عن ضالتها، التي كانت تبحث عنها في خضم الضلال الذي حولها.

ونجد هذه القشعريرة في الذين تلين قلوبهم الى ذكر الله من الذين يؤمنون من اهل الكتاب وغيرهم، حين يلاقي هدى الله قلوبهم المتلهفة لنور الحق فنجد ذلك الوصف القرآني فيهم عندما ينطقوا بشهادة ان لا إله إلا الله وان محمد رسول الله.

يقوله تعالى ((اذكروني اذكركم)) (57) فان الله جلا وعلا عندما يرى الفطرة تبحث عن النور والهداية وتذكر ربها فأن الله يمد لها يد الرحمة ويعينها ويذكرها عند ملائكته برحمته بها. فتطلب الملائكة لها المغفرة من الرؤف الرحيم، فتنار البصيرة وتصبح على نور من ربها

**موت القلوب:**

أما القلوب التي ليس بها نور فهي قلوب ميته لإنها لا تحمل شحنه كهربائية نورانية ترشد العقل ليدرك كنه الحياة وسر وجودها ووجوده، فالقلوب كألة الكومبيوتر إذا لم تتصل بالكهرباء فهيه قطعة معدنية لا فأئده فيها، وكذلك القلب من غير نورانية الهدى ما هو إلا مضخة للدم.

فالأنسان الذي ليس في قلبه نور، هو انسان ميت، حتى ولو كان فيه روح الحياة، لإن حياة الانسان الخالية من معرفة خالقها، ليس بحياة حقيقيه بل حياة لهو ولعب كما وصفها ربها في قوله (وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الحيوان لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (58) ,فالذي في قلبه نور هو من يبحث عن الحياة الحقيقية الأبدية ذات النعيم المقيم

فالأنسان الذي يعيش بقلب ميت هو ميت، كالحجر المركونة في ظلمات هذه الكون، لا يدرك نفسه ولا سببا لوجوده، ولا يدرك عظمة خلقه، وخالقه، فهو كالأصم الاعمى لا يسمع ولا يبصر , فليس في قلبه نور ,كما يصوفهم رب العالمين بقوله ( أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بل هم اضل سبيلا )(59), فهم موتى لا يسمعون ولا يعقلون كالأنعام تأكل وتشرب وتتحرك ولكن لا تعقل شيئا, حتى ولو ظنت انها تسمع او تعقل .

أما من اراد الحياة الحقيقية الأبدية وسعى لها سعيها، اخرجه الله من الظلمات الى النور، واحيا قلبه بالنور من عنده، وأما من طابت لهم الظلمة واحبوها فيتركهم الله في الظلمات ليسوا بخارجين منها، يقول تعالى (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (60) .

فالله يحيي القلوب بعد موتها، بنور هدايته فيريها حقيقة الحياة التي يعيشها والغرض والغاية منها.

ثم لنكمل اية النور من سورة النور، إذا تقول

(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها أسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال \* رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة\* يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار \* ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزدهم من فضله\* والله يرزق من يشاء بغير حساب) فالله يقول ان المساجد هي بيوت الله وهي مراكز للنور في الارض , كما ان القلوب المليئة بنور الله مراكز للنور , فالمساجد المعمرة والمنارة بقلوب رجال يذكرون الله كثيرا بالغدو والاصال ,والذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن الذهاب الى المساجد وأعمارها بالصلاة والذكر والتسبيح والتهليل بكل الاوقات , فهؤلاء الرجال يجعلون من بيوت الله منارات للهدى والإصلاح , فيتفقدوا احوال الناس وينفقوا من اموالهم للفقراء والمساكين والمحتاجين , وهذا هي العبادة التي ارادها الله ان تكون في مساجده , وهي التي خلق الله الإنسان لآجلها , يقول تعالى , " وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون \* ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون \*إن الله هو الرزاق ذي القوة المتين "(61) صدق الله العظيم , فهؤلاء الرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن الصلاة , فأنارت تلك القلوب بيوت الله, فأصبحت تلك البيوت منارات للهدى والصلاح للبشرية جمعاء , قال تعالى "إنما يعمر مساجد الله من أمن بالله واليوم الاخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخشى إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المؤمنين " فبهؤلاء تبنى مساجد الله , لتكون مناراه للهدى والصلاح .

ثم يبين الله لنا حال الغارقين في الكفر والظلال، فيقول تعالى ((والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاة حسابه والله سريع الحساب)) (63). فيبين الله لنا ان اعمال وادعاء الكافرين وظنونهم ومعتقداتهم البعيدة عن شرع الله تأخذهم الى سراب وأن ظنونهم وأمانيهم لا حقيقة لها، وأنهم يعيشون في التيه الى أن تنتهي حياتهم، ليجدوا أن كل ما كانون يدعون اليه سراب وزيف وظلال، ثم وجدوا الله بعد فراق هذه الحياة الدنيا فوفاهم حسابهم على ما كانوا فيه من ظلال.

فالقلوب التي غشيتها الظلالة تخدع صاحبها فتريه الباطل حقا، لإنها خالية من نور الحق، فيستمر في غيه ضنا منه انه على حق، ولكنه سيجد حقيقة عمله الباطل يوم القيامة.

ولقد شبه الله ذلك الضال الذي يبحث عن الحقيقة في بصيرة عمياء كمثل العطشان في الصحراء يبحث عن الماء، فيحسب غبار الصحراء وترابها على انه ماء، فيهرع الى ذلك السراب، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

إن مثل هؤلاء الناس كثيرون في أيامنا هذه، وفي كل الأزمنة، إنهم دعاة الضلالة، الحمقى الذين يجزمون انهم على حق، ويظنون ان ما يرون في افقهم الاعمى هو ماء الحياة، وسبيل النجاة في صحراء الحياة، وان مسيرهم في اتجاه ذلك السراب سوف يصلهم الى طريق النجاة، طريق حوض ماء الحياة السرمدية الأبدية ليرتووا منه ويرتعوا. لكنهم في كل مره ينتهون الى سراب من غبار الغي، وحرارة حيف شياطين الانس والجن التي تزين لهم ذلك الغي والحيف، وتبديه لهم على انه هو الحق، وان غيرهم على الضلال. وكما أضل فرعون قومه وقال لهم ما اريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد، ولكنه لم يكن يرى إلا سراب كبريائه، فأوردهم الغرق في الحياة الدنيا، وأوردهم النار يوم القيام، فبئس الورد المورود من ذلك السراب الزائف الذي اخذهم اليه. يقول تعالى (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد \*) (64) , وقال تعالى ( ......فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد \* يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود)(65) .

إن هذه الصدمات المتتالية من اكتشاف زيغ السراب ما هي إلا تنبيهات وإرشادات من الله تعالى في هذه الحياة الدنيا، لكي يرجع الإنسان الى رشده ويتذكر ويتفكر إن كان من أولي الألباب، ولكن إذا ما أصروا واستكبروا، يقلب الله ابصارهم وافئدتهم كما لم يؤمنوا به اول مره ويذرهم في طغيانهم يعمهون.

ويحصل هذا التصادم بالحقيقة كذلك عندما تصطدم عقولهم باكتشاف علمي جديد يبين عظمت خلق الله، فيبتدأ العقل يبث موجات كهربائية نورانية الى القلب ليحرق عنها غشاوة الضلال ليصل الى لب القلب "الفطرة ", ليوقد فيه نور الفطرة "البصيرة" , فإذا ما نجح واتقدت الفطرة , رأى الإنسان حقيقة ما حوله ,فعرف ربه وخالقه , واستنارت بصيرته .

وأما الذين لم تستطع تلك الموجات المعرفية ان تخترق غشاوة الظلامة التي على القلب فسوف يبقى في تلك الدائرة المظلمة.

فالقلوب التي غشيتها ظلمات 1هوى النفس و 2غوى الشيطان ووساوسه و3غوى بني البشر , فهي في ظلمات ثلاث , لا تدرك النور ابدا , فمن لم يجعل الله له نور فما له من نور, يقول تعالى في سورة النور (( أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يداه لم يكد يراها , ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور ))(67) فالظلمتان الاوليتان من امواج البحر هما من داخل البحر واللذان هما يمثلان في الإنسان هوى النفس و وساوس الشيطان الذي يجري في الانسان كمجرى الدم في شرايينه , واما السحاب فهو الظلال والظلام القادم من المحيط الخارجي من شياطين الانس , وهم اللذين يحيطون بالإنسان من كل جانب كإحاطة السحاب بالبحر, فهذا الانسان الذي غشته تلك الظلمات الثلاث, لا يمكن أن يرى النور, ولو حشر عليه كل شيء قبلا , يدعونه لنور الله . فمن لم يجعل الله له نور فما له من نور. فلو وضعت كل الدلائل بين يديه، فهو لا يستطيع أن يرى جرم ما تقترف يديه، إلا ان يشاء الله، فهؤلاء هم الذين قد ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

**شواهد وبينات المعرفة الفطرية للأقوام السابقة من القرآن الكريم:** -

يبين الله لنا في كتابه الكريم احوال الاقوام والامم السابقة مع انبيائِهم والمرسلين الذين أرسلوا إليهم، أن خلافهم معهم لم يكن الايمان بوجود الله ولكن كان في تكذيب الرسل، بأنهم غير مرسلين من الله رب العالمين الذين يؤمنون به ولا ينكرونه، لقد كانت مشكلتهم وما لبس عليهم الشيطان، أنه كيف يبعث الله لهم رسول من انفسهم، من البشر، ولا يبعث ملائكة من عنده تبلغهم رسالة ربهم. وكانوا يقولون لو شاء الله لبعث ملك رسول. وكانت تلك من مكائد الشيطان ليزيغهم عن اتباع رسل ربهم، فوسوس لهم بأن الله لا يمكن ان يبعث رٌسلا بشر الى البشر، يقول تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث اللهُ بشراً رسولا \*94 قل لو كان في الارض ملائكةً يمشون مطمئِنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا\*95) (68). فالله يؤكد لهم أنه يبعث رسله الى خلقه من جنسهم، فيبعث للبشر بشرا رسولا ويبعث للملائكة ملك رسولا. وكذلك قالت قوم نوح ما قال الاولون، يقول تعالى (ولقد ارسلنا نوح الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون \*23 فقال المليء الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين \*24 إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين \*25) (69) .

وكذلك في قصص الاقو36 إني جاءت بعد قوم نوح , يقول تعالى ( ثم انشأنا من بعدهم قرنا اخرين \*31 فأرسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون \*32 وقال المليء من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا ألا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون \*33 ولئن اطعتم بشرا مثلكم أنكم أذا لخاسرون\*34 أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون \*35 هيهات هيهات لما توعدون \*36 إن هي ألا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين \*37 أن هو ألا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين \*38 ) (70)., فهم يعترفوا بوجود الله ولكن يكذبون بشخص الرسول , وليس بالله الذي يقرون بوجوده ويجدون عظمته وقدرته في نفوسهم.

إن الأسباب الحقيقية لتكذيب الرسل، هو اتباع الإنسان هواه وشهواته ونزواته، فالمكذبين هم الذين اترفوا في هذه الحياة الدنيا فاطغوا وتجبروا، ونسوا حقوق الله فيما اتاهم، فهم لا يريدون ان يسمعوا ما يخالف اهوائهم او يعارض اطماعهم وغيهم . ولذلك قالوا لو شاء الله لبعث ملكا رسولا، لإن ما أتى به الرسول لا يوافق أهواءهم.

وهناك سبب اخر لتكذيب الرسل كما جاء في قصة موسى مع فرعون وقومه، يقول تعالى (ثم ارسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين \*45 الى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين \*46 **فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهم لنا عابدون** \*47 )(71) , فالتكذيب كان سببه الاستعلاء ولاستكبار على موسى وقومه من بني اسرائيل , لإن بني اسرائيل كانوا مستعبدين من فرعون وقومه . فكان ملوك ال فرعون يدّعون ان الاله يتمثل بهم ويعطيهم القوة والإرادة، وأنهم رسل الله ويمثلون ارادة الله على الارض، كما قال فرعون لقومه " أنا ربكم الاعلى " أي أنا الذي بيدي تدبير امركم ورزقكم والظاهر عليكم فستخف قومه بهذه المقالة فأطاعوه، تعصبا واستكبارا على موسى وقومه، فكيف يبعث الله رسوله من عبيدهم ولم يبعثه فيهم وفي ملوكهم! فأطاعوا فرعون وعصوا موسى تكبرا واستكبارا على الرغم مما عرفوا من الحق والبينات التي جاء بها موسى، يقول تعالى " لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا "(72).

وكذلك استكبرت العرب على محمد صلى الله عليه وسلم، اليتيم الفقير، كيف له ان يكون هو صاحب الرسالة الخاتمة من رب العالمين فقالوا “وقالوا لولا نُزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم"(73) , أي أن عدم إيمانهم كان مشاكسة ومعاكسه من هوى الشيطان وهوى النفس , ان يكون رسول رب العالمين من ضعفاء قومهم لا من كبراءهم ,وكذلك حين تكابرت العرب بعضها على بعض . فقالت الاعراب منا رسول ومنكم رسول.

وكذلك بين الله سبب عدم ايمان بني إسرائيل وجحودهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم , أنه كان استكبارا وحسدا , لإنهم ظنوا ان الرسالة الخاتمة التي أخبرهم بها رسولهم موسى عليه السلام , سوف تكون في بني اسرائيل ,ولذلك جحدوا بها حين لم تنزل فيهم, وقد استيقنت ها انفسهم ظلما وعلوى, وقد عرفوها كما يعرفون ابنائهم . يقول تعالى (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كما يعرفون أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ )(74) , ويبن الله جحدهم وإنكارهم لما عرفوا من الحق , في قوله تعالى (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ **وَكَانُوا** مِن قبل يستفتحون عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ )(75) . وكذلك حسدا من أنفسهم، في قوله تعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حسدا من عند أنفسهم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (76).

**لقد كانت الفطرة مؤمنة بوجود الله الخالق والرب المهيمن الرازق كما تبين في تلك الاقوام السالفة إلا ان هوى النفس والاستكبار والاستعلاء هو الذي منعهم من اتباع ما جاءت به الرسل فكفروا بها واستيقنت ها أنفسهم ظلما وعلوا.**

**وحدانية الله واليوم الاخر عند غير المؤمنين :**

إن الإيمان بوحدانية الله واليوم الاخر هو العامل الاساسي لتحديد هوية الإنسان وتوجيه بوصلته في هذه الحياة وتكوين شخصيته الحضارية والعلمية، لذا علينا أن نبحث عن سبب عدم الإيمان.

إن أول هذه الأسباب هو تشوش الفطرة بالذنوب التي تُخْفت انوار البصيرة , فتجعلها عاجزة عن ادراك عظمة ربها وخالقها العظيم الجبار , فقصور ادراك عظمت الله , جعلتهم يجعلون له انداد وشركاء واعوان أو جحود وجوده , فمن جهل الصنعة جهل الصانع ,فهؤلاء عجزوا عن ادراك عظمة خلق الله وتدبيره وتقديره ,فذهبوا الى اطلاق توقعات وتخمينات ودعوا انها حقيقة وماهية ذلك الخلق العظيم , ثم جاء غيرهم من بعدهم وابطلوا تلك النظريات بنظريات اخرى لاختلاف نظرتهم وتفكرهم في عظيم تلك الموجودات , ومنهم من توقف عن التفكير ورفض كل التفاسير التي جاءت من قبله وعاش في مجهول ظلمات نفسه , ومنهم من رأى عظمة الخالق فيها , ومنهم من امن به ومنهم من جحد به ظلما وعدونا على الحق والحقيقة التي تراءت له , وكل ذلك مألة عدم ادراكهم وجهلهم بعظمة الله , ولذلك جعلوا له شركاء من خلقه , لقصور عقولهم عن ادراك عظمة خالقهم . فالله جل وعلا يخاطب هؤلاء ويقول لهؤلاء افلا ينظرون (في الافاق وفي أنفسهم فلا يبصرون)

لقد توالت الاقوام والامم في العصور والازمان وكل جاء بفكر وبنظرية عن عظيم الخلق الذي حوله، وكل جعل له مذهبا ودينا على قدر ما كان في قلبه وعقله من نور، لإن هذا العلم هو علم رباني له بذرة في صدورهم وقد انفطرت بها قلوبهم، ولذلك بعث الله الرسل لكل الامم لتعلمهم وترشدهم الى خالقهم وخالق كل شيء الواحد القهار ولتنير نور فطرتهم التي فطرهم الله عليها من جديد، وبين هذه وتلك الازمان والفترات بين الرسل تضٌلٌ اقوام وتزيغ وتهتدي اقوام. لقد بقي هذا الحال يتدحرج في الازمان والاقوام على قدر عقولها والنور الذي احتفظت به قلوبهم، الى ان ختم الله رسالته الى البشرية بخاتم المرسلين محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم، برسالة شارحة وموضحة ومفصلة ومبينة ومحفوظة من أن تتلاعب بها ايدي الناس، تحمل في طياتها النور الى كل البشرية الى ان يرث الله الارض ومن عليها.

ومن تلك المخاضان والتخبطات وجدنا كيف ان الرومان، جعلوا من ألاله ألهه كثيره، فجعلوا إله للحرب وإله للزرع وإله للضرع وإله للحب، وتمثلوا ألهتهم بأشكال من الحجارة، وعبدوا النجوم والاقمار والشمس وفي كل ما عظم في صدورهم، وأطلقوا عليها اسماء من هوس الشيطان لكي توافق ادراكهم للألها، فجعلوا إله لكل ما يحتاجون إليه , وكذلك فعلت العرب واقوام غيرهم جاء ذكرهم في القرآن والكتب السماوية الآخرة . وكذلك فعل علماء البوذيين والهندوس بان جعلوا لإلهتهم اشكال وصور، لإنهم ظنوا أن عقول عموم اتباعهم لا تستطيع ان تدرك الاله وتخاطبه من غير صورة وتمثال يقربه الى اذهانهم. فهذا الاعتقاد بقصور الادراك هو اعتقاد منهم بظلمة الفطرة وعماء البصيرة عندهم وعند اتباعهم.

ولقد جاءت كل رسل السماء تدعوا الى وحدانية الله، يقول تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليهِ أنه لا إله إلا انا فعبدون ). (78) . وذلك لتخليص الفطرة مما شابها من ظلمات.

**البحث عن الإله لمخاطبته:**

فكلما كثرت الذنوب وغلب هوى النفس والشيطان , كلما بعد القلب عن رؤية ربه , والعكس صحيح , اي كلما صح القلب وخلى من الذنوب, كلما تقرب الى ربه وخالقه فلا يغيب عنه ربه وخالقه لحظة , لا في الصحوة ولا في النوم , يقول الشيخ الجليل عبد القادر الجيلاني رحمه الله و رضي الله عنه وارضاه ((أن اقرب شيء الى الله هو القلب الصحيح السليم)) ,فاذا لم يكن القلب صحيحا وسليما كان بعيد عن الله , ومن كان بعيدا عن الله لم يعرف الله حق معرفته وقدره , فيجعله في ادواته الصغيرة من تماثيل وصور كي يستطيع مخاطبته والوصول اليه ,وذلك لانقطاع النور عن القلب وانقطاع الاتصال بربه .

ولقد تجلى هذا الظلال والعمى القلبي عند بني اسرائيل حين عبروا البحر ورأوا قوما يعبدون اصناما لهم. فقالوا لموسى اجعل لنا إله كما لهم الِهه، وهذه دلاله على أن غشاوة الظلال لم تنقشع بعد عن قلوبهم، ولا تزال قلوبهم عمياء عن رؤية خالقها، وذلك لأنهم كانوا حديثي عهد بالإيمان. فأرادوا تشبيه الاله وتقريبه الى اذهانهم وعقولهم فقالوا لموسى أجعل لنا إله لنخاطبه ونتحدث معه، **لإن القلوب تكون في وحشه وخوف من كل شيء إذا لم تطمئن بوجود الله والتواصل معه ومخاطبته والاطمئنان بقربه**. وفي هذا دلاله على أن الايمان لم يكتمل او يتمكن من قلوب بني اسرائيل في تلك الفترة من الزمان، ولذا نجد أن الله سماهم بأصحاب موسى ولم يخاطبهم بالمؤمنين قبل عبورهم البحر. لقوله تعالى "قال اصحاب موسى إنا لمدركون “، فلم يصفهم بالمؤمنين او المسلمين، بل وصفهم بصفة الصحابة لموسى فقط وذلك لان الايمان لما يترسخ في قلوبهم بعد، ولم يدركوا ان الله أقرب إليهم من حبل الوريد. وكذلك كانت حالهم عندما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه، وتأخر عنهم عشر ايام عن ميعاده. فقالوا لقد ظل موسى إلهه. فجعل لهم السامري عجلا جسدا له خوار وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى، وجعل له خوار حين يدخل الهواء في جوفه يخرج صوتا، فحسبوا انه يكلمهم فاستأنسوا لفكرة ان الإله يخاطبهم فصدقوه واتبعوه.

ولما رجع موسى من ميقات ربه، رد عليهم ظلالهم وأهدى إليهم رشدهم، وقال لهم ألا ترون ان هذا العجل لا يرجع اليكم قولا ولا يملك لكم ضرا ولا نفعا، فرد عليهم ضالتهم التي يبحثون عنها في محاولة **مخاطبة الاله**.

إن هذا الظلال الذي وجدناه في قوم موسى كان سببه ان قلوبهم لم تتطهر وتتنقى من الرجس الذي كانوا فيه, ولم يتمكن النور الذي جاء به موسى ان يضيئ قلوبهم بعد, ولذلك وجدناهم قليلي الطاعة لموسى يخالفونه ويشاكسونه كثيرا, ولم يصلوا الى اليقين والتوكل الحق على الله , فامتنعوا من دخول الارض المقدسة التي امرهم الله أن بدخولها ,فقالوا لموسى لن ندخلها ما دام فيها القوم الجبارين , وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون .

وكذلك وجدنا ابراهيم عليه السلام، كيف كان يحاول انارة قلوب قومه ليخلصهم من الظلمة التي جعلتهم يجعلون من التماثيل والاصنام أله يسألونها العون والرزق والنصر، ويتقربوا بها الى الله . فكسر ابراهيم عليه السلام اصنامهم , ليبين لهم انهم ليسوا بإلهه, يقول تعالى على لسان ابراهيم وهو يتوعد ألهتهم (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ 70 ),(79).

,إن هذا الوصف التصويري التفصيلي في تحاور ابراهيم مع قومه , وهو يُواجِههم بحقيقة ألهتهم ,بأنهم لا ينطقون ,وأنهم عاجزين عن ان يدافعوا عن أنفسهم , وأنهم لا يستطيعوا أن يخبروا عمن حطمهم واهانهم , لقد حاول إزاحة تلك الظلمة عن بصيرتهم , ليعلموا حقيقة ما يعبدون فيرجعوا الى أعماق عقول قلبهم ليروا الحق , لقد بهتوا بما واجههم به من حقيقة معبوداتهم , فنكسوا رؤوسهم خجلا من حقيقة ما يعبدون فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ معترفين بأنهم هم الضالون " *فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ"*(79) في انفسهم , ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ من الخجل فقالوا لإبراهيم ورؤوسهم منكسة لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ , ولكن عنادهم وكبريائهم منعهم من ان ينصاعوا الى الحق ويرجعوا عن الظلالة والهوى , فأجاب كبريائهم وهو منتكس الرأس , بالغيظ والانتقام من ابراهيم . لقد عجزت عقولهم عن الافهام ولم تسعفهم قلوبهم بالإيمان. فقالوا حرقوه وانصروا الهتكم إن كنتم فاعلين فأرادوا به كيدا فجعلهم الله الاخسرين، فقد اتبعوا الباطل ولم يتبعوا ما ظهر لهم من الحق. فالكبرياء الذي اورثهم إياه هوى الشيطان وعنادهم القادم من هوى النفس، هو الذي منعهم ان يعترفوا بظلمهم لأنفسهم وبظلالهم، فردوا على ابراهيم من خلال كبريائهم وعنادهم وليس من خلال أنفسهم التي أدركت انها على ظلال، فردوا بجحاف، وقالوا انت تعلم ان هؤلاء لا ينطقون. وأردوا ان ينتقموا لكبريائهم وتعنتهم لظلالهم، فقالوا حرقوه وانصروا الهتكم إن كنتم تريدون نصرة هواكم وكبريائكم.

لقد أراد ابراهيم ان يزيح تلك الغشاوة بقوة الحجه , فقال لهم أف لكم ولما تعبدون من دون الله , أتعبدون الهه لا ينطقون ولا يسمعونكم اذ تدعون ولا يبصرونكم, ولا ينفعونكم او يضرون ,ثم تحدى ألهتهم وبين لهم الفرق بينهم وبين الإله الواحد المقتدر القهار فقال " أفرءيتم ما كنتم تعبدون\* أنتم وأباءكم الأقدمون \* فإنهم عدو لي إلا رب العالمين\* الذي خلقني فهو يهدين \*والذي هو يطعمني ويسقين\* وإذا مرضت فهو يشفين\* والذي يميتني ثم يحيين\* والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين\* " , فكان يخاطب فيهم الفطرة التي تعرف صفات الرب والإله , فبين لهم ان تلك الاصنام لا تملك تلك الصفات بل هو الله الواحد الاحد . فأراد ان يفهمهم انهم اذا ارادوا رؤية الإله فليرجعوا الى قلوبهم، عسى أن تنير عقولهم فيروا الحق، وتنكشف عنهم الغشاوة، فتنار بصيرتهم فيروا الله قريب منهم، ولا يحتاجوا الى تمثيله بصنم كي يحدثوه ويخاطبوه وليعلموا انه اقرب اليهم من حبل الوريد.

لقد اوردن هذا المثل لنبين أن القلب إذا ازحت عنه الظلمة بالحجة والبرهان فان الحق سوف يشع فيه، إلا أن كبريائه يطفأ ضياء الحق فينفخ فيه هوى النفس وغرورها فيطفئه، فترجع الظلمة الى القلب.

**طهارة القلب تستوجب الطاعة:**

فكما كانت الغلظة صفة قلوب قوم موسى، التي جعلتهم مخالفين ومعاندين لرسولهم ولم يعرفوا عظمة ربهم ومقدرته عليهم حتى انهم قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء، لغشاوة الذنوب التي رانت على قلوبهم.

نجد في المقابل اصحاب محمد (ص)اصحاب خاتم الرسالات الى البشرية جمعاء، كيف كانت طاعتهم وأمثالهم لأوامر ربهم ورسوله تمثل الإيمان الكامل واليقين الراسخ في صدورهم، لقد أنيره قلوب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، بما جاءها الحق من ربها، فكانت تلك القلوب تتلقى خطاب رسول ربها إليها وكأن الله يكلمها مباشرة. فلم يستطع الشيطان بفتنة الكبرياء , ولا النفس بهوس الهوى , ان يضلهم عما جاءهم من الحق , فكان هدى الله اقرب اليهم من كل شيء , فلم يغيب عن بصيرتهم ابد, فكانوا عندما يسمعون القرءان من محمد (ص) وكأنهم يسمعونه من الله مباشرة , وذلك لشفافية قلوبهم التي جعلت الاتصال مباشر والإرسال والاستلام واضحين بالصوت والصورة , فيرون صورة عظمة ربهم متجلية في كل ما يرون من حولهم, وفي ما يسمعون من آيات ربهم , فهم يرون عظمة الله في كل امورهم وما يحيط ويقع بهم او عليهم , لشفافية قلوبهم ولينها وانبساطها وطواعيتها لإمر ربها . لقد أنار الله بصيرة قلوب اصحاب محمد (ص) فصغت للعهد الذي اخذ عليها، فصار القرآن شفاء لما في صدورهم ودواء لها، لآنه طابق الفطرة التي فطرة عليها، فصار القرآن المقروء عليهم من رسول ربهم يطابق ويناغم وينسجم مع ما فطرة عليه قلوبهم، فتطابق المقروء المرسل وهو (القرءان)، بالمكتوب المختوم في القلب وهي (الفطرة والعهد الذي فطر الله الناس عليها).

فالقرآن منسوخ في قلب الانسان وان الرسل تأتي لتفعيله كما تُفَّعِل الكهرباء الكومبيوتر ليقرئ ما فيه، (فالقرآن إن لم يكن موجد بنصه في قلب المؤمن فبمعناه والله اعلم).

ولذلك كانت قلوب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، في تسليم كامل لأوامر ربها ورسوله، وبهذا التسليم والإيمان منحهم ربهم صفة المؤمنين في كتابه القرآن الكريم الذي أرسل إليهم، فكان يخاطبهم بالمؤمنين. ولم يعط هذا اللقب والاسم لغيرهم بالمطلق. لقد احتفوا برسولهم الذي أرسل إليهم وفدوه بكل غال ونفيس وقالوا له خض بنا البحر فنحن معك ولا نقول لك كما قال اصحاب موسى لموسى اذهب انت وربك فقاتلا بل نقول لك لو خضت بنا البحر لخضنا معك، لقد جعلهم هذا التسليم ان يمشوا على ماء النهر ايمانا منهم ان الله سوف يسخر كل شيء لهم لنشر دعوته ولنصر رسوله ورسالته ليحملها الى البشرية جميعا.

ان كل الرسل جاءت تدعوا الانسان للإيمان بالله والتسليم له في كل امورهم، غير ان الله لم يسما اي من تلك الامم بالمسلمين إلا اصحاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم. يقول جل وعلا في كتابه (هو الذي سماكم المسلمين من قبل ليكون الرسول عليكم شهيدا وتكون شهداء على الناس). لقد استحقوا هذا اللقب والاسم العظيم لإن قلوبهم امنت حقا وسلمت امرها لله وأمنت بكل صفاته وعظمته وقدرته عليهم وعلى كل المخلوقات. وبهذا جعلهم الشهداء على جميع الامم والإنسانية جمعاء، لإنهم امنوا بكل رسل الله، وشهدوا ان رسل الله جميعا قد أبلغت رسالات ربها وأدت ما عليها، وبهذا أصبحوا شهداء على كل الامم، بأنهم قد بُلغوا بما أرسل إليهم من ربهم.

فهم يحملون امانة التذكير والتبليغ والارشاد للبشرية جميعا بالتسليم لإمر خالقها والسير على ما أمرها به من اصلاح في الارض وإعمارها بعمل الخير والنهي عن المنكر، وبتذكيرهم بحقيقة ما جاءت به رسلهم، وبهذا العمل وصفهم الله في كتابه فقال (وكنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله).

**فهم دعاة الإنسانية الى الرجوع الى الحق والعدل الذي امر الله به**.

وعلى هذا العهد والعمل يكون خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم شهيدا عليهم وعلى ما يدعون اليه لأنه رسول الى البشرية جمعاء. فهو محيي صلوات الله عليه رسلات ربه الى الناس جميعا.

لقد انس واستأنس اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حلاوة هذا الإيمان والتسليم والأمان، وارتاحت له نفوسهم فعاشوا سعداء فرحين بما اتاهم الله من فضليه ويستبشرون ويبشرون البشرية بحلاوة هذا الايمان والتسليم . فهو تسليم لخالق الاكوان والموجودات والتي سلمت جميعها لإمره وانصاعت لحكمه. **فصار هؤلاء المؤمنين في انسجام وتناغم كامل مع كل ما يحيط بهم من مخلوقات الله** "فما من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحه “. فهم في امان واطمئنان وتسليم لا يخيفهم ما يخيف الناس، إنهم قد عرفوا رب الناس الذي يخلصهم من كل وسواس وخناس قد يؤسس في قلوب الناس فيرعبهم ويخوفهم، ويقلق مضجعهم. فهؤلاء المؤمنين عرفوا ان الامر كله لله، وان لا تسقط ورقة إلا يعلمها ويعلم ما في السماوات والارض، ولذلك اطمئنوا لإمر ربهم وقدره فيهم.

إن هذا التسليم المطلق هو الذي يسعى اليه الانسان المؤمن بربه، والذي أمر الله المسلمين أن يسعوا اليه ليصلوا الى التسليم المطلق، فهذا مراد ومبتغى كل مسلم مؤمن، أن لا يموت إلا وقد وصل الى هذا التسليم الكامل،. يقول الله لعباده المؤمنون المسلمون له (يأيها الذين أمنوا أتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)(80) , اي وقد وصلتم الى كامل التسليم واليقين بالله الواحد الاحد, فهذا هو منتهى امل ومسعى المؤمنون في هذه الحياة الدنيا .

لقد وجدنا يوسف عليه السلام بعد ان اعطاه الله الملك وعلمه تأويل الأحاديث، يرجوا الله ألا يموت إلا وهو في التسليم الكامل لله. فقال (رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والارض انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) (81). فالإسلام الحقيقي هو الاستسلام الكامل للخالق والاطمئنان بكل ما يأتي به الله ويقدره. ولذلك نجد العاملين بإخلاص في الوصول الى رضى الله، يعملون بجهد وعناء في تزكية القلوب من الهوى، وتنقيتها من وساوس الشيطان ومكائده، ليصلوا بها الى التسليم الكامل لربها. ومن هذه المدارس الصوفية الحقيقية التي تعمل على تزكية الأنفس. وإخراج ما بها من الدرن والخبث وجعلها صافيا نقيا ليس فيها إلا الله، فأن الانسان أذا صفا قلبه، فلا يرى شيء حوله إلا الله , فيرى الله في كل شيء, ويرى قدر الله في كل شيء, ويرى امر الله في كل شيء, فلا يرى وجود لشيء إلا ويرى الله فيه ,فلا يحسب حساب لاحد الا لله ,فهو في امان من الخوف . فقد سمت قلوبهم وصفت حتى أمِنت بظل رحمة ربها تحنو إليها. فهؤلاء القوم قد صفت قلوبهم ووصلت منتهى السمو والصفاء في القلوب البشرية، ليس فوقها إلا قلوب المرسلين الذين يكونون في اتصال مباشر من خلال الرسائل التي يكلفون بتبليغها للناس. يقول الشيخ الجليل عصام الحساوي في رسائله " أن الكمال الإنساني يوجب توافق الظاهر مع الباطن على اتيان الطاعات وعدم الوقوع في المخالفة، واعلم ان الكمال الإنساني والتحقق به لا يكون إلا بذهاب ظلمة الطبيعة عن عين البصيرة وإشراق نور الايمان في القلب حتى تتبدل البشرية بالملكية وتزول عن العبد ظاهرا وباطنا جميع المخالفات فلا يجد أثر في باطنه من الخواطر الشيطانية والنفسية) (82). إن هذه المحاولات الساعية الى تزكية النفس من النفس البشرية للوصول بها الى كمال النفس والى مصاف النفس الملكية , تجعلهم ينظرون بعين القدرة الربانية , فهم ينظرون بنور الله , وقد اشار اليهم رسول الله بقوله ,"اتقوا فراسة المؤمن فأنه ينظر بنور الله " , وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال‏:‏ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم‏:‏ "‏إن الله تعالى قال‏:‏ من عادا لي وليا فقد آذنته بالحرب‏.‏ وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته؛ ولئن استعاذني لعيذنه‏"‏(51) ‏(‏‏(‏رواه البخاري‏)‏‏)‏‏.‏

فبما ان طهارة القلب تستوجب طاعة الله، فأن الطاعة تجلب رضى الله وتأييده ونصره , فتكتمل الحلقة ويصبح العبد في دائرة العناية الإلاهية وفي معية الله , كما كانت معية الله مع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في الغار , وكما كانت معية الله مع رسوله موسى عندما لحق به فرعون وجنوده . **فمقدار كون وجودك وحياتك مع الله يكون الله معك**.

**الإيمان باليوم الأخر:**

لقد قص علينا القرآن عن الذين لا يؤمنون باليوم الآخر , والذين لا يؤمنون ان الله عليه النشأة الآخرة , وان الله على جمعهم لقدير . إن سبب هذا الإنكار هو الهروب ومحاولة التخلص من الحساب والعقاب على ما اقترفته ايديهم ,يقول تعالى (وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وأترفناهم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ)(83), تبين لنا هذه الآية ان المنكرين والمكذبين باليوم الاخر هم الذين اترفوا في هذه الحياة ولم يراعوا حق الله فيما اتاهم , وطغوا وتكبروا, ولهذا يتهربوا من المسائلة على ما اقترفته ايديهم .

ثم يبن الله تعالى حقيقة اليوم الاخر , مخاطبا فطرتهم التي فطرهم عليها  **بقوله تعالى (** بل قالوا مثل ما قال الاولون\*81 قالوا أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون \*82 لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الاولين\*83 قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون\*84 سيقولون لله قل أفلا تذكرون\*85 قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم\*86 سيقولون لله قل افلا تتقون\*87 قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون\*88 سيقولون لله قل فأن تسحرون\*89 بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون\*90 )(84) . إن هذه المحاورة للفطرة الإنسانية، التي تجيب بما فطرة عليه وبما علمته وروعته وتيقنت منه، ليوصل الله تعالى الانسان الى حقيقة ان لا نافع ولا دافع في هذه الحياة إلا الله، وأنهم اليه راجعون. وأن لا ملجأ ولا منجا إلا بالله حين يتخلى عنك كل ما يحيط بك من متاع الحياة الدنيا، وحين تضيق بهم السبل وتنزل بهم المصائب، ويعجز كل ما حولهم من انقاذهم، عندها يختلي الانسان بنفسه ويرجع الى قلبه،فتجيبه الفطرة أن ليس لك إلا الله خالقك ,فيلهث باسمه مستغيثا . فهو المالك وهو القادر الوحيد على ان يجير المضطر إذا دعاه. ففي كل نهاية محاوره، او سؤال، نجد ان الله جلا وعلا يخاطب الفطرة، هل من خالق غير الله. فهذا الكتاب جاء لإنارة الفطرة وتنشيطها وإزاحة ما ترسب عليها من ظلال المحيط.

**فبما أن نفس الانسان ترجع الى خالقها وتترك وتتخلى عن كل ما يحيط بها عندما يصيبها مصاب جلل، فمن الطبيعي ان ترجع النفس والروح الى خالقها عندما تتخلى عنها الدنيا وتفارقها،** فالرجوع الى أصل الانسان ومنبته وخالقه أمر طبيعي، عندما تزول الاسباب ويزول او ينسحب الانسان من المحيط، فهو يرجع الى أصل وجوده وخَلْقه، وهو خالقه.

فالرجوع الاول وهو لايزال في الدنيا الى خالقه عندما يتخلى عنه ما يحيط به، وتضيق به السبل، لطلب العون والنجاة. أم رجوعه الثاني فهو لانكشاف وتخلي ما كان فيه في الدنيا وانتزاعه مما خول به ومُلِكَ اياه ليعمل فيه ما يشاء، وذلك حين الموت واستوفاء الاجل، اي عندما يستوفي المدة المحددة له للحياة على هذه الارض، فإذا ما نزع عنه ما خول به وانقضت مدة التخويل، فسوف يرجع الى المخول والمالك ليسأله ماذا فعل فيما مُلِك وخول , **فالرجوع امر طبيعي في كلا الحالتين ,عندما ينعزل الانسان عن المحيط لثواني ودقائق في حالة العسر والمصاب , او الفراق الأبدي لهذه الدنيا عند الموت** .

أن عدم التصديق باليوم الاخر رغم اعترافهم ان ابائهم قد ابلغوا هذا من قبل هو عملية الهروب من الحساب والعقاب حيث ان النفس الأمارة بالسوء لا ترغب في المحاسبة والمسألة على ما اقترفته أيديهم من الآثام , فهذا الرغبة في الهروب من الحساب والعقاب هي التي تدفع بالإنسان على إنكار يوم الحساب ويوم العقاب , غير ان فطرته تعلمه انه لم يخلق عبثا , ليحيا ويموت وينتهي وكأنه لم يكن شيئا مذكورا , لذا نرى بعضهم يجيب فطرته بخدعة شيطانيه , ويقول لها أن عودته ستكون الى هذه الحياة مرة أخرى , ولكن في جسم أخر, وشخص اخر , او في جسد حيوان او نبات, وأنها ستسمر في هذه الدورة, وان في تلك الدورة من الحياة المتنقلة والمتلبسة في اردية مختلفة يلاقي فيها جنته وناره , اي حين يعيش سعيدا تكون تلك جنته وحين يعيش تعيسا في نسخته الاخرى تلك ناره , فهذا تحايل على النفس وعلى فطرتها التي تؤرقه دائما, وتعلمه بأن ليس هذا كل ما سيحياه في هذه الدنيا .

لقد وجدنا هذا التحايل على الاعتقاد الفطري عند الفراعنة وقومهم، حين أقنعوا انقسم بأن بعثهم سيكون في حياة اخرى على نفس الارض ولذلك وضعوا كل اموالهم وحليهم في قبورهم حتى يستعيدوها إذا ما ردوا الى الحياة ثانية. وهناك الكثير من الضالين من يؤمن بهذه الفكر الى يومنا هذا، تهربا من الحساب والعقاب.

أذا فكرة تناسخ الارواح مندفعة من الصراع بين الفطرة التي تخبر الانسان بأنه لم يخلق عبثا وأن مرجعه الى الله، وبين النفس الامارة بالسوء المذنبة التي تريد ان تهرب من فكرة الحساب والعقاب، وأن الله الذي يعلم خائنة الانفس وما تخفي الصدور، وأنه سوف يحاسب كل نفس على ما قدمت في هذه الحياة الدنيا.

وهناك كثير من اليهود في ايامنا هذه، من الذين ابتعدوا عن منهج رسالة نبيهم موسى عليه السلام واكتسبوا من الآثام ما يستحقوا عليه العذاب يوم الحساب في اليوم الاخرة، فتنكروا لفكرة البعث والحساب في اليوم الاخرة.

ويتحدث عن هذا الدكتور (علي وافي) فيقول ان اليهود: لا يوجد في فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر، ففرقة الصدوقيين تنكر قيام الأموات، وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم  
وفرقة الفريسيين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض؛ ليشتركوا في ملك المسيح الذي يأتي آخر الزمان، فهم ينكرون البعث يوم القيامة .  
ويقول أن من نظر أدنى نظرة في كتاب اليهود التوراة والكتب الملحقة بها, يجد أن الوعود الواردة فيه مقابل الأعمال الصالحة والإيمان بالله تدور حول المتعة الدنيوية من انتصار على الأعداء وكثرة الأولاد، ونماء الزرع، إلى غير ذلك، كذلك الوعيد الوارد على المعاصي والكفر، كله يدور حول انتصار الأعداء عليهم وسبي ذراريهم وموت زرعهم وماشيتهم إلى غير ذلك من العقوبات الدنيوية، مما يدل على عدم إيمانهم بيوم الآخرة حسب التوراة والكتب الملحقة بها .(85).

فهؤلاء هم الذين قال الله عنهم، يحرفون الكلام عن مواضعه , ونسوا حظا مما ذكروا به.

**الدلائل والشواهد من كتب التاريخ تدلل على ان الانسان عنده علم فطري بربه :-**

لقد وجدنا من كتب التاريخ أن كل امم الارض كانت تُأمن بأن هناك رب عظيم قادر عليهم، قهار قادر على أن يرزقهم وينصرهم ويعينهم على قضاء حوائجهم، فلم يخبرنا التاريخ عن قوم ليس لهم دين او ليس لهم رب يعبدونه ويقربون له القرابين. وقد اختلفت الاقوام في تحديد من هو الرب، ولكنها اتحدت في تحديد عمل وصفة الرب والاله، فكلهم يعتقدون أن لألهتهم قوه وقدره على النفع والضر فقد ألهوا كل ما عظم في عقولهم وصدورهم، بغض النطر إن كان عظيم في نفعه او في ضره. فعبدت الهندوس البقر، التي وجدت فيها الخير الكثير، فهي بالنسبة لهم، كلها خير من حليبها ولحمها وجلدها وحتى فضلاتها، فتمثلت لهم الوهيتها لكثرة منافعها.

والفرس عبدوا النار، التي وجدوا فيها القوة على الضر والنفع، فهي تحرق وهي تدفئ وتطهي وتنير، فقوة النفع والضر في النار جعلتهم يظنون الألوهية فيها، فعبدوها.

وقوم ابراهيم وجدوا في أنفسهم عظمة وهيبة للشمس وللقمر وللنجوم التي تضيء لهم الليل والنهار وتعطيهم الدفيء والامان بنورها وحرارتها فاتخذوها الهة.

وكذلك اليونانيين عبدوا النجوم والاقمار واتخذوها الهةَ، وجعلوا منها إله للحرب واله للزرع وإله للحب واله للنفع واله للضر، وجعلوا لها تماثيل وصور لكي يخاطبوها عند الحاجة اليها.

إلا أن الفلاسفة اليونانيين الاوائل في القرن السابع والسادس قبل الميلاد من مثل طاليس , وأناكسمندر , وأناكسيمنس , فقد سعوا الى البحث عن العله الاولى للأشياء اي عن معرفة الكون وخالق الكون . وكان جوهر تعاليم طاليس تكمن في أنه كان هو أول من حاول شرح الكون على مبادئ طبيعية وعلمية دون اللجوء إلى الأساطير والآلهة المصطبغة بصبغة إنسانية من فلاسفة اليونان . بالإضافة إلى ذلك فقط طرح طاليس (643-550)ق.م, والذي يعد الفيلسوف اليوناني الاول , المشكلة وحدد اتجاه وطابع كل الفلاسفة السابقة على سقراط، لقد كان التفكير الأساسي في تلك الفترة , **أنه لابد أن يوجد وراء الكثرة في العالم مُبدأ أقصى واحد**,(90) , فهنا نجد ان طاليس تقدم على غيره في التفكير في الوصول الى معرفة الرب ,وحدد وحدانية ,فهذا القرب في تحديد حقيقة الوحدانية يدل على علم فطري انبثق من فطرته , او تسلل معرفي قادم من تعاليم سماوية اوقد في قلبه المعرفة الفطرية والعهد .

لقد كانت المشكلة بالنسبة لجميع الفلاسفة من طاليس إلى أنكساجوراس (611-547) ق.م هي **طبيعة ذلك المُبدأ الأول** الذي صدرت منه جميع الأشياء. وكانت كل مذاهبهم هي محاولات للإجابة عن هذا التساؤل.

"اتفق انكسماندريس مع طاليس أن المبدأ الأقصى للأشياء هو مبدأ مادي، ولكنه لم يجعله الماء، بل هو مادة بلا تشكيل وبلا تحديد وبلا ملامح بصفة عامة، ولهذا فإن هذه الماد هلامية. لقد اعتقد انكسماندريس أن هذه المادة تمتد إلى ما لا نهاية في المكان، وافترض أن المكان مملوء تماما بالمادة، وهذه المادة الأولى، غير العينة، لا حدود لها، وهي بالتالي اللانهائية (91).

فلو نظرنا في تفكير هذان الفيلسوفان، لوجدنا انهم يعطوا صفاة قريبه جدا ومشابه لصفاة الإله، وهم يبحثون عن صفات الله، التي تدلهم عليها فطرتهم .

لقد دلتهم الفطرة على أن مبدأ ومنشئ النشأة الاولى للأشياء لا يمكن أن تحده حدود أو شكل يصوره فهو بالنسبة لهم (هيلامي)بلا تشكل وبلا حدود وبلا ملامح موصوفه، وانه فوق كل الاشياء وبعدها، وانه فيما لانهاية في المكان. ففطرتهم قد دلتهم ان الخالق هو الاول والاخر والظاهر والباطن لا تحده الحدود وهو فوق الوجود، وليس كمثله شيء، ولكن مادة التعبير تخونهم لان العقل لم يستطع ان يقرأ ما في الفطرة بوضوح وذلك للران الذي اعمى البصيرة، إلا أنهم في هذا التفكير والتحليل والتنوير متقدمين كثيرا على غيرهم. من الذين عميه بصيرتهم بالمر، فعبدوا النار والبقر والحجر. وقد وجدنا كذلك أن من علماء وفلاسفة الغرب في القرون الوسطى من اوصلهم التفكير والنظر فيما حولهم، الى استشراق الفطرة لتنير قلوبهم وعقولهم ليجدوا أن: - “كل ما يصدر عن اللامتناهي يعود بمرور الزمن ليحل فيه من جديد، ولهذا، يعود السبب إلى ظهور العوالم وفسادها “.

ولو اردنا ان نترجم ما توصلوا اليه بلغة ديننا ومعتقدنا الذي ألتقى فيه النوران التوءمان، نور الفطرة ونور الرسالة والكتاب، لوجدنا انهم يحاولون أن يقولون انه لابد للمخلوقات ان تعود لخالقها وانها لا تندثر وتذهب هباء، ويقولون لهذا السبب يموت الإنسان وتموت الاشياء، لتحيا من جديد . فهم يريدوا ان يقولوا انه لا بد من وجود العالم الاخر بعد الموت، وفي قولهم "ولهذا يعود السبب الى ظهور العوالم وفسادها" , وهذا ما خاطب الله تعالى به الانسان في كتابه ليعتبر بقوله , ( وجعلنا الارض كفاتا احياء واموات )(92), اي جعل على الارض الحياة والموت .

ثم وجدنا افلاطون (469-399) ق.م. قد ركز في فلسفته على الإنسان، وعلى الحاجة إلى ان تكون هناك حقيقة كونية. فقد اعتقد سقراط ان الحكيم الحقيقي، هو الذي يؤمن بجهله، وهو الذي يجعل نفسه موضوع المسائلة الخاصة به، منفتح للمقارنة والمناقشة. وأن الحكيم هو الذي يسعى ويدرك كيفية طرح الأسئلة وإثارتها في الآخرين. إن الشك السقراطي يهدف إلي الحقيقة بطريقة نزيهة (أو بدون مغرض). ولا يسعى للبحث عنها خارج نفسه، بل في جوهر كينونته، التي وصفها بانها "دايمون" (والتي يعني بها مزاج أو الطبع " النفس"). فالفلسفة بالنسبة له كعمل القابلة (فالقابلة, اي الدكتورة التي تساعد على اخراج الجنيين من بطن امه "المولدة" ) تماما، أو بالأحرى الفن أو الموهبه التي تضع الناس في موضع يمكنهم من توليد الحقيقة من الروح والفطرة.

فلوا ناقشنا فكرة ونظرة افلاطون الفلسفية لوجدنا انه اقرب فطريا من فلاسفة القرون الوسطى الى الحقيقة، وذلك لآنه يبحث عن الحقيقة في كينونته، وكان سبب فشل الاخرين هو إهمال كينونة الإنسان وإفراغها من جوهرها , وذهبوا يبحثوا عن الحقيقة في سراديب الخيال والهوس والشهوى والجنس , فأظلوا الطريق , وأعتقد ان سبب اتجاه افلاطون في البحث عن الحقيقة في كينونته ,هو لآن كينونته كانت لا تزال تحمل من نور الفطرة التي دعته فستجاب لها , وقد اوتي الحكمة في هذا التفكير , "ومن اوتي الحكمة فقد اتوي خيرا كثيرا ", . وقد يكون استنار فكره واستنشق شيء من نور رساله سماوية كانت قريبه من زمانه، لإننا نجده يقول ويؤمن ان الانسان بعقله جاهل من غير معونه من نور الفطرة ونور البصيرة والتي يطلق عليها اسم مزاج او طبع , واعتبر محاكات النفس هي الفلسفة التي تخرج او تولد الحقيقة كالقابلة المولدة التي تساعد على اخراج المولود من الام .

**وهكذا كانت كل الامم تبحث عن الحقيقه التي تدفعها اليها فطرتها , الساكن فيها ذلك العهد الالهي , فكانت تقترب وتبتعد عن معرفته بمقدار ما بها من نور فطري ,وعلى مقدار سلامة فطرتها من غشاوى المحيط .**

لقد اختلفت الامم السابقة في دياناتها حسب وعيها الفطري، إلا انها جميعا نراها اشتركت في كينونة صفة الرب، بالقوي القادر على النفع والضر. فالعامل المشترك لصفة الرب عند تلك الاقوام المختلفة، في العصور والازمان والمكان والمناخ والحضارة والفلسفة، والمعتقد، واللون، واللسان! هي القوة والعظمة والمقدرة على النفع والضر. وكذلك اشتركوا في الاعتقاد بلزومية وحتمية وجود الرب الإله، ولزوم طاعته وعدم معصيته، ولذلك نرها تجهد نفسها في البحث عنه، وتجهد نفسها في إرضائه، وتقديم القرابين له، من نفيس اموالها ومن انفُسِها واولادها. وقد اكد رب العزة الخلاق العظيم هذه الحقيقة في كتابه , عندما ذكر لنا العهد الذي اخذه على الخلائق بأنه هو ربهم وخالقهم , وعندما بين أن هذه المعرفة لا يغيرها او يبدلها او يمحها اي شيء من زمان ومكان وظرف ومجتمع ومعتقد , فقال لهم " أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين \* أو تقولوا إنما اشرك اباءونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون " , فهذا إلزام بعهد من رب العالمين للناس اجمعين بوجود إله ورب عظيم , يصدق قول الله ان لا عذر لهم , فقد وجدنا جميع امم الارض تعرف في نفسها بوجود الرب المهيمن والمسيطر والخالق والقادر على النفع والضر.

**معرفة الخالق من التفكر والتدبر في خلقه :**

فالتفكر في العلوم الطبيعية والفسيولوجية تدل على وحدانية الخالق ووجوده وعظمته، وكذلك نجد أن هذا الاشتراك والاتفاق على صفة الإله، يدل على أن تكوين الإنسان السيكولوجي والبيولوجي، ومحتواه العقلي والعاطفي واحد، وهذا يدلل على نشأة الانسان الاولى ومصدرها التكويني، وعلى أن للخلق خالق واحد .

وقد بينت الأبحاث الجيولوجيا أن نشأة الإنسان الاولى كانت في بلاد الرافدين، العراق. فبما أن مكان النشأة الاولى للإنسان كانت واحده، إذا فلا بد ان يكون الاله والخالق واحد، لآنه لا يعقل ان يصنع اثنان شيء واحد متشابه تماما ومطابقا في خلقه وخلقه في مكان واحد، فالأرض واسعه ومتسعه فإذا كان هناك خالقان فلما يبدؤون الخلق من مكان واحد، **فوحدانية المكان تدل على وحدانية المصدر، وهو الخالق الواحد**.

فلو ناقشنا نظرية التطور لدارون من المعلومات السابقة التي اتفق عليها الجميع حتى دارون في نظريته لوجدنا فشل تلك النظرية ,فقد اثبت الكثير من العلماء والباحثين الفشل الذريع لتلك النظرية بالتجربة العملية , وليس بالنظريات والافتراضات الحسابية وبرامج الكومبيوتر , ولكن اثبت فشلها معمليا , فقد قام العالم ريجرد ليكسي في سنة 2014 بتجربته وذلك :

بتجربة اطلق عليها اسمE.COLI BACTRIA بوضع 60,000 جين من البكتريا

E. COLI LONG TERM EXEPRIMENTAL EVOLUTION PROJE SITE

في حضانة في المختبر، وهذا العدد يعادل ملايين السنيين من حياة الاحياء، وذلك لإن في هذه التجربة تولدت تريليونات التريليونات من البكتريا وماتة. وكانت النتيجة انه لم يتولد من تلك التريليونات اي بروتين جديد له شكل مختلف او عمل مختلف. فهذا يدل على فشل نظرية دارون التي تفترض ان مع مرور الزمن تتولد بروتينات وبكتريا جديده، او يتطور عمل جين الى قيام بعمل اخر عن طريق ما يسميه الانتقاء الطبيعي اي عمل الصدفة، وهذا لم يحصل، في تلك التجربة التي تولد فيها تريليونات التريليونات من البكتريا، ولم نجد اي تبدل او تحول في عمل او شكل تلك المخلوقات البكتيرية.

وقد نشر العالم مايكل بيهي الذي غير نظرة علماء البيولوجيا في القرن الواحد والعشرين في كتابه (93).

THE EDGE OF THE EVALUTION FOR MICHIAL BEHE

والذي فند فيه نظرية دارون كليا فقد بين انه من المستحيل حصول التطور الطبيعي العشوائي الذي يفترضه دارون، فيقول لو نظرنا الى تطبيق نظرية دارون حسابيا فأن :

للحصول الى التغير البسيط الواحد نحتاج الى عدة تغيرات في الجينات في وقت الواحد، فأن هناك 3 ترليون فرع من ال DNAلجين واحد، مثلا اذا اردت ان تغير فرع من للخلية، وهناك ملايين من الخلايا، فإذا اردت ان تعمل تغير واحد فلا بد ان DNA

تكون احتمالية الاختيار هي واحد على ثلاثة ترليون، واذا أردت تغيران اثنان فتكون النسبة واحد على ترليون في واحد على ترليون، وهذه ستكون النسبة في كل تغير بسيط في تكوين عمل جينات الخلية الواحدة، وهكذا تتضاءل اعداد نسب الاحتمالية حتى تصبح امر مستحيل لا يمكن ان يحصل اي تغير على هذه الاحتمالية ولو بعد تريليونات التريليونات من السنيين.

FLAGELLUM وكذلك لو نظرنا في

وهو الجزء من الخلية الذي يعمل وكأنه محرك دفع في خلايا البكتريا الايوكاراتك ويسمى

FLAEGLLUM MOTOR OR MELECULAR MACHINE

نجد ان دارون يدعي في نظريته أن

اجزاء الفلاك يلام هي موجودة في الطبيعة

ومنها تتكون الفلا كيلا الكاملة، غير أن العلماء وجدوا ان الفلا كيلا لها صفات نادره ولا توجد إلا كامله، ولا وجود لها في الطبيعة كأجزاء في اي مكان. وكذلك وجدوا ان هذه الفلا كيلا لا يمكن ان تكون شيء اخر ولو اجتمعت مع بعض عن طريق الصدفة الطبيعية والتي يطلق عليها

NATURAL SELECTION

أي لا يمكن ان تتولد فلا كيلا جديده مختلفة، حتى لو افترضنا وجود كل الاجزاء والظروف لتكونها.

وذلك لان بناء الفلا كيلا يحتاج الى بناء معقد ومركب تسلسلي وليس عشوائي كما يفترض دارون لان هناك تسلسل وترتيب ذكي ومعقد ومنظم يدل على ان وراء تكوين هذه الفلا كيلا مدبر عظيم، لان في الفلا كيلا سلسله من الحروف في ال دي. إن. اي. التي تحمل كل واحد منها معلومات وارشادات تدير بها عمل الخلية كما تفعل الجذور في النباتات، فهذه المعلومات العديدة والمعقدة والمرتبة لا بد ان ورائها مدبر عظيم وليست عشوائية كما يدعي دارون.

وكذلك لم يجبنا دارون عن سبب بحث الإنسان عن إله يعبده، ولم اجمع كل البشر على ضرورة وجود الإله، فلو كان هذا الإنسان خلق عن طريق الصدفة المحض، من تطور خليه واحده , فما من الذي غرز فيه فكرة الإله , وجعله يبحث عنه ويخشاه وينشد رضاه , ويصر على وجوده , ويقدم له القرابين . **فالذي ينشاء من امور عشوائيه جمعتها الصدفه وطورتها , لم يبحث عن الإتقان وألإبداع والقدر والحكمه في الإله , فالذي ينشئ من تفاعلات عشوائيه , يكون تفكيره عشوائي لا يؤمن بشئ , ألا العشوائيه التي نشأ منها.**

ثم ما هي الصدفة التي لا تخطئ في كل تكوين وتولد إنسان أخر , فما سبب هذا الإتقان في هذا التوالد والتكوين الجسدي للإنسان الذي نشأ من الصدفة , فهل هذه الصدفة تتكرر بلايين المرات من غير ان تخطئ , فلو افترضنا ان هذه الصدفة احتفظت بصفاتها في كل مره بمحض الصدفة , ولكن كيف لها ان تشترك في التفكير والاعتقاد , وقد أدعى بعض الفلاسفة والمنظرين أن البناء الفكري والاعتقادي منشئه البيئة التي يعيش فيها الإنسان , فكيف للإنسان ان يشترك في الثقافة الإنسانية والاعتقاد وهو يعيش في بيئات مختلفة , فما الذي وحد عنده الصفاة الإنسانية وميزها عن باقي المكونات من حيوانات ونباتات والتي يعتقد دارون أنها جزء متطور منه .

**فالجواب على هذا أن الانسان مخلوق وليس ناشئ من تطور مادي، وأن خالق هذا الانسان يجب ان يكون واحد لإن صفات الانسان ومكوناته المادية والخلقية واحده على طوال التاريخ رغم اختلاف مكان وزمان الانسان.**

**وأن هذه الأحاسيس والمشاعر التي يحملها، هي جزء من خلقه، خلق بها ولم تنشئ من المحيط.**

**بل تتفاعل معه، ولكن لا تتغير او تتبدل. فلا تبديل ولا تغير لخلق الله .**

**وأن هذه الاحاسيس والمشاعر يحملها قلب الإنسان، وتتفاعل وتتناغم مع العقل , لتُنشأ ثقافة ومعتقد الإنسان .**

العقل:

العقل في اللغة هو الربط، والعاقل هو الرابط او الممسك بين شيئين او امرين، فعندما نقول عقل الشيء اي ربطه وامسك به، كقول عقل الدابة اي ربطها وامسك بها , وقولنا "عقل الشيء" اي ادركه واحاط به اي تمكن منه . فمهمة العقل هي ربط الاشياء ببعضها البعض ليكون منها شيء معين او صوره معينه، وهذا هو عمل الادراك عند الانسان.

فالعقل هو مصدر التفكير والاستدلال وتركيب التصورات والتصديقات ومقارنتها ومطابقتها مع ما عنده من المعلومات السابقة التي اكتسبها من قبل عن طريق الملاحظة بالحواس الخمسة التي يستقبل بها المعلومات مما حوله. فإذا اراد العقل ان يتعرف على انسان بعينه، او سيارة، او قطار او جبل او حيوان أو أي شيء، فأنه يجمع اجزاء الصورة الملتقطة لذلك الشيء من العين ثم يلصقها ببعضها البعض اي يربطها ببعضها ليكون شخصية او هيئة ذلك الشيء ليتعرف عليه، فإن كانت العين لم ترى قطار من قبل، فسوف لا يتعرف عليها العقل، إذا فمهمة العقل هي جمع المعلومات من خلال الحواس الخمس عند الانسان، وربطها بعضها ببعض، لتكوين منها مفهوم او صوره معينه من خلال ما يخزنه من معلومات سابقه ليربط بينها ويعقلها ويدرك ماهيتها.

فالعلماء الباحثين في علوم الطبيعة المختلفة من فيزياء وكيمياء وطب وغيرها من العلوم، يستقون بحثهم مما تدركه حواسهم، ثم يجمع في بودقة العقل، لتجري عليه عملية الفرز والتمحيص والتطابق والتشابه ومن ثم بضياء من نور الله ومشيئته يقدح هذا النور في ذلك الجمع من المعلومات ليولد تلك المعلومة الجديدة له وللإنسانية. يقول عز وجل (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء). فمن هذا الجمع لملاحظات الحواس، قد يخرج العقل باكتشافات وتصورات جديده، وهكذا يعقل الانسان ما حوله من الاشياء ويتفهمها ويدركها.

وأن للعقول النيرة العالية الادراك والتدبر والتعقل، صفات وسجايا لأحوالها الباطنية، مثل الذكاء والدهاء والفطنة، وهذه السجايا تكتسب من قابلية العقل على إدراك وتفهم ما حوله من الامور والاشياء.

فالعقل في المفهوم الانساني هو مركز التفكير والادراك، ويرجع اليه كل امور التفكير في الامور المادية المحسوسة، اي هو الحكم عند الانسان فيما يراه ويشاهده من امور تدركها العين، او تسمع بها الاذن، وكل ما تدركه حواسه، ولذلك كان العقل هو المقياس الوحيد والمصدر الفريد المعترف به عند العقلانيين الذين لا يؤمنون إلا بما تدركه حوسهم الخمسة. فهم لا يعترفون بمصدر اخر للمعرفة والعلوم غير العقل، ولا يؤمنون بالقلب كمصدر للحساس والإدراك.

فهؤلاء لا يدركون أن حقيقة ما يدركه العقل الإنساني، ما هو إلا صور للأشياء، ليس فيها بعد ثالث او روح ومعنى لتلك المشاهدات والصور، كالفرق بين من ينظر الى صورة زهرة جميله، ومن يمسك بها ويشم رائحتها. فالذي يجعلنا نصل الى أصل الزهرة وحقيقتها هي الأحاسيس القلبية النفسية التي تعطي البعد الروحي للمشاهدات، والذي يوصلنا الى روح تلك الزهرة ومعناها الحقيقي. وهذا كالفرق بين الذي يوصف له الطعام، من الذي يأ كل ويتذوق ذلك الطعام.

فالعقل لوحده لا يروي عطش النفس لمعرفة كنه ما حولها., وذلك لأن العقل لوحده من غير الأدراك والإحساس والمعرفة القلبية ونور فطرتها لا يعطي للأشياء معناها الحقيقي، فالعقل يدرك اسماء الاشياء فقط، أما الإحساس بتلك الاشياء وإدراك حقيقتها، لا يدركه إلا الأحساء القلبي والعلم الفطري، فهو الذي يعطي المعنى **المعرفي** للأشياء.

فالمعرفة هي ألت إدراك، ومُعَرّف، للتعرف على ما علِمته من قبل، اي انها تُعرِفك على حقيقة الصورة التي رأتها العين، ففي القلب معارف ومخزون معرفي، يفسر ما ساقته عين العقل اليه.

فمصطلح المعرفة هي عملية التعرف على أشياء لك بها علم معرفي مسبق. فعند رؤيتك لها مرة ثانيه تتعرف عليها كتعرفك على شيء قد ضاع منك. كما في قوله تعالى في سورة يوسف (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم **يعرفونها** إذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون)، اي عندما يرجعوا الى اهلهم سوف يتعرفون على بضاعتهم التي ظنوا انها اخذة منهم. ومن المعارف القلبية في قوله تعالى [(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا **عَرَفُوا** كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)] (94) , أي ما عرفوا صدقه وحقيقته من قبل . وفي قوله (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا **عَرَفُوا** مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (95) أو كقوله تعالى (يعرفونه كما يعرفون ابنائهم) (96) , وغيرها من آيات الله التي تبين لنا ان المعرفة هي التعرف على شيء لنا علم به مسبق . ومن ذلك العلم، العلم المكنون في خلق الانسان.

لقد علم الله الانسان الاسماء كلها , يقول تعالى في سورة البقرة (وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبأوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين , قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك انت الحكيم العليم )(97) فمعرفة القلب جاءت من العلم الذي وضعه الله فيه والله اعلم .

**فالعلوم الخاوية من المعارف الإنسانية ,و الإحساس القلبي الفطري .لا تدرك حقيقة الاشياء .**

وقد نشعر بتلك الخلجات النفسية، في القلوب المسجونة في ظلمة عتمة المحيط الضال، وهي تتخبط مرتبكة حيره، تحاول الخروج من سجنها، فنرها تندفع يمينا وشمالا وفوقا وتحتا مضطربة مخنوقة خائفة تبحث عن شيء لا تعرفه. فهي في هاجس خوف دائم، ولكن لا تدري ما يخيفها. يسيطر عليها القلق والضجر والعطش والشوق، ولكنها لا تعلم ما يقلقها ولا ما يضجرها ويضّيق عليها خناقها.

فهذه الاضطرابات النفسية كثيرة في عالمنا اليوم، رغم توفر كل مستلزمات السعادة المادية، والادراكات العقلية، إلا ان كل ذلك عجز عن ان يوفر الراحة النفسية والرضى والاطمئنان للإنسان الذي قد أظلم قلبه.

فالعلماء الباحثين، ترى فيهم شغفا لمعرفة حقيقة ما حولهم لإن نافذة المعرفة قد فتحة امام ناظرهم، ورأوا بحر العلوم الهائج والمترامي الاطراف، ورأوا حقيقة جهلهم به وقلت معرفتهم به، فصاروا في شغف للخوض فيه، ولذلك قالوا أن العالم يصبح عالم عندما يعلم مقدار جهله , اي عندما يرى حقيقة بحر العلوم المترامي الأطراف .

فمن كان علمه من عقله من غير نور البصيرة، فأن انبهاره وتعظيمه وخوفه من بحر العلم المترامي الاطراف يكون عباره عن خوف وخشيه من المجهول وأن تعظيمه له هو تعظيم للمجهول. ولكن في حقيقة الأمر أن هذا الخوف من المجهول هو خوف من الله، ولكن من غير إدراك. لإن بصيرته عمت عن إدراك نور ربها، فيكون بحث هذا الباحث، هو البحث عن المجهول.

وهنا انقل عن الدبوسي رحمه الله في هذا إذ يقول (ان **زيادة العلم لن تكون إلا بزيادة الأدراك والنور)**. فهو يقصد هنا التقاء إدراك العقل مع المعارف الصادرة من نور القلب.

ويقول (أن الفضيلة الأصلية في الدنيا بالعلم دون الولاية، وهو ان يتولاه الله بالمعرفة القلبية الالهاميه) اي انه اذا وصل العلم بالأسنان الى مرتبة الولاية لله فقد تم فضله , وإذا توقف عند علمه ولم يصل به الى معرفة الله فقد خسر .

**الفكر** : فالفكر, هو ناتج من عمل العقل , وعمله هو التفكر للاختيار بين البدائل , فالأمر الذي لا بديل فيه لا عمل للعقل فيه , فعمل العقل افعل ولا تفعل , اي فيه بديل بين شيئين , اي افعل هذا ولا تفعل هذا, فالعمل الذي لا بديل له لا عمل للعقل فيه اي ليس للعقل فيه تفكر او ادراك , وذلك لافتقاد المادة العلمية والمعرفية عنده . فالو كان العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة ,وكانت مصادر معرفته مقصوره على المشاهدة فقط , فسوف يعجز الفكر عن ادراك حقيقة الاشياء وماهيتها , لصار علمه ومعرفته للأشياء سطحيه لا روح فيها كما يتعرف الكومبيوتر المبرمج على المادة والاشياء التي تعرض عليه , اذا فلا بد من المصدر القلبي المعرفي الفطري الذي أعطاه الله للإنسان من دون غيره من المخلوقات ليعطي للأشياء حقيقتها , وذلك في قوله تعالى ( وعلم ادم الاسماء كلها ) ,فعلم الاسماء من الله , هو علم لماهيتها , ومكنون هذه المعرفة هو القلب .

وبما ان العقل هو منطقة التكليف وهو مناط التكليف، فالذي لا عقل له لا تكليف عليه، فالغير العاقل غير مكلف من الله جلا وعلا فإذا أصاب العقل خلل او عطب رفع التكليف عن الانسان، لإنه أصبح لا إدراك له بما يفعل. ولكن الفطرة إذا عمت ولم تر نور المعرفة فان الانسان غير مسامح عن عماها، بل مسؤول عنه لإنه كان السبب في عماها، ويكون عندها قد خان العهد الذي عاهد الله عليه يوم خلقه، وبيده علاجها، وذلك لقوله تعالى (وإذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم الست بربكم فالوا بلى شهدنا، ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا إنما اشركنا ابائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون). فالعقل هو غرفة عمليات الاستلام والتحليل، وهو الباب والنافذ لاستلام العلوم المحيطية والمعارف القلبية، فإذا سدت هذه النافدة وأغلق بابها، توقف معمل الفكر والتدبير وأخذ القرارات، وانتهت المسؤولية لآن ليس هناك انتاج فكري، عندها يسقط التكليف وتسقط المساءلة. اما القلب فهو مخزن المعارف والالهام من الخالق، وهو الذي يزود العقل بالمعلومات التي تعينه على تحليل وفك رموز ما عجز عن فهمه من الملاحظات والادراكات السمعية والبصرية والحسيه المدركة من الحواس الخمسة.

فإذا حصل خلل او عيب عضوي مرضي خارج عن ارادة الانسان في غرفة العمليات " العقل" , ولم تعد تلك الغرفة قادره على العمل اصبح الانسان غير مسؤول امام الخلق والخالق , اما اذا كانت الأجهزة سليمه ومعافاة في غرفة العمليات , فأن الانسان يصبح محاسب على التقصير والاهمال والخطأ .

**ذكر العقل في القرآن:**

إن القرآن الكريم يخاطب العقل ويدعوه للتدبر والتفكر , فقد جاء ذكر العقل بأسمائه وأفعاله اكثر من خمسين مره في القرآن الكريم , وجاء ذكر الالباب عشر مرات , وكلمة أولي النهى مرة واحده , فالقرآن الكريم يخاطب الفكر والعقل ويدعوه الى التفكر والتعقل في خلق الله وآياته , فالقرآن الكريم يدعو الانسان الى معرفة خالقه وعظمته وحكمته من خلال التدبر في عظيم خلقه ,لإن القرآن الكريم هو الرسالة السماوية الخاتمة التي جاءت بعد أن نضج عقل الانسان وفتحت مداركه , فجاء يخاطب فيه هذه الادراكات , ويدعوه الى التدبر والتفكر بما حوله في خلق الله وفي نعم الله التي انعمها عليه.

يقول الدكتور والشيخ الجليل محمود شلتوت عن التدرج في التنزيل المرسل على رسل الله: (كان الإصلاح الإلهي للأمم أنجع الأدوية يقدرها الحكيم العليم الخبير بناء على علمه بحالة المريض وبما تحتمله صحته وجسمه. وقد وزع الإصلاح على الرسل كما وزعت الرسل على الأمم، فلما كمل استعداد الإنسانية لتلقي جميع أنواع الإصلاح أرسل خاتم الأنبياء إلى جميع العالم، مذكراً بما مضى من إصلاح إخوانه المرسلين، متماً لرسالة الله معمماً الناس أجمعين، فجاءت رسالته إصلاحاً عاماً شاملاً، ولم يترك سبيلاً للسعادة إلا شرعه، ودعا إليه، ولا آخر للشقاء إلا منعه ونفر منه، ولم يعرف العالم هذا الإصلاح الشامل العام قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ. (الانبياء) (98).

فبعد ان اكتمل النضوج، جاءت الرسالة التي تخاطب العقل وتحثه على التفكر والتدبر لمعرفة عظمة الله، فنجد القرآن الكريم يخاطب العقل ويدعوه الى التفكر والتدبر، يقول تعالى (قُلْ إِنَّمَا **أَعِظُكُم** **بِوَاحِدَةٍ** أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ )(99) .

فالقرآن الكريم يجعل العقل هو الحكم إذا ما تدبر وتعقل من غير هوى النفس الأمّار بالسوء، وشطحات الشهوة، فالله يخاطب "أولى الألباب" اي اصحاب العقول النيرة، للتدبر وللتفكر.

وقد عرّف الله لنا من هم أولو الألباب في قوله تعالى (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الألباب) (100)

وقد وردتْ لفظة أولي الألباب في ستة عشر موضعًا جاءتْ مرتبطة بأربعةِ معانٍ رئيسيةٍ لا تنفك عن بعضها البعض وهي: التقوى، والتذكر والتدبر، والتفكر والاعتبار، وحسن الاتباع. وجميعها لا تدرك إلا بالعقل السّليم والفهم السّليم. وفي ذلك يقول محمد رشيد رضا: "وإنّما الدرجة العليا للسماع أن تسمع فتفقه، وتعقل وتتدبر فتعتبر وتعمل"(101. فلذَلك أولتْ الشريعة الإسلامية اهتمامًا كبيرًا بالعقل لأنّه هو آلة الإدراك والتمييز بين الخير والشر وبين الضار والنافع وبه كانَ مناط التّكليف.

غير أننا لا نجد اي مخاطبة للعقل في الرسالات السابقة ,لآنه لم يكتمل نضوجه ورشده للتعامل معه كعاقل راشد بالغ ,ولذلك كان يقاد ويرشد بالمعجزات والكرامات التي تأتي بها الرسل , والتي يكون عملها كالصعقات الكهربائية التي تُفيقه من الاغماء الذي هو فيه , فلم نجد في الكتب المقدس للمسيحية اي اشاره الى كلمة "العقل "ولا الى اي كلمة من معانيه مثل "اللب" "والنهى" ولذلك نشاهد اصحاب الديانات المسيحية واليهودية وكل الديانات الاخرى تقول لأصحابها واتباعها , أن تلغي العقل في عملية الإيمان في معتقداتهم , لإنه لا يعينها على الإيمان به , بل يأخذهم بعيدا عنه .

أما رسالة خاتم الاديان والرسل "الإسلام" , فهي تخاطب العقل والإدراك والفطرة , ولذلك نجد في القرآن الكريم أن الله يخاطب اصحاب العقول النيرة , وهم الوا الألباب , في ثماني مواضع من الستة عشر: يقول تعالى في :-

البقرة 269 (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الألباب).

وفي ال عمران 7(هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو ألألباب ).

وفي الرعد 19(أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو ألألباب).

وفي سورة أبراهيم 52(هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو ألألباب).

وفي سورة ص 43 (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو ألألباب ).

وفي سورة الزمر9 (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو ألألباب) .

      وفي سورة الزمر 21 ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ألألباب) .

وفي سورة غافر 54 (هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ألألباب).

ونجد هنا ان الله جل وعلا خص الذكر والتذكر والتدبر بأولي الألباب الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه , فتلك العقول تستقي معارفها من القلوب المستنارة بنور القلب . فتنتبه وتدرك ايات الله وتسمع ما فيها , وتنار بنورها , فيصبح بها نورا تدرك به عظمة ما حولها من خلق الله , وتتدبر أياته فيها .

وتدرك بذلك من خلال التدبر والتفكر عظمة خالقها، **وتدرك أنه كل ماعظم الشيئ دل على عظيم خالقه وموجده ومدبر امره.**

وتدرك من عظيم الخلق، عظمة خالقها ومصورها، وتدرك من عظيم عظمته، وجوب وحدانيته وتفرده، لإن كل ما في الوجود له، فلا وجود لغير وجوده، ولا موجود غير وجوده.

ونلاحظ عظمة القرآن الكريم في أنه يخاطب العقول على مقدار مداركها، ومعارفها، فيدرك خطابه الراعي في الصحراء، إذ يقول له (افلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الارض كيف سطحت)، فيدرك ذلك البدوي عظمة خالقه من عظيم ما يدركه ويحيط به علما.

ثم يخاطب الله الذين أتوا نصيبا من العلم بما علموا. وتنبهوا له من عظيم الخلق. فيقول لهم (أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من اطرافها \* والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب) (!02)، فيذكرهم أن نقصان الارض من اطرافها هو من حكم الله عليها وأن لا معقب لحكمه، وأن لا مرجع أو موقف او مغير لحكمه. وأنكم لا تستطيعون ان توقفوا حكم النقصان فيها. ثم يخاطبهم فيما علموا من عظيم صنع السماء والاض وعظيم تدبيره فيها فيقول جلى وعلا (والسماء بنيناها بأيدي وإنا لموسعون \* والارض فرشناها فنعم الماهدون \*ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)، فيؤكد لهم أنه هو الذي يوسع في بناء السماء، وهو الذي مهد الارض وجعلها سهلة لهم وطوعها وفرشها بالخيرات من النباتات والحيوانات، وجعل فيها من كل زوجين لعلهم يتذكرون عظيم خلقه في جعل كل شيء موزون فيها، ومحافظ على توازنه ووجوده . ثم يقول لهم: ( هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ) (103) , ثم يتحدى علمهم وعقولهم وما توصلوا له من علم ومعرفه في أن يأتوا بشيء مما خلق الله . ثم يسخر من المتكبرين الذين يحسبون انهم على شيء، والذين يشركون بالله فيقول لهم جل وعلا (يأيها الناس ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ \* ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز)(104).

ومن الاعمال العقلية المستنيرة بنور الفطرة والبصيرة يستطيع الانسان ان يدرك وجود عظمة الخالق و وحدانيته، فلو نطر الإنسان في التفرد والتعدد فيما حوله لعلم أنه لا بد ان يكون لهذا الكون فرد صمد متفرد لا شبيه له ومقارن ولا نضير .

**التعرف على وحدانية الخالق من الادراك المعرفي للوحدانية:** -

فلو نظرنا وتفكرنا في وحدانية الخلق والخالق من المنظور المعرفي للعدد والتعدد الحسابي والرمزي، ومن المفهوم الادراكي العقلي لإبعاد الأحدية في العدد والتعدد، ومن مفهوم العقلي لأبعاد ذلك الواحد، وتوحده وتفرده من المفهوم الحسابي العددي والرمزي .

فسوف نجد في تأملنا في **احادية أحاد**الامور والاشياء والارقام بأن لها معنى وصفه تتصف بها وتعرف وتٌعّرف بها وهي: -

1\_ التميز

2- التفرد

3\_ القوة

4\_ الوجود

ونقصد بالواحد هنا ان يكون الواحد هو واحد من نوعه، لا ثاني له مشابه له في نوعه وصفاته. أما الغير "الواحد الفرد" من الاشياء فتجد فيه التمايز والتفاضل في القوة، والتنافس والتصارع في الوجود والتسابق، اي ان الاحاد من الاشياء المتعددة تتقارب وتتباعد وتتمايز وتتنافس وتغالب بعضها بعضا عددا وكما وكيفا، وقوة، وتفاضلا، ووجودا.

غيران "الواحد الفرد" الاحد المتفرد في نوعه وصفاته فليس له منافس، او منازع، او مقارن، او مقارب في هذه الصفات:

أولا

التمايز: وهو الاختلاف الذي يميز الشيء عن الاخر فيجعله مختلف عنه مميزا عن الاخرين ومختلفا عنهم، فهي صفة من صفات الاحد الواحد وكلما كان التمييز والاختلاف واضح وكبير وشاسع وغير قابل للمقارنة وللمساوات والمشابه كلما اقترب واختص بلاحديه وابتعد عن التعددية.

التفرد: فالتفرد لا يمكن ان يحصل او ان ينسجم مع غير الواحد الفرد من الاشياء، فصفت التفرد نراها دائما تلازم الواحد من الاشياء، لإنها ترمز الى الفردية الأحدية من الاشياء في وصف التفرد في الصفات والافعال والقدرات وهكذا فالفردية صفة الاحاد التي لا يشترك بها ثاني وهي صفة التميز والانفراد.

الوجود: صفه تلازم التوحد، وتقوى وتستديم كلما كانت في صفة الأحادية الفردية , فهذه صفه تدعم وتستديم وجود ذلك الوجود, وعدم انعدامه ,فوجود الاكثر من الواحد من ذلك الوجود والنوع يؤدي الى التصارع والتنافس مع وجود الثاني , وهنا نتكلم عن الواحد في النوع . حيث ان الاحاد من النوع تتنافس وتتغالب مع بعضها البعض.

وكذلك من ملاحظاتنا للطبيعة والحياة والموجودات التي حول الكائنات، القول ان وجود الاشياء لا يستديم بتفرقها , إلا اذا اجتمعت بوحد واحده ليتكون بها وجود جديد , او ليستديم وجود ذلك الوجود المتعدد, فالأزواج كلها لا يستديم وجودها إلا اذا تزاوجت اي زج بعضها ببعض لتنتج **الفرد** الذي هو اساس وجود كل الاشياء والكائنات , فكل ما في الوجود استدام وجوده بعد ان تزوج او زج الزوجان في بودقة واحده لتنتج الفرد( الفرد من الاشياء من بشر وحجر ونبات وحيوان وكل شيء من الاشياء) الذي هو اساس الوجود , فلو بقت الاحاد والاعداد مهما بلغ عددها متفرقة ولم تتحد وتتلاقى وتتزاوج فأنها لا تنتج الفرد الاساس , ولمنعدمة تلك الاعداد مهما كثرة . فسبب استدامت وجود تلك الموجودات هو التقائها وتزاوجها، اي وحدتها واندماجها مع جنسها، فكان ذلك الاندماج هو سبب وجود واستدامة ذلك الوجود **الفردي**.

أذا استدامة الوجود تأتي من وحدة الاشياء، فالوجود هو عنوان القوه، والقوه هي صفة الوحدة، والوحدة هي سمة التميز، والتميز هو أسم للتفرد , والتفرد هو دلاله للصمدية .

فاستدامة الوجود من استدامة وحدة وتماسك واندماج هذا الوجود في بوتقة الاتحاد، اي وحدة الموجد، ووحدة المسير ووحدة المسيطر، ووحدة الأمر، فقوة الوجود من قوة روابط الاتحاد والوحدوية في ذلك الوجود.

فإدا كان الواحد واحدا في جنسه ونوعه وصفاته ووجوده لا ثاني له منافس في النوع والصفات والقدرة والقابلية، فيكون استدامة وجوده بدوام وحدته وعدم تفرقه او انقسامه وتوالده. فإذا انقسم او توالد عندها يدخل في حكم الافراد لا الفرد الصمد، وعندها يصبح في حيز التنازع والتنافس والاستعلاء واثبات الوجود لغيره المساوي له، لأنه أصبح أكثر من موجود واحد. ولعلا بعضهم على بعض. كما قال لنا العلي العظيم. وصدق الله العلي العظيم.

القوه: هي من صفة الوحدانية والتفرد، فلا يمكن ان تكون قوه في احاد متفرقه , فكلما كان التفرد والأحادية الذاتية او الأحادية المتحدة بارزه , كلما كانت صفة القوه ابرز واقوى .

فمن طبيعة الاشياء وقانون طبيعتها أن القوى المتفرقة في الاتجاهات لا بد ان يكون معدل قوها صفر لكي تستديم وتثبت وإلا لذهبت القوى الاكبر والاعظم بالقوى الاخرى، وبقت القوى الاكبر والاعظم هي المهيمنة والمسيطرة والحاكمة لذلك الوجود والمسيطرة على اتجاهه.

ولذلك نجد ان توحد الاشياء يكون سبب في ادامة ذلك الوجود وعدم اندحاره او اندثاره او موته. ففي الاتحاد قوه تديم وجود الامم والدول والافراد والمجتمعات والاشياء كلها، حتى الجامدة منها. ففي وحدة العمل في كل الاشياء يخرج الانتاج للوجود من زراعه وصناعه فالأعداد مهما كثر عددها لا تقدر ان تنتج وهي متفرقه وإذا انتهجت فنتاجها واهي، ولا تستطيع الملايين من الناس والاشياء ان تنتصر ويتحقق ويدوم وجودها وهي متفرقه، فسبيلها الى النصر هو وحدتها، وعملها كوحدة واحده، كالبنيان المرصوص. فالمجتمع المتفرق لا ينتج ولا يتطور، والعائلة المتفرقة الغير المتماسكة تنهار وتنتهي.

**فوجود الاشياء بوحدتها:** فكل ما على وجه الارض وجد باتحاد وتجمع الاشياء مع بعصها، **فالبناء** هو جمع للرمل والحصى، فكون بنيانا مرصوص فالرمل والحصى متفرقه تجرفها الرياح والمياه وتبدد شملها, وتذهب بها, و لا تستطيع ان تصمد بوجه قوى الرياح المتحدة, او سيول قطرات المطر المتحدة الجارفة, او اي قوه, وكذلك الاشياء كلها اصبح لها وجود نافع ومحمود باجتماعها وجمعها . فالمصانع والمعامل وكل ما نستخدمه من المصنوعات هي تجميع واتحاد منتظم من الاشياء لتكون وجود نافع يرجع اليه في ابتغاء المنافع وهكذا.

من هذا نرى ان الاحاد مهما كثرت فهي الى زوال وضعف واندثار وانحسار، فهي الى زوال ما لم تتجه تلك الاحاد الى الوحدة التي تجدد وجودها. وعليه فالوحدة هي سبب الوجود والقوه والقدرة والغلبة والانتصار وادامت وجودها وعدم زوالها، والعكس صحيح فالأحاد مهما كثر عددها فليس لها قوه ولا غلبه ولا بقاء امام الشيء الاوحد القوي.

**ألا اننا لا بد ان ندرك ان تلك الاحاد المتحدة القوية الساعية الى وجود دائم ومستديم وقوي هي في اصلها احاد وان هذه الاحاد المجتمعة اذا واجهتها اي قوه اكبر من قوة اتحادها، ووحده اكبر من وحدتها، مزقتها وفتتها وارجعتها الى احادها ضعيفة هزيلة.**

أذا فكل وجود هو معرض للزوال، ولا يستديم وجوده حتى بوحدته وتجمعه واتحاده، **الا الى الواحد في أصله ونوعه ووجوده وقوته وتميزه وفرديته**. فهذا الواحد لا قبل لأي أحد ان يزيل او يغير وحدانيته لإنه واحد في أصله وذاته. ولان وحدانيته هي أصل لكل الاحاد والمجودات والافراد وهو الموجد لها وهو القادر الاوحد على اعدام وجود تلك الاحاد. لإنه هو فقط الواحد الاحد الفرد الصمد المتفرد بهذه الصفات والتي لا يملكها غيره. فمن المنطق والادراك العاقل يجب ان ندرك ان وحدانية الواحد المهيمن والقوي، هي قوه وسلطه وجبروت، فوق اي قوه وسلطه وجبروت اخر، وأن ليس لها مقارن او منافس.

لذا نجد في القرآن الكريم أن الله جل وعلا عندما يذكر أنه هو الواحد يتبعها بصفة القهار. ليؤكد لنا أن وحدانيته تقهر كل الاحاد، وتفرده لا يقترب منه أحد، وصمديته لا يصمد ولا يقف امامها شيء سبحانه وتعالى عما يشركون.

فقد جاء اسم الله الواحد في القرآن الكريم ستة مرات، وفي جميعا يتبعها الله بأنه القهار، وهذا تأكيد من العليم الخبير لعباده، أنه قهار في وحدانيته , وجبار في ملكه .

الآيات

الآيات التي وردة فيها اسم الواحد في القرآن الكريم :-

في يوسف39 (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ **الْوَاحِدُ** **الْقَهَّارِ** ).

في الرعد16 (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ **الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ).**

وفي ابراهيم 48 (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ **الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ).**

وفي ص 65 (قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّه **الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ).**

وفي الزمر4 (لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ **الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ).**

**وفي غافر 16 (**يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ **الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ).**

إذا فمن العقل والمنطق أن ندرك أنه لا بد ان يكون للواحد قوه جبارة مهيمنه، لا وجود لقوه تضاهيها او تقترب منها بأي شكل من الاشكال، او تهدد وجودها واستدامتها، وإلا لأختلف ميزان الوجود ولأرتبك بارتباك واجده والمهيمن عليه.

وكذلك من العقل والمنطق ان هذا الموجد والوجد الاحد يجب ان يتصف بالحكمة والمقدرة والعلم ليدير هذا الوجود الكبير العظيم بهذا الاتقان الرائع العظيم الذي نراه فيما حولنا من الموجودات وفي وجودنا نحن كبشر، وأنه لابد ان يكون حليم غفور ودود رؤف رحيم لكي يدير هذه المخلوقات ويصبر عليها وعلى اخطائها وزلاتها وانكارها ومحاولة تمردها، ولو لم يتصف بهذه الصفات لما ابقى على ظهرها "اي ظهر الخليقة" من دابه تدب عليها . وكذلك كل صفات الله التي وصف بها نفسه جلا وعلا واسمائه الحسنه لا بد ان تكون عند ذلك الموجد الواحد الاحد الفرد الصمد , اذا فلا بد ان يكون ذلك الواحد الاحد هو الله رب العالمين الذي ارسل المرسلين ,ليعلنا أنه لا إله غيره , ورب كل شيء وانه هو الواحد الاحد الفرد الصمد , لا رب ولا إله غيره ,وأن له ماسكن في اليل و النهار وهو السميع العليم, فلو كان هناك قوه اخره وإله ورب اخر لقام وتحد هذا القول من القائل انه: هو الاله الواحد الاحد, الذي لا تأخذه سنة ولا نوم , وهو على كل شيء قدير , وله يسكن ويستكين ويلجئ كل شيء . فلو كان في الوجود موجود غيره يدعي اي من تلك الصفات لقام وتحدى ونافس وصارع ونازع الملك، من القائل: انا الملك والملك لي وحدي، ولرتبك الكون والوجود، كل يفعل بملكه ما يشاء ولفسدى الكون والوجود.

إذا فالواجد الموجد هو واحد أحد فرد صمد لا منافس ولا منازع له. فتبارك الله رب العلمين الذي تدركه العقول والالباب العاقلة المفكرة المدركة لما حولها.

**فالله خلق الانسان وخلق له عقل يستطيع ان يدرك خالقه لوحده حتى ولو لم تصله رسالة ذلك الخالق من المرسلين،** لإنه لا يمكن ان يهب الله الانسان عقلا وكيانا لا يمكنه أن يدرك به خالقه، فحاشا لله الخالق المبدع، فهذا قصور في الخلق والابداع، فالفطرة التي فطر الله عليها الانسان هي المرشد المنير للمعارف العقلية.

وهنا احببت ان اوضح انه حتى العقل لوحده بما اعطاه الله من قابلية الادراك، يستطيع ان يدرك ان لهذا الكون موجد عظيم، وذلك لإدراكه عظمة ما حوله، وان هذا الكون العظيم المنتظم البديع في التكوين والبناء والتنسيق والانتظام والتناسق والتناغم بعضه مع بعض، لابد ان يكون له موجد أعظم منه، ومن ثم فأن فطرته تعلمه ان هذا الخالق الموجد العظيم هو الله ربه ورب كل شيء وهو الواحد القهار. وذلك لآن الفطرة فيها الادراك الفطري الذي يوحي للعقل بأن ربه هو رب كل شيء الواحد القهار كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان (الانسان يولد على الفطرة مسلم فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه) اي يولد مسلما ومستسلما بعقله وبصيرته لله الخالق.

وهنا اردنا ان نبين ان للعقل قابليه على استنباط وجود الله ووحدانيته وقدرته من خلال التفكر والتدبر العاقل المتزن، في هذا الكون العظيم الذي نعيش فيه، "إنما يتذكر ألو الألباب “، لندرك **انه لابد ان يكون لهذا الخلق العظيم، خالق ورب اعظم منه**، يدير هذا الكون ويهيمن عليه وينظمه، وأنه لا وجود ولا منافس او مشارك له وإلا لفسد الكون واختل نظامه. سبحانه وتعالى عما يشركون.

ثم يأتي نور الفطرة ليبين للعقل ان هذا العظيم هو خالقه وخالق كل شيء، وأنه لا بد ان تسجد له جوارحه وتستسلم له ارادته وتستيقن نفسه لعظمته وقدرته، لآنه هو القادر والقاهر وهو العزيز في ملكه والحكيم في تدبير خلقه، فالله قد جعل للإنسان نوران كما أشرنا، نور العقل ونور الفطرة التي توقد شعلتها رسالة ربها.

من هنا نستطيع ان نقول انه لا بد للعقل الراشد ان يدرك ان لهذا الكون إله واحد، ومصدر للقوه واحد، ومدبر واحد، وأن هذه القوة الإلهية لا يمكن ان تتجزأ او تنقسم او تتكاثر، لأن ذلك سيزيل عنها صفة العظمة والقدرة والهيمنة والدقة والتجبر والتكبر، فالوحدانية المطلقة والفردية الصمدية هي التي لا بد ان يتصف بها هذا الخالق العظيم، لهذا الخلق العظيم.

فلا بد للعقل العاقل لما حوله ان يدرك انه كلما كبر وعظم الكيان او ذلك الوجود كلما استلزم ان تحكمه وتسيطر عليه وتدير شؤونه وحده واحده فرديه صمديه ازليه في وحدانيتها وصمديتها في وجودها، وأنها فردية ازلية لا تتجزأ ولا تقبل التجزئة وانها لم تلد ولم تولد فهي فرديه ازليه لتلائم في وجودها ذلك الوجود العظيم، فأنها لو توالدت لانتفت وحدانيتها وانتفت عنها صفات الواحد الاحد وأصبحت فيها صفات الافراد والاحاد التي تصير الى التفرق والتمزق والتصارع والتنافس والزوال، وهذا لا يليق لواجد هذا الوجود العظيم.

**إذا** فكلما أدرك الانسان عظمة هذا الوجود كلما أدرك عظمة خالق هذا الوجود، وفرديته وصمديته. فالا بد ان تكون قوته قوة مفرده لا وجود لقوة ثانيه منافسه لها، ولا وجود لحكم إلا حكمه، وإلا لتضاربت الاحكام، ولا وجود لقانون وسنن في الوجود إلا قانونه وسنتة , وإلا لفسدت السموات والارض ولإزالتا لتضارب واختلاف السنن والقوانيين . فلا يمكن ان يستديم هذا العالم او هذه الوجود وليس هناك فرديه ووحدانيه وصمديه تدير هذا الخلق العظيم.

ولقد وجدت بعد ان خضت في هذا الاستنتاج والاستنباط العقلي ,ان العالم والفيلسوف الكبير الكندي رحمه الله قد كتب في نفس المعنى ولكنه بين وحدانية الله الذاتية التي لا تشابهها او تضاهيها اي وحدانية فرديه ,لإنها وحدانية صمديه, وليس هناك وحدانية صمديه في ذاتها الجليلة إلا لله الواحد الاحد الفرد الصمد, وذلك في رسالته للخليفة المعتصم العباسي , يثبت في رسالته ان العقل يستطيع ان يدرك ان خالق هذا الكون واحد احد فرد صمد , فبعد ان يسرد له بأحكام وتفصيل ومنطق نبيه صفة الواحد ( ارجو الاطلاع على تلك الرسالة لمن اراد ان يستنير بعلم ذلك العالم الجليل ) فيلخص الكندي القول ويقول (105) ( فقد تبين أن الواحد الحق ليس هو شيء من المعقولات ولا عنصر، ولا جنس، ولا نوع، ولا شخص، ولا فصل، ولا خاصة، ولا عرض عام، ولا حركة، ولا نفس، ولا عقل، ولا كل، ولا جزء، ولا جميع، ولا بعض، ولا واحد بالإضافة إلى غير مثل واحد مرسل، ولا يقبل التكثير؛ ولا المركب كثير ولا واحد مما ذكرنا أنه موجود فيه أنواع جميع أنواع الواحد التي ذكرنا. ولا يلحقه ما يحلق مسامتها. وإذ هذه التي ذكرنا أبسط مما هي له، أعني ما يقال عليه، فما يقال عليه أشد تكثراً، فالواحد الحق إذن لا ذو هيولى ولا ذو صورة، ولا ذو كمية، ولا ذو كيفية، ولا ذو إضافة، ولا موصوف بشيء من باقي المعقولات؛ ولا ذو جنس، ولا ذو فصل، ولا ذو شخص، ولا ذو خاصة، ولا ذو عرض عام، ولا متحرك ولا موصوف بشيء مما بقي أن يكون واحداً بالحقيقة. فهو إذن وحدة فقط محض. أعني لا شيء غير وحدة. وكل واحد غيره فمتكثر. فإذن الوحدة، إذ هي عرض في جميع الأشياء، فهي غير الواحد الحق، كما قدمنا. والواحد الحق هو الواحد بالذات الذي لا يتكثر بته بجهة من الجهات، ولا ينقسم بنوع من الأنواع، ولا من جهة ذاته، ولا من جهة غيره، ولا زمان ولا مكان، ولا حامل ولا محمول، ولا كل ولا جزء، ولا للجوهر ولا للعرض، ولا ينوع من أنواع القسمة أو التكثر بته. فأما الواحد بجميع الأنواع غيره، فإذا كان فيما هو فيه بالعرض، فكل ما كان في شيء يعرض فمعرضه فيه غيره، إما ما ذلك الشيء فيه يعرض، وإما بالذات، وليس يمكن أن تكون الأشياء بلا نهاية بالفعل. فأول علة للوحدة في الموحدات هو الواحد الحق الذي لم يفد الوحدة من غيره، لأنه لا يمكن أن تكون المفيدات بعضها لبعض بلا نهاية في البدء. وعلة الوحدة في الموحدات هو الواحد الحق الاول. وكل قابل للوحدة فهو معلول، فكل واحد غير الواحد بالحقيقة فهو الواحد بالمجاز لا بالحقيقة، فكل واحد من المعلولات للوحدة إنما يذهب عن وحدته إلى غير هوية، أعني أنه يتكثر من حيث يوجد وهو كثير لا واحد مرسل، أعني مرسل واحد لا يتكثر بته، وليس وحدته شيئاً غير هويته. فإذا كان كل واحد من المحسوسات، وما يلحق المحسوسات، فيها الوحدة والكثرة معاً وكانت الوحدة فيها جميعاً أثراً من مؤثر عارضاً فيه لا بالطبع، ولا كانت الكثرة جماعة وحدانيات اضطراراً، فباضطرار إن لم تكن وحدة لم تكن كثرة بتة. فإذن كل متهو إنما هو انفعال يوجد ما لم يكن. فإذن فيض الوحدة عن الواحد الحق الأول، هو انفعال يوجد ما لم يكن. فإذن فيض الوحدة عن الواحد الحق الأول، هو تهوي كل محسوس، وما يلحق المحسوس، فيوجد كل واحد منها إذن يهوي بهوية إياها. فإذن علة التهوي من الواحد الحق، الذي لم يفد الوحدة من مفيد، بل هو بذاته واحد. والذي يهوي مبدع. وإذ كانت علة التهوي الواحد الحق الأول، فعلة الإبداع هو الحق الأول. والعلة التي منها مبدأ الحركة، أعني المحرك مبدأ الحركة. أعني المحرك هي الفاعل، فالواحد الحق الأول)(105)

انتهى قول الكندي.

إذا فالعقل ايضا يستطيع ان يدرك وحدانية الله وعظمته. وقد ادرك هذا ابن الرشد حين قال في مدرج في قسم العلم والجهل \_ (أن الله لا يمكن ان يعطينا عقولا ويعطينا شرائع مخالفه لها). -

من هذا نستطيع ان نقول أنه اذا عقلت العقول الشرائع، عقلت من خلالها صفة المشرع وعظمة جلاله وقدره.

فوحدانية الله جلا وعلا يدل عليها خلقه وبديع صنعه وانتظام خلقه واستدامة سننه

ولذلك نرى ان الله جلا وعلا يخاطب أولو الالباب والعقول في ان يتفكروا في أنفسهم وما خلق الله في السماوات والارض، يقول جل وعلا: "أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فأنها لا تعمى الابصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور".

أولم يدرك الإنسان أنه: **من تفرد في الشيء ملكه**، فأن لم يتفرد به تنافس عليه المتنافسون من بقية الافراد والمنافسين الاضداد، فصار ذلك الشيء فريسة لتلك الاضداد.

**وكذلك تملك الاشياء:** فأن كثرة الملوك والمالك للشيء الواحد انقسم هذا الشيء الواحد الى فتات. فأن كثرة الملوك تفتت الملك. وإن كثرة القبطان تغرق السفينة.

إذا فلا بد للتفرد الاحادي المتميز في حكم الاشياء لكيلا تتضارب الاحكام. فلا يمكن ان يحكم امر او شيء قانونان مختلفان.

ومن الدلالات التي يجب ان يدركها العقل السليم والتي تدل على وحدة الخالق.

هي وحدة البناء في كل المخلوقات، والتي تتكون من نظام الخلية والتي تتشابه في نظامها وتكونيها في كل المخلوقات، من الذرة الصغيرة الدقيقة في الحجم والتي لا ترى في العين المجردة، الى الاجرام والاكوان السماوية، التي يشابه بنائها وتكوينها البناء الذري في الذرا الصغيرة التي لا ترى بالعين.

ان تنتجلي الانسان الذي يبدئ الله خلقه في بطن امه من خليه واحده ثم تتكاثر هذه الخلية وتنقسم وتنشطر الى مئات التريليونات من الخلايا وكل خليه تختلف عن الآخرة , وفي كل واحده منها تجري من التفاعلات الكيمائية ما يعجز المعامل الكيمائية الضخمة في العالم من ان تنتج مثل انتجها في الدقة والكيفية , فما هذا العقل الذي في هذه الخلية الذي يعجز عقولنا , وهي في صغر لا يرى إلا تحت المجهر , فأنى لها ان تعمل من غير مدبر ومسيطر ومهيمن عالم عليم , وعلى نفس هذا النظام الانشطاري والتكويني تكوّن الفضاء الخارجي , كما قال ربنا جلا وعلا ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ,كما يسميها العلم الحديث بنظرية الانفجار او الانفطار , أنى لهذا الانفجار الكوني ان تنتظم مكونات انفجاره في انتظام محكم يعجز العقل البشري عن ادراك احكامه وعظمة انتظامه .

لقد وجد الإنسان مما وجد من عظائم خلق الله هذا التقسيم المنتظم والمتجانس والمتشابه من الذرة الصغيرة الى المخلوقات الاخرى على الارض الى النجوم والاقمار أن كلها تنتظم بنظام واحد يحكمها وينظم انتشارها وتموضعها بطريقه ونسبه واحده أطلق عليها

**النسبه الذهبية** والتي يكون تقسيمها على توزيع العددي (1,1,2,3,5,8,13,34,55,89...)"متتالية فيبوناتشي " وهكذا بإضافة العدد الاول مع الثاني، وأن هذا التقسيم العجيب نراه في كل شيء من وردة نبات عباد الشمس الى قواقع الحلزون البحري الى الخلايا وتوزيعها ودورانها الفلكي بين الالكترونات حول النترونات. (106)

إذا فتشابه صنع المخلوقات يدل على ان الصانع واحد، والقانون والنظام الواحد في كل المخلوقات يدل على ان المشرع واحد.

فمن تأمل في المخلوقات التي تعيش على الارض يجد العجب العجاب كيف انها تتعايش وتعتمد على بعضها البعض في العيش والاكل والشرب. وأنه لو اختفى عمل أحدها او وجود أحد هذه الالاف من الملايين من المخلوقات من الطبيعة لأختلف هذا التوازن العظيم ولظهرة مشاكل كبيره في الطبيعة، وأثر على حياة وصحة ووجود الانسان وبقية المخلوقات.

ولنسرد مثال على ذلك النظام العظيم، وهو عندما أرادت الحكومة الصين أن تقضي على بعض انواع من الطيور التي تأكل الحبوب التي تبذر في الحقول وتشارك الانسان في طعامه فقررت القضاء عليها , وبعد ان نجحت في التخلص منها ظهرت دودة في الارض اكلت كل محاصيلهم ومزروعا تهم ولم تبقي لهم على شيء , فكانت مجاعة عظيمه في تلك السنه, لأن تلك الطيور كانت تأكل تلك الديدان وتحد من تكاثرها . فكل ما في الكون وجد بمقياس وميزان ولحكمة لا يعلمها إلا الله، فالخالق العظيم يقول لنا أنه " كل شيء خلقناه بقدر " صدق الله العظيم.

**وجوب انضباط العقل بنور البصيرة:** أن الاستنباطات العقلية اذا لم تكن مستنار بنور البصيرة , يأخذ بها الشيطان والأهواء مأخذ بعيده في ساحات اهواء النفس التي تريد الانفلات ولانكباب على الشهوات , فتزيغ من الحق وتهرب منه إذا لم يكن يوافق هواها .يقول تعالى " أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم " فالاستقامة على طريق الحق تحتاج الى نور البصيرة ,كي لا تزيغ او تضل.

فالعقل من غير بصيرة القلب يظل. فقد ظل كثير من الناس والاقوام التي عميت بصيرتها، رغم أدراك عقلها لعظيم صنع ما حولها. وسوف نجد هذا الارتباك في الادراك عندما نتحدث عن الحداثة وعصر التنوير في الغرب المادي، الذي كان ينظر للأمور والاشياء بعين العقل وحده، وألغى عين البصيرة وتجاهلها، فظل عن ادراك حقيقة الخلق والخالق، لأن نظرته كانت جماديه بحته ليس لديها قابلية تحريك الاشياء وربطها ببعضها البعض لرسم الصورة الحقيقية لهذا الوجود، ولرؤية الخالق من خلال مخلوقاته.

ان نور العقل المستنار بشيء من بصيرة القلب ولو ببصيص منها، يستطيع ان يستدرك حقيقة وحدانية الوجود والمُّوجد، ولكن من انطفئ نور بصيرته كليا، فأنه يرى احاد وارقام واعداد وصور لا معنى لها، ولذلك يقول أبن خلدون **" أن العقل ميزان صحيح، ولكن لا تطمع ان تزن به امور التوحيد، فإن ذلك مطمع محال "** (107)، فهذا العالم المسلم ينطق بذلك لعلمه ان روح العلم الحقيقي تنبع من العلم النوراني الرباني الذي فطر الله الناس عليه. وقد وصل الى تلك النتيجة عالم أخر غير مسلم، لكن جهله بالعلم الرباني فسر تلك النتيجة من خلال نور العقل المفرد فيقول العالم الفيلسوف ايمانويل كانط **" أستطيع ان أصف لك كيف يبدو لي العالم، ولكني لا أستطيع أن أصفه كما هو في الواقع" (108)، وإني** لأجد كانط وكأنه يقول في مقالته تلك، أن ادوات التعبير للوصف الحقيقي للواقع بأبعاده الحقيقية، لا السطحية , لا يمكن إدراكها إلا من خلال نور البصيرة وعينها . ان هذا العجز لتصوير الواقع وتبيان حقيقته وتوثيقه بكلمات توصيفيه هو ناتج عن عدم وضوح الرؤية وذلك لتشوش نور البصيرة.

إن انقطاع التواصل المعرفي بين العقل والقلب، يجعل عقل الإنسان مشوش وقلبه مضطرب.

فكلما انقطع نور القلب والبصيرة عن العقل كلما اشتده ظلمته وتاه في حيرته.

وقد تشتد هذا الظلمة فلا يرى الإنسان في ذلك الظلام الدامس ما حقيقة ما تفعل يده، كما يقول تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها، لشدة الظلمة المحيطة به والتي اعمت بصيرته كليا ونجد هذه الظلمة عند الفيلسوف الغربي الكبير **بيرون،** الذي يصف لنا مشاهداته ورؤيته لما حوله بقوله،" **نحن لا نعرف شيئا , ولن نعرف شيئا** " (110) فهو كما وصفه العلي القدير في ظلمات ثلاث اذا اخرج يده لم يكد يراها , وهنا هو يوصف ,عمى بصيرته .

وهناك اقرار كبير من علماء وفلاسفة وباحثين ان العقل لوحده عاجز عن إدراك الحقيقة كلها لوحده، وذلك لمعرفتهم أنه في كثير من الاحيان **يستطيع العقل ان يثبت الشيء ويثبت عكسه بنفس الوقت**. وقد اجمع الفلاسي من المسلمين وغير المسلمين مثل ابن خلدون وباسكال ولوك والأشاعرة والغزالي بأن العقل قاصر. لأنهم أدركوا ان فيه الكثير من الإشكاليات المنطقية، التي تجعله، **يستطيع أن يثبت الشيء، ويثبت عكسه بنفس الكفاءة**.

فالعالم الكبير باسكال الذي له إسهامات كبيره في مجال الفيزياء والهندسة، يعترف لنا بأن العقل لا يستطيع أن يصل الى حل في مشكلة فهم، **بداية الكون**، فهناك اشكاليات لا يمكن للعقل حلها بداية، فلا يمكنه تصور "الأبدية" إطلاقاً ولا استيعابها مهما حاول، وهنا يأتي دور الإيمان.

تماماً كما يرى الغزالي **أننا نقدم الاحتمال "الأضعف عقلاً" إذا قرره الوحي**، لآنه يعلم ان العقل ليس له القدرة على تفهم لوحده الاشياء والامور الغير مدركه حسيا او ماديا. وبهذا نجد ان الذي انير عقله بنور بصيرته يعرفون ماهية الاشياء ودلالاتها ليس كما يقول **بيرن**  ," **نحن لا نعرف شيئا , ولن نعرف شيئا** " .

وفي المقابل نرى العقول النيرة بنور بصيرة النور الرباني تنظر الى ما حولها بهذا النور فترى كما يقول الشيخ الجليل عصام الحساوي في رسائله ( اعلم ان العالم وما حوى ما هو الا مظهرا لجمال الحق تعالى, وما صور الكائنات الا من تجلياته الظاهرة في صور الاكوان وفي حضرة عالم المثال , فعالم التمثيل هو شهود التجليات المتنوعة في الصورة الظاهرة وتتجسد فيه المعاني المجردة والمعارف وكذلك الارواح في الصور المثالية فتأخذ صفاتها ونعوتها مقيدة بصورها في عالم الملك فاذا شهد قلب العبد تلك التجليات المظهرة للوجود المكاني والغيبي ازداد شوقا ومحبه لموطن تلك التجليات فحنين المحب ابدا انما هو لموطن التجلي فغرام المحب وهيامه وتعلقه انما هو بشهود انوار التجليات كالمتولع بمنازل الاحبة فتأخذهم هذه المعاني الى محبة المتجلي وهو الحق تعالى فدوام شهودهم هو دوام حبهم لمحبوبهم فمن احب العالم وشهد تجلياته بهذه النظر, فقد احبه بحب الله تعالى فصار شهودهم عبادة لله تعالى فصاروا يعبدونه كأنهم يرونه اي يرون اثار جماله وكماله في هذا الوجود ) . إن هذه النظر الجمالية الخلاقة التي تعطي معاني عظمة الخالق في مخلوقاته، والتي تحكي حكمته وقدرته وجمال تدبيره وتقديره وإتقانه , تجعلهم يعبدون الله حق عبادته ويعرفون قدره وقدر خلقه فيحبونه ويحبون خلقه ويسعون الى شكر المنعم بحفظ النعمة وتقدير عظمتها بتقدير عظيم خالقها وموجدها , وبذلك تراهم يسعون في اصلاح الارض وحب مخلوقات الله وحب اعظم وأجل مخلوقاته على ارضه وهو سيدها الانسان , فالمسلم عنده حرمة عظيمة لإخذيه الانسان , فلا يظلمه ولا يغبنه , ويحترم حرمته وعرضه وماله وحقه . هذه هي صورة المسلم المؤمن الذي عرف الله على حق وعرف حق الله في عباده،

**فهذه اعظم حضارة وتقدم ومدنيه ممكن ان يصل اليها الإنسان وترقى اليها البشرية.**

**القلب:** هو الجزء الرابض بين أضلع الانسان في صدره، يعرف فسيولوجيا بتلك المضخة الرابضة في الجزء المتوسط الايسر من الصدر والتي تضخ الدم الى سائر الجسد. أما إنسانيا فهو الشيء الموجود بين أضلع الانسان في صدره لا يعرف كنهه ومكنونه ولا مكان وجوده، هل هو تلك المضخة؟، او جزء منها او شيء قريب منها او متعلق بها او غير متعلق بها!، هل هو مادي ملموس؟ او هو روحي محسوس؟ هذا ما لم يدركه او يعلمه الانسان بعد، بل كل ما يعلمه الانسان ويوقن به انه في الصدر من الجسد وانه مصدر اخر للإحساس والادراك.

ويعتبره المؤمنون برسلات ربهم، أنه مستقر الصلاح والفساد في الإنسان , ومخزن للأحاسيس والمشاعر, ومستقر العهد والسر مع خالقه , ويخبرنا رسول الله عنه فيقول " إن في الجسد لمضغه إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب " وقد اتفقت البشرية كلها على ان مصدر الحب والكره والخوف والامان هو القلب . فالكل يوقن انه يحب بقلبه ويكره بقلبه ويخاف ويأمن بقلبه، فالقلب يبعث بتلك الاحاسيس للعقل ليدركها ويعمل صوره معينه لها أن استطاع , ويصدر الاوامر لبقية الاعضاء لتعمل بموجبها .

فالقلب هو الخازن لحواس الانسان ومدركاته والحافظ لمكنون الانسان ومكتسباته , فعندما يحفظ الانسان شيئا , يقول حفظته عن ظهر قلب , فإذا حفظ الانسان القرآن نقول حفظه عن ظهر قلب, وكذلك يقال ان فلان قلبه مليء بالحب او الحقد , فالقلب هو خازن للأحاسيس والمشاعر وللذكريات ,غير اننا نعلم ان في العقل البشري حيز للحفظ والذاكرة , وقد اثبت ذلك علم التشريح البشري وعلم التقصي والمراقبة والاستشعار الكهربائي لذلك الحيز الذي يقوم بنقل المعلومة وارسالها للنطق بها , وأظن أن هذا لا يتعارض مع القول بأن القلب هو خازن للمعلومات والذاكرة , وللتوافق بين القولين والاعتقادين , هو أن القلب هو الخازن الحقيقي للمعلومة , وان الجزء المخصص للذاكرة من العقل يعمل على تذكر مكان الخزن في القلب ليستخرجها منه , فهو كالكمبيوتر عامل ذاكره للمعلومات المخزنة في القلب . يخرجها من مخزونها ويعقلها ويدرسها فإذا شاء بعث بها الى اللسان ليعلنها. غير أن هناك تصريحات يعلن عنها اللسان من غير ان تمر على العقل، أي تفلت او تنفلت منه يقال عنها زلات لسان، وهذه الاندفاعات القلبية تمر من العقل على حين غفله .

ومن خلال هذه الزلات اللسانية المندفعة من القلب على حين غفلة من العقل، يحاول علماء النفس معرفة ما في خاطر الانسان وما يخزنه قلبه، لتدارس حقيقة مشاعره , ومحاولة علاج ما فيها من تعقيدات او صدمات .

وبما أن القلب هو الحافظ لمكتسبات الانسان وخازن لمعلوماته وعواطفه واحاسيسه، لذا كانت كل الاقوام البشرية تكتب اشعارها وتتغني بالقلب وبما به من حب وشجاعة وجَّلد .

فلم نجد في ادبيات الاقوام على مدى التاريخ ان احداً ارجع مشاعره وأحاسيسه الى العقل. وحتى في عصرنا الحاضر والذي تميز بالتطور والتفوق العلمي والمعرفي، فلا يزال الاعتقاد أن القلب هو مصدرا للأحاسيس والمشاعر والذكريات. ومما يؤكد هذه الاعتقاد، أننا لا زلنا نختار المحبوب بقلوبنا. ولو اختارته عيوننا من غير أن يقبله القلب، لرأينا التقلب في الحب من الجميل الى الاجمل في الصورة. وهذا غير حاصل. ولذلك نجد أن هناك اشياء كثيره قد تحلو بعينك , ولكن لا تحلو للأخرين وقد تنفر منها الاخرون , وذلك لإنها أحاسيس قلبيه , وقد نحب انسان ونراه الاجمل والأحسن , ولكن قد لا يشاطرنا الاخرين الرؤية نفسها , وذلك لإن من يحب ويعشق هو القلب وليس العقل , ولو أحب الإنسان بعقله , لوجدنا أن العقل يختار الصورة ألأجمل شكلا وموضوعا , فإذا ما اختلف الشكل والموضوع في تلك الصورة لنفس الشخص أو الشيء , أختلف حبه وتعلقه به , لان عمل العقل هو الاختيار والمقارنة بين شيئين ليختار منهما الافضل او ليختار المعلومة اعتمادا على الخيارات التي امامه ,فلو كان الامر كذلك لوجدنا المحب والعاشق بعقله يتغير ويتبدل حبه وعشقه عند تغير الصورة الكمالية للأشياء التي تراها عين العقل , فهو يتنقل من الصورة الجميلة الى الاجمل , ومن فتاة جميله او الرجل الوسيم الى الفتاة الاجمل والى الرجل الاوسم . ولما سمعنا عن حب دائم، واخلاص في ذلك الحب. ولذا قالوا إن الحب أعمى لإنه لا ينظر بعين العقل، ولكن ينظر بعين القلب. وعندما نرى إنسان يتنقل سريعا في علاقته، فنقول عنه أنه لا يحب،وإنما يمتع هواه ويساير هوى عقله, ولم يدخل الهوى الى قلبه , فلا نسمي تلك العلاقات بالحب ,ولكن نسميها نزوى , اي شهوة عابره لم تدخل القلب .

يقول محي الدين ابن العربي " ان للقلب لغة لا يفهمها العقل " اي ان لغة الاحساس والادراك الحسي والتلقي الالهامي هي لغة القلب التي لا يفهمها العقل ,كذلك نجد عالم الفيزياء المشهور باسكال , رغم انه عالم فيزياء ورياضيات إلا انه ايقن و توصل الى معرفة لغة القلوب , عندما شعر وايقن بوجود الله الخالق في قلبه قبل ان يدركه عقله , فهو يقول ان : **"للقلب أسبابه التي لا يدرك العقل عنها شيئاً، فالقلب هو من يشعر بالله تعالى لا العقل، وهذا هو الإيمان؛ أن تجد الخالق بقلبك لا بعقلك".(110)** فهو يعترف هنا ان العقل عاجز عن ان يفهم عظمة خالقه اذا لم يضاء بنور القلب . ومن التصورات والتعريفات الجميلة للقلب ما قاله الشيخ عصام الحساوي , حيث يقول ( أعلم أن القلب المعنوي هو ذلك النور الازلي والمعبر عنه بالروح المنفوخ , فهو لبابة المخلوق , وزبدة الموجودات , وسمي بهذا الاسم لإنه خلاصة الاشياء وزبدتها , وهو قائم في الجسد كهيئة المضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد الجسد كله , كما اشار اليه الصادق الامين صلى الله عليه وسلم , وسمي قلب لإنه دائم التقلب من الشر الى الخير وبالعكس , واعلم أن القلب ليس لوجهته فضاء مخصوص بل كله وجه, اي أن جميع جهاته وجه , فمنها ما يقابل عالم الغيب , ومنها ما يقابل عالم الشهادة , وموضع الهمه فيه تصير وجهته, فمن كانت همته ساعيه الى الكمال الرباني فسيره يكون الى جهة العلو والرفعة لتلقي التجليات والواردات كالعارفين وأمثالهم . ومن الناس من يكون همه الى التسافل والدنو, كأهل الدنيا ,فتصير وجهته متعددة فمنهم من يشغل زمانه في جمع متاع الدنيا والظهور بزينتها , ومنهم من تكون وجهته الى نفسه فينشغل برغباتها ويتلذذ بشهوتها , فيخيم هواها على قلبه بالكلية , فيذهب حظه من شهود عالم الغيب , فيضعف ايمانه شيئا فشيئا , وهذا حال اكثر البطالين , الذين اثروا مواطن اللهو واللعب والتفاخر بالأموال والاولاد حيث لا يكون لهم إلا ملاحظة أنفسهم وتلبية مشتهياتها , وأما طلاب الكمال السالكين اليه تعالى بصدق التوجه , والمتحققون بمراتب اليقين فما لقلوبهم موضع يسمى قفاء , بل قلوبهم بالكلية في مقابلة الانوار والتجليات العلية, فحياة قلبهم قائمه بذلك الشهود السرمدي , فيقطعون مقامات الطريق بالرضا والتسليم ولا تلتفت قلوبهم الى اللذات الزائلة والى الدنيا الفانية )(82) .

فالله تعالى يخبرنا أن القلب هو من يتذكر ويفطن ويعتبر عندما يرى بنور البصيرة , فإذا ما عمت البصيرة عمت عين القلب عن رؤية حقيقة ما حولها , يقول تعالى ( وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص\* إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد)( 111) .اي ان من يستطيع ان يعتبر بما حصل للقرون السابقة والسالفة هو القلب الحي , الذي به نور البصيرة, نور حياة القلب , التي تجعله يستطيع أن يسمع ويعقل .

وقد تكلم في اسرار عمل القلب العالم الجليل القاضي ابي زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي المتوفي سنة 430 هجريه في كتابه الامد الاقصى ,بتفصيل كبير, سأورد تلخيص بسيط لما تكلم فيه : يقول رحمه الله :-

أن الفؤاد هو سبب الادراك الباطن عند الانسان، وهو ألت الفكر. ووسيلة ادراكه هو القلب (ونقصد بالقلب هنا هو سويداء القلب التي هي بمنزلة الناظر للعين) وهو السر (وأظنه يقصد هنا العهد والميثاق الفطري) . وحالة الادراك هو نور العقل الذي به تستبين للقلب المسافة بين مبدئ الامور وعواقبها. وداعي الادراك هو الروح.

ويقول: أن الله تعالى جعل الظاهر دليلا على الباطن , ليكون العلم به حقيقيا, وليخفى على الناس بتعنت من أنكر ظلما وعلوا, فخلق الله معاني الادراك في الات الادراك للجسم الظاهر على تفاوت ( اي مختلفين اي متفاوتين في الادراك ) . ويقول ربما استوت الآلات في مبانيها (ولكن ) احوال الدرك على تفاوت . وربما استوت الآلات بمعانيها، فرب ناظر عين أحدّ من ناظر , ورب شمع أضووا من سراج زاهر .

وان في الجسم الباطن (يعني به الفؤاد) تتفاوت معاني الادراك في الآلات (وسائط)وهي اسرار القلب .وإن استوت الآلات في ذواتها . والتفاوت في احوال الادراك وهي العقول، وإن استوت في معانيها .

وان النوران الذين هما مسلَّمين للإنسان وهما العقل , والقرآن , لنورهما زياده بنظر العين ونقصان ( اي يزيد وينقص ) , وأن النورين اللذان غير مسلّمان الى تدبير العبد هما : نور التوفيق , ونور العواقب , وهما كرامة من الحميد المجيد , وأن كل الانوار على التفاوت ( اي متفاوت نورها) , وإن نور التوفيق يتناهى الى حال يستغني العبد معه عن اضاءة العقل لأنه ما احتاج الى نور العقل إلا لتجلو ظلمة المسافة الى العواقب , وبنور التوفيق استنارت المسافة فوق نوره ( اي نور العقل ), بل لاحت لقلبه العواقب كما تلوح ليلا لعينيه الكواكب.

فالعواقب المطلوبة بأمر الله تعالى أنور من نجوم الليالي , لكنها مستتره عن القلب بغمام الغفلة , منكسفه بصدأ المعاصي , فإذا صحا القلب عن الغفلة , وتجلت العواقب عن صدأ المعصية , أضاءت للقلب بلا افه , وأغنت القلب عن نور المسافة , بل تجلت بها المسافة عن ظلمات النفس كتجلي الهواء بطلوع الشمس , وصار النور منها محسوسا بعدما كان النور مقبوسا .

ثم يقول (لقد ثبت ان لكل جسم أنوار على التفاوت، ولكن بعد التكليف بالدرك (الأدراك) لا يخلو اصل الفكرة عن قدر ما يقع به القِدرة، فإعطاء القِدرة قدر التكليف عدل، وقد ضمنه الله بحكمته، والزيادة فضل وقد اذن الله بالسؤال من رحمته .). اي بالسؤال ان يفتح الله عليه من العلم الرباني.

ولقد وجدنا الامام جعفر الصادق رحمه الله يجيب الاعرابي عندما يسأله هل رأيت الله حتى تعبده؟ فقال ماكنت لاعبد شيء لم اراه! ان الله لم تراه الابصار بالمشاهدة، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان. لا يقاس بالناس ولا يدرك بالحواس. بان من الاشياء، وبانت الاشياء منه. ذلك الله لا إله إلا هو. فيبين لنا الامام الاعظم جعفر الصادق رضي الله عنه ان القلوب تدرك ما لا تدركه الابصار.

**الدلائل والشواهد الذاتية للتعرف على الفطرة الربانية السليمة: -**

هناك بعض الامور والاحداث التي تزيح غشاوة هوى النفس وتلبيساة المحيط والشيطان عن القلب. وذلك عندما ينعزل الانسان عن المحيط وأهوائه. ويختفي تأثير ذلك المحيط، وذلك عند وقوع مصاب جلل مفاجئ، يٌعجز ذلك المحيط بكل اسبابه وأدواته وألاته وقوته ان يعين ذلك الانسان او ينجيه مما اصابه. ففي تلك اللحظات يتخلى عنه كل شيء، ويصبح يواجه قدره بنفسه وحيدا وقد ضاقت به السبل، وشعر أنه لا حول له ولا قوه امام ذلك المعضل. عندها تنجلي ظلمت المحيط عن القلب، وتنار شمعة البصيرة، وتولي غشاوة المحيط وظلمة النفس وأهوائها ووساوس شياطين الانس والجن، عندها ستريه البصيرة حقائق الامور (فبصرك اليوم حديد) وتستطيع النفس أن تدخل بيت الفطرة من غير اعتراض تلك الغشاوة، لترى ان خالقها ومبدؤها ورازقها وحاميها هو الله العظيم رب السماوات والارض ورب كل شيء وهو السميع العليم، فتستغيث به وتستجير، لآنها علمت حيناها ان لا ملجأ منه إلا إليه. وأنه هو المنقذ الوحيد والحامي المجيد. وهذا لان الفطرة قد خرجت من السجن بعد ان ذهب السجان (تأثير المحيط) ,لتعلمه ان لا ملجأ مما هو فيه إلا رب الارباب ومسبب الاسباب وخالق الانسان من التراب , وانه اذا صدق العبد في دعائه اجاب , عندها يلهث ويغوث بسم الاله الاعظم من غير ان يشعر , فيصبح عندئذٍ , ذلك الدعاء امر فطري لا إرادي , كعمل اعضاء الجسم الداخلية في الدفاع عن الجسم من المكروبات والجراثيم اذا ما هاجمتها , فيبقى الانسان في هذا اللهاث وهذا الطلب والغوث الى ان ينكشف عنه ذلك السوء . يقول الله تعالى في هذا في سورة النحل الايه53 ( وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فإليه تجأرون ). لقد وصف الله جل وعلا دعاء المكروب الذي مسه الضر فضاقت به الدنيا بالجئير وهو يدعوا ربه، لإنه يجئر كما تجئر الدابة الخائفة التي صار منها الموت قاب قوسين او ادنى، وقد ضاقت بها السبل ,ولا حول لها ولا قوه.

فعندما ينكشف الكرب يأتي دور العقل من جديد، ليحكم بما جرى وما حدث، فيسترجع العقل الشريط السينمائي لما حدث له، ليتدارس ما كان فيه من كرب، وكيف كانت النجاة منه. وهنا يبدأ الصراع والتزاحم بين نور القلب وبين العقل، فإذا ما هجمت أهواء المحيط من جديد على العقل وأظلمت عليه نور البصيرة، رجع ذلك الإنسان الى ظلاله وظلمته يقول جل وعلا (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ **قُلْ تَمَتَّعْ بكفرك** قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ )(112) . فإذا ما تسلطه ظلمة المحيط من جديد على قلب الانسان وعقله , ونسى جئره وقلة حيلته , ونسي من كان يدعو من قبل , وصار يجعل لله انداد في أسباب نجاته الى هذا وذاك من الاسباب ونسى مسبب الاسباب ,ربه وخالقه, ووقع في فتنة المحيط وظلالها من جديد . يقول تعالى ( فإذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون )(113) , ثم يرجع الانسان الى فتنة المحيط ويرجع ينظر الى الأسباب وينسى مسبب الأسباب , وهؤلاء هم الفريق الذي وصفهم الله تعالى في سورة النحل الآية 54 ( ثم اذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون)(114) .

أما إذا تغلب العقل على الهوى والهوس. واستطاع ان يلتمس نور الفطرة وإرشاداتها من خلال تلك التجربة الصعبة ومن ذلك المصاب، عندها تبدأ رحلة البحث عن الحقيقة من خلال النور الذي شع في العقل، حتى تنتهي الى نور سماوي ينير العقل ,ويزيد القلب نور على نور , وترتاح النفس وتستكين وتسلم نفسها وأمرها الى خالقها وتُسلم . ونجد صورة هذا التفاعل النفسي في الآية الكريمة يقول تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد)(115) ,فهذه الآية تصف ذلك الالتقاء النوراني في القلب المتلهف عندما يلتقي مع نور الرسالة السماوية "نور الكتاب" , فيصبح القلب عندها في نور على نور , وعندها تهدئ النفس وترتاح من رحلة البحث , فتقشعر الجلود ويلين القلب , وتهدئ الروح وترتاح وتطمئن بهذا اللقاء.

إن اتقاد نور الفطرة في قلب الانسان، يري الإنسان حقيقة الحياة الدنيا، ويزيل عنه مخاوف وتلبيسات الشيطان، فترتاح النفس من صراع ومخاوف القادم من الاحداث، وتطمئن النفس وترتاح الى امر الله وقدره. وتقبل على الحياة بأمل ومستقبل واعد.

إن تلك اللحظات والساعات التي تستطيع النفس فيها التخلص من ظلمة المحيط ووساوسها ومكائد الشيطان، تمثل لحظة انفلاق الفجر بعد ليل طويل من الظلام، فإذا ما انفلق نور الفطرة وبدأ يتلمس الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر في صبحه الجديد. وبدأت ومضات الفجر تلوح، عندها يبدأ الامل وتبدأ دقات القلب تسرع قليلا بعد ان كاد أن يوقفها الظلام ويميت القلب. عندها تبدأ حدقات عين البصيرة تبصر وتترقب حقيقة ما حولها، وترى حكمة الله وامره وقدره فيما يحيط بها من اشياء وأحداث، فترى حولها حياة تفيض بالتسبيح والحمد لخالقها، فينتفض الجسد الهامد بعد السبات الممل الرتيب، وترجع للأشياء نضارتها وتتضح معالمها وتعرف حقيقة كينونتها.

عندها تبدأ الروح تقترب من الجسد الميت لتعيد له الحياة وتنتظم فيه دقات القلب الساكن.

عندها يبدأ الجد في العمل ويصبح للحياة معنى وأمل، معنى لوجودها على هذه الارض، وأمل في حياة اخرى ابدية سرمدية.

من هنا يبدأ الحلم بحياة أفضل، بعد ان كاد يموت ذلك الحلم في يأس ذلك الظلام الدامس، الذي جعل الحياة رتيبة كئيبة، لا فيها طعم ولا روح ولا أمل رغم كل ما بها من متع ماديه وزخارف دنيوية.

ومن هنا يبدأ الحلم يلتمس طريقه في واحة الامل ويبدأ يبصر خطواته في طريق تحقيق هدفه من هذه الحياة، فقد علم سرها ومكنونها وحقيقة امرها.

فيُشدُ العزم ويُحزمُ الحزم وتأتي القوة. عندها يجد العمل طريق الفلاح والنجاح. ويرى العمل نتائج نجاحه وفلاحة.

فاذا ما ساد ذلك النور قلوب الناس , وأصبح المجتمع متنور بنور الله وهدايته . عندها يعلو الحق فيه ويظهر، فيمحق الجرم بجرمه. وتبدأ الاشياء تسمى بمسمياتها. وتزول ظلمة الاشياء. فتنار للحق منابر، وتهدم قصور الظلم والظلام وتقر العين وتنام بأمن وأمان وتتحقق خلافة الله للإنسان السليم كامل الإنسانية على الارض. وتسير الامور بفطرتها التي فطرها الله عليها من غير زيف ولا تزييف ولا زور ولا تزوير.

عندها تعيش الإنسانية بعدالة الحق، أمنة لا تخاف ظلم ظالم ولا جور جائر، ولا يُحافُ من فقر الفقير، ولا غنى الغني، ولا ضعف الضعيف، ولا قوة القوي، ولا ظلمة الجاهل، ولا سطوة العالم. لان سلطة الميزان الحق هي التي سوف تحكم بين الناس، من غير خبث وهوى. فتسير الامور بعدالة الحق وفطرتها التي فطرت عليها، فيُعرفٌ الظلم والظالم، فيمقت الظلم ويكف الظالم وينهر. ويُرى جور الجائر فيخمد جوره وتحد حدوده وتقطع أطراف جوره وتجاوزه. ويُرى فقر الفقير فيرحم ويعان ويسند. ويُرى تعدي غنى الغني، فلا يترك ان يكون دولة من دون بقية الناس. بل يكون في الغنى فسحة لخير الجميع بلا جشع ولا طمع لما في ايدي الناس. ويرى ضعف الضعيف فيسند ويقوى ويرحم، فلا يخاف من ضعفه، ولا على ضعفه من ان يدفعه الى مهالك النفس، ويرى قوة القوي فلا تترك من غير انضباط.

إن هذه الصورة الجميلة تكتمل ملامحها عندما يكتمل ظهور الخيط الابيض من الخيط الاسود من فجر الحقيقة عندها يتميز ويتضح الحق من الباطل. وعندها يظهر ويعلوا اصحاب الحق على أهل الباطل، فتعلو كفت ميزان الحق وتثبت، ويطفو الباطل كالزبد وتذهب سلطته وفعله.

ويتحقق وعد الله بانتصار الحق على الباطل فيدمغه فيزهق.

**وبهذا تصل حضارة الانسان الى منشودها ومبتغاها في الرقي والعيش بأمان.**

إن صورة هذا الفجر الجميل هو حلم ومبتغى من يسعى الى الحق والعدالة للجميع على هذه الارض , فمبدأ العدالة ينشأ عندما يعلم الانسان أن خالقه واحد , وأن اصل خلقه واحد , وأن الله خالقهم العادل ينظر إليهم بسواء , وأن أكرمهم عند خالقهم أحسنهم خٌلقا وأتقى نفسا.

فيزول التكبر والاستكبار بين الناس، لإنهم علموا انهم عند خالقهم متساوون , وأن الله لا يحب المستكبرين .

فا**لاستكبار والتكبر** هما معاول الشيطان، لتحطيم وتعكير حياة الانسان، ولخلق العداوة والبغضاء بينهم. وجعل حياتهم كلها صراع وتقاتل وتنافر وتنافس في الشر والعدوان. ليجعل الانسان من الخاسرين في امتحان الوراثة على هذه الارض، بإيقاعه في غوى التكبر الذي وقع فيه الشيطان من قبل. والذي سبب بخروجه من مقام العليين في جنة النعيم، ليهوي به الى دنيا الارض مذموما مدحورا ملعونا نتيجة لاستكباره. وقد توعد الشيطان ان يوقع الإنسان في داء التكبر الذي وقع فيه.

**الاستكبار:**

إن كل ما على الارض من ظلم وعدوان وتقاتل وتنافر وتخاصم سببه التكبر والاستكبار. فظلم الانسان لأخيه الإنسان وأكل حقه والتجاوز عليه، هو من تكبر الإنسان على اخيه الإنسان، لإن التكبر يجعل الإنسان يرى نفسه هو أولى بالخير من الآخرين وأنه أفضل منهم، وأنهم لا يستحقون ما يستحقه من الخير والنعم.

ولو نطرنا في تاريخ الانسان على الارض لوجدنا ان سبب شقاءه هو التكبر ولاستكبار على اخيه الانسان. فالمتكبر لا يرى حق للأخرين في شيء، لإنه يرى نفسه أفضل من غيره، وأن ما حوله من مخلوقات الله ليس لها من الحق في العيش السعيد الرغيد كما له من الحق، وان قومه وأهله أو عشيرته هم خير الناس والأمم. من هنا يبدأ الظلم والتظالم. وينشئ التخاصم والعداوة والبغضاء بين الناس، ويصير التقاتل والتصارع هو السبيل لنيل الخيرات والنعم، وليس العدل والتقاسم، وإعطاء كل ذي حق حقه.

إن هذه النظرة العلوية التكبرين التي ورثها الإنسان الضال من عدوه الشيطان القائل "أنا خير منه". عندما تفاضل بخلقه على خلق الإنسان، الذي أمره الله بالسجود له. فأبى واستكبر وقال أنا خير منه.

**أنا خير منه :-**

من هذه المقالة الشيطانية بدئه خطوات رحلة أدم وأبناءه من الجنة التي ضمن الله له فيها ألا يجوع ولا يعرى وألا يظمئ فيها ولا يضحى. جنة ضمن الله له فيها المأكل والمشرب والملبس والمسكن الذي لا حر فيه ولا حرور. فبسبب تلك المقولة اللعينة، عنوان التكبر، التي نطق بها ابليس العين، وستحق بها غضب الله وطرده من مقام العليين، وجعلته يشتاط غضبا وحقدا على ادم وذريته، ظانا منه أن ادم كان سبب خروجه من ذاك المقام، لا مقولته اللعينة، مقولة المتكبرين الضالين. فتوعد إبليس ادم وذريته، ان يوقعهم بالفتنة التي وقع فيها، فتنة التكبر. فقال لربه متوعدا ادم وذريته (قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم \* ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين) (116). اي بما وقعت به من غوى التكبر لأوقعنهم به، ولأغوينهم كما غويت. ولأتينهم من كل صوب وحوب.

فبدأت رحلة الخروج من جنة النعيم الى دار الشقاء، بغرور ابليس ادم وحواء "فدلهما بغرور" (117)، على الشجرة التي منع من أكلها . ,يقول تعالى (فوسوس إليه الشيطان قال يا أدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) (118) فاغتر أدم بهذه المقالة .( "فعصى أدم ربه فغوى ")(119) فغوى ادم بالطمع وعدم الرضى بما اعطاه الله ,والتكبر على نعمة الله والطمع بما ليس له حق به . فأخرجه الله مما كان فيه من نعيم الجنة، الى الارض دار الشقاء والامتحان والبلاء. ولكن ذلك الخروج لم يطفئ حقد ابليس اللعين لآدم وذريته، فقال متوعدا ذريته على الارض، (قَالَ رَبِّ بِمَا أغويتني لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) (120). فتوعد بإغوائهم في الارض بما غوى به.

لقد وقع الإنسان بهذه المقولة [انا خير منه] (121)، التي وقع بها ابليس، مقالة التعالي والتكبر، مقالة الحقد والأنانية. والتي سببت دمار وتعاسة ساكني اهل هذه الارض من الجن والانس , فهي سبب اقتتالهم وتصارعهم وتنافسهم , وسبب فشل كثير منهم فيما امتحنوا به من متاع الحياة الدنيا ,يقول تعالى ( إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم احسن عملا ) (122) , لقد جعل الله ما على الارض من زينة ومتاع ابتلاء وامتحان لبني أدم , فسقط الإنسان في هذا الابتلاء بسحر وغواية مقولة ابليس "أن خير منه" , فظلم الإنسان أخاه الإنسان , ظن منه , أنه خير منه , فأراد أن يستأثر بما على الارض من زينة ومتاع لنفسه ,ومنع اخاه منها , وحاربه عليها , وقتله وظلمه وشرده وأخرجه من داره وأرضه , ليستأثر بالأرض وزينتها , باعتقاده " أنه خير منه" .

"فدلهما بغرور" إن أفة الغرور سبب هلاك الإنسان: -

فالغرور هو الداء الاكبر، وهو بذرة التكبر. فبالغرور وقع ابليس بذنبه، وبالغرور عصى ادم ربه، وبالغرور يترصد ابليس لبني ادم ليوقعهم بالخطيئة والمعصية، يقول تعالى ( يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا **غُرُورًا ) (125)** . وبغرور شياطين الأنس والجن يعص الإنسان ويخالف ويعاند رسل ربه , يقول تعالى , (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ **غُرُورًا** ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ )(126) , وبالغرور يتكبر الانسان على اخيه, فيغتر بما لديه من نعم الله على اخيه الانسان الذي لم يعطه الله منها , يقول تعالى ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ **الْغَرُورُ ) (127)** , فيظلمه ويغبنه ويعتدي عليه. فالغرور هو سبب التكبر والاستكبار. وسبب ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، فيقتل بعضهم بعضا، ويظلم بعضهم بعض.

**وأن الجهل هو مطية التكبر والغرور**، وأن العلم هو السلاح لدحر التكبر والغرور. العلم الذي فيه قبس من نور الله، وليس العلم الجاف الذي لا يخالطه شيء من نور الله. يقول تعالى (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير) (128) , فسلطان العلم الاتي من نور قبس الله هو الذي يبين حقيقة الأشياء ومنافعها و مضارها , فلا يغتر الإنسان فتأخذه نفخة من الشيطان بما لديه من العلم او المال او الجاه .

لقد بين الله حقيقة الإنسان ووزنه في هذا الكون, وأنه لا شيئا يذكر في هذا الخلق العظيم الذي حوله من السماوات والمجرات فيقول له منبها ( لخلق السماوات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون )(129) . فلا تغررك نفسك وتتعجب بها فإنك صغير في خلق الله الكبير.

ولذلك فإن أكبر جهل وقع فيه الإنسان فأضله ضلالا بعيدا هو جهله بأعظم ما في هذا الوجود وخالق كل موجود ومن هو رب الارباب ومسبب الأسباب والمهيمن والمدبر لكل موجود. فهذا الجهل جعل الاقوام السابقة تعبد الشمس والقمر والنجوم والنار وكل ما ظنوه وتوهموا به انه أعظم ما في وجودهم فحسبوا أنه ربهم فعبدوه. يقول تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم \* ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر وسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) (130)، فهذه التوهم والاندفاع لتك الأشياء وعبادتها هو من زيغ الشيطان, فأرسل الله الرسل للناس لتنير بصيرتهم من جديد ولتزيل عنها زيغ الشياطين وتخبرهم أن يسجدوا لله الذي خلقهم وما يعبدون , وأن لا يستكبروا في انفسهم . يقول تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وأن يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ) (132) . فالكبر يعمي بصرهم وبصيرتهم ويجعلهم من الغافلين عن آيات الله.

وكذلك يبين الله تعالى ان المعاند والمتكبر عما يريه الله من الآيات ليس له نصيب في الجنة، يقول تعالى (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين) (135). اي أن المتكبر الذي جعله كبره يظن انه عظيم الخلق في جسمه كالجمل، سوف لن تفتح له ابواب السماوات الى جنة الخلد حتى يذوق عذاب الهون، وتنكسر نفسه وتصغر لتصير كالخيط، ويصبح ذلك الجمل كالخيط بعد ان خلص من التكبر ونال عقابه منه ولم يبق في قلبه مثقال ذرة من الكبر. والله اعلم.

**الغرور والكبرياء الغريزي: -**

إن الله العدل قد عدل في خلقه وساوى بينهم في الخلق والإدراك وجعلهم احرار يفعلون ما يشتهون، وبين لهم طريق الحق من الضلال من خلال الفطرة التي فطرهم عليها ومن خلال الرسل التي ارسلها إليهم، ليهدوهم الى طريق الحق.

إلا أن داء الكبر هو من امراض النفس البشرية قد فشي بين الناس إلا ما رحم الله، وأصبح جزء من سلوكهم ومعتقدهم. فقد بينت الدراسات النفسية الحديثة أن سبب انكار وتعنت الانسان لكل ما يخالف معتقده وهواه، هو كراهيته لكل امر جديد عنده، من نواميس السلوك الانساني في كافة ميادين الحياة، وذلك لما يسبب هذا الجديد من ضرورة تحمل ألم الاستعاضة عن الاحساس القديم بإحساس جديد أخر، أو بفهم اخر لما أستقر عليه في أمور الحياة. كما تبينت الدراسة ان ***الانسان محمول بدافع الكبرياء*** الى أن ينكر صحة كل امر يسمو على إدراكه. فالغرور يجعله يكره ان يكون تبعا لفكر أحد، أو انه مخطئ في اعتقاده او عمله، وعليه ان يصحح أخطائه بإتباع الآخرين، فيتكابر على تلك الحقيقة، لإنه لا يريد ان يصدق أن سلوك او علوم الاخرين خير من سلوكه وعلمه، فيتكبر تعنتا بأن يستعيض او يغير فكره او طريق حياته الى فكر وطريق حياة اخرى، تعنتا واستكبارا.

**فلو نظرنا في تاريخ البشرية على هذه الارض، وما قصه الله علينا في كتابه العزيز عن الامم التي سبقتنا، لوجدنا ان سبب هلاكهم جميعا، هو الاستكبار والتكبر.**

ففي قوم نوح:- يقول تعالى أن نوح لبث في قومه الف عام إلا خمسين سنه يدعوهم الى الله , لكنهم أصروا واستكبروا استكبارا ولم يؤمنوا , يقول تعالى عن نوح (قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا \*فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا \* وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا)(136) لقد أبوا تكبرا على الضعفاء والمساكين الذي أمنوا مع نوح , كيف لهم ان يتبعوا ما اتبعه ضعفاهم ومساكينهم ,

فقالوا تكبرا، في سورة الشعراء (111-116) (قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ \*قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ \* )

وفي قوم شعيب: قال تعالى الاعراف في الآية 88 (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ)

و في قوم فرعون: قال تعالى في سورة يونس 75 (ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ)

وفي سورة القصص (-39) ( وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُون)

وفي (العنكبوت 39) (وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ)

وسورة الاعراف (-35) تبين عنادهم وإصرارهم وتكبرهم رغم كل ما جاءهم من البينات والآيات، (وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ \*فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ

وكذلك يقص علينا القرآن استكبار بني إسرائيل على خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم , لما جاءهم من الحق الذي عرفوه كما يعرفون أبنائهم , فجحدوا ما عرفوا استكبارا واستعلائا وحسدا . يقول تعالى في سورة البقرة الآيات (87-90) ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ\* وقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ \* وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ) .

و سورة المائدة 82 تبين لنا الفرق بين المتكبرين وغير المتكبرين،وكيف أن التكبر يعمي القلوب والابصار والسمع ويجعل الذين عندهم علم من الكتاب ويعلمون الحق يجحدوا ذلك الحق ويصبحوا اكثر عداوة له من غيرهم لما فاضت به قلوبهم من الكبر.

ان شدة استكبار اليهود جعلتهم اشد الناس عداوة للذين امنوا , وأن الذين ليس في صدورهم كبر من الذين قالوا إنا نصارى كانوا اقرب الناس مودة للذين أمنوا. يقول تعالى , (**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ \* وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) . وهذه الآية تبين أن السبب الاكبر لعدم الايمان واتباع الحق هو الكبر .**

وفي قوم صالح يقول تعالى في سورة الاعراف (75-76) (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ\* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُون).

وكذلك كان الآمر مع خاتم المرسلين، فقد كذبوه قومه وتعالوا عليه استكبارا، كيف تكون رسالة رب العالمين تنزل على رجل يتيم من دونهم , "وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " . وفي سورة نباء (31-34) يقول تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ \* وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وفي الصافات (35-36)) ( إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ \* ويَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ)

وفي سورة الحقاف (9-11) يقول الله لنبيه،

(قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* قُل أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) .

ويصف الله الملائكة بأنهم لا يستكبرون، يقول تعالى **في سورة الاعراف الآية 206 ( ان** الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته  ويسبحونه وله يسجدون ) .

**ويقول تعالى في سورة النحل الآية 49 (ولله** يسجد ما في السماوات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون)

**في سورة النساء الآية 172 يقول تعالى (**لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا).

**التكبر هو سبب هلاك البشرية: -**

فلو نظرنا فيما حولنا، وبحثنا في اسباب الحروب والعداوة بين بني البشر، لوجدنا ان سببها الاول والاخير، هو الاستكبار والتكبر. فمن أوتي نصيبا من المال والقوى يستضعف ويتكبر على الذين لم يؤتوا نصيبا منها. فالأقوياء من الامم تستضعف الامم الضعيفة وتعمل على سلب اموالها واستعبادها. وكذلك نجد الاغنياء من الامم والشعوب، يستكبر غنيهم على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وينظروا إليهم بدونية واحتقار، حتى ولو كانوا أولي قربى. إلا من استبرئ من داء التكبر من المتقين الذين لا يتبعون خطوات الشيطان ومكره. يقول تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) (137). فلو اتبع بني ادم ما أنزل اليهم من ربهم، وابتعدوا عن خطوات الشيطان ومكره، لما اقتتلوا ولا تعالى بعضهم على بعض، و لأمروا بالمعروف فيما بينهم، ونهوا عن المنكر أن يقع بينهم لكانوا عباد الله إخوانا .

**صراع الحضارات**

إن منشئ ما يسمى صراع الحضارات بين الامم، هو الكبر والاستعلاء، الذي جعل اقوام تستعلي على اقوام وأمم تستعلي على أمم، وأفراد تستعلي على افراد , ويحتقر بعضهم بعضا, وهو الذي يجعل من القوي والغني يعتقد أن ثقافته وحضارته هي الافضل وأن على الاخرين اتباع منهجه وطريقه في الحياة . فالمتعالي المتكبر، ليس في قلبه ولا فكره سعة للنظر في ثقافات وحضارات الاخرين. لقد ساد الاعتقاد عند المتكبرين بأن من عنده حظ من المال والقوى هو المتحضر والمتمدن، وأن من لا يمتلك القوة والمال، يكون متخلفا وجاهلا وأدنى مرتبة في كل شيء حتى في انسانيته وتفكيره. وبهذا الفكر الشاذ توّجوا أنفسهم حكام على من في الارض، وجعلوا ميزان الحضارة والتقدم والعلوم الإنسانية والحضارية بين ايديهم، واصبح ميزان الحق والباطل، والصحيح والخطء، والجميل و القبيح بأيديهم فقط لإنهم ملكوا القوة والمال، فكل ما خالف أهوائهم وشهواتهم ورغباتهم فهو باطل وغير حضاري ومتخلف. ومن هذا الداء نشأ ما يسمى "**صراع الحضارات"**. فجعلوا ميزان الحضارة يصب في مصالحهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية التي توافق اهوائهم. فأصبح تفكيرهم لا يتقبل اي شيء يخالف أهوائهم، وينظر للأخرين باستعلاء وتكبر لإنهم فقراء أو ضعفاء، ويظن أن الفرق في المستوى المعيشي، ناتج عن الفرق المعرفي والعلمي المادي الذي حصلوا عليه، وأن ارتفاع مستواهم المعيشي نتج عن تفوقهم العلمي والمعرفي والحضاري. وهذه الفكرة ليست صحيحة دائما، فالانتعاش الاقتصادي لا ينشئ من التفوق العلمي والمعرفي فقط، فهناك عوامل كثيره تؤثر فيه، فكم ممن يعملوا عند اصحاب الاموال والشركات مستواهم العلمي والمعرفي أكبر بكثير من أصحاب المال والشركات. فهناك اسباب كثيرا تدخل في الكسب المعيشي، وأهمها الظروف المواتية، والفرص السانحة. ونحن كمسلمين نؤول تلك الظروف المواتية والفرص السانحة، الى توفيق الله وتقديره. فالله يدعو الإنسان الى العمل الجاد والمثابر في كسب الرزق الحلال بالطريق التي شرعها له. ولكن نتائج ذلك العمل بيد الله يرزق من يشاء بغير حساب، اي أن مشيئته فوق القواعد والسنن المعروف لكسب الرزق، كما هو اعتقادنا أن كل نواتج الاحداث وعواقبها وشكل نهايتها، وكل شيء نعمله في هذه الحياة ونسعى إليه هو بيد الله , وكما أننا نؤمن بواجب السعي والعمل لكسب الرزق وأن علينا ان نأخذ بالأسباب كلها ,ونأخذ بكل سبل النجاح والكسب , وأن الله لا يضيع اجر العاملين , ولكن قد يشاء الله ويقدر ما لا نتوقعه ونأمله في ذلك السعي . فالله حكمة في تقدير امور عباده، مع ايماننا المطلق بأن الله لا يضيع اجر من أحسن عمل إن كان للدنيا او للأخر، فالله لا يضيع عمل أحد، فهو العادل بين عباده. وأن الله قد قسم الارزاق وقسم الحظوظ في الأرض من النعم بين الناس لتجري مقاديره في الارض كما يشاء، فقال تعالى (ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضا سخريا)(138) اي ان سبب هذا الاختلاف في الرزق والدرجات العلمية والمعرفية هو ليستخدم بعضنا بعض في ما نملك وفيما نعلم و ليسخر بعضنا بعض في قضاء حوائجنا لتستقيم امور حياتنا وليتقسم العمل بيننا , كل يعمل بما قدر له ان يعمل فيه , وكذلك قد يرفع الله اقوام او يذل اقوام إما عقاب او فتنة او امتحانا لهم او لغيرهم فلله أحكام لا يدركها إلا هو, فليس كل غني او قوي يحبه الله وليس كل فقير او ضعيف يبغضه الله .

فالكسب المعيشي لا يدلل على التفوق المعرفي في كل الحالات والظروف، فقد يحمل إنسان أفكار إنسانيه ومشاعر عالية، وجيوبه خاليه من النقود. إن منشأ التكبر والتعالي والغرور هو من عمل عدوا الإنسانة الشيطان، ولذا نجد أنه كلما كبر الإنسان في العمر قل غروره وتكبره وأزداد تواضعا وعرف قدره وقيمته وقيمة الاخرين ممن حوله. ولذلك امرنا الخالق أن نستعيذ بالله الشيطان الرجيم إذا ما تلبسنا الشعور بالاستعلاء والتكبر. فالله أمر الإنسان بالتواضع، ولإنصات الى الغير، والبحث عن الحق والعدل، والبحث عن المعرفة والحكمة، وأن الحكمة هي ضالة المؤمن اينما وجدها اخذ بها، او هو أحق بها، اي بأتباعها، وعدم اغلاق قنوات التواصل، فقال تعالى إنما خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارف أي لنتواصل، ولم يخلقنا لنتخاصم ولا ليتكبر بعضنا على بعض. وألا نسعى في الارض مستعلين على غير مستكبرين بما لدينا من علم ومال أوقوه، يقول الله تعالى للمتبخترين والمتكبرين "إنك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ", أي اعلم ان الله قد خلق من هو اقوى منك خلقا وأعظم شأنا، فقوتك وسطوتك لا تستطيع ان تخرق الارض، فحركة منها تنهي كل ملكك وسطوتك عليها. وأن الجبال هي اعلى منك شأنا وقوه، فلا تتكبر ولا تتجبر على خلق الله، وأن العلم الحقيقي للإنسان يجب أن يدفع به الى التواضع، لإنه سوف يعلم أن الله قد جعل فوق كل ذي علم عليم “.

لقد شاعت مقولة عدو الانسان " أنا خير منه " بين الامم، فتكبروا وتعالوا، وظنوا أن الله قد فضلهم على العالمين، لما اختصهم به من خير ونعم، وأن لهم الأفضلية عند الله. ولم يدركوا أن ما بهم من نعيم هو امتحان واختبار لهم.

فلم يدركوا حقيقة هذه الحياة ومغزاها. ولم يعلموا أن كل حرمان وعطاء هو امتحان من الله. يقول تعالى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ **وَنَبْلُوكُم** بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ )139)

وضرب الله لنا مثلا في قارون من قوم موسى الذي أعطاه الله من المال ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولي القوه من الرجال، لكثرته , حينما طغى فقال : "إنما أوتيته على علم عندي " فجحد فضل الله عليه وتوفيقه في جمعه , واستكبر على قومه بهذا العطاء , فكان عاقبة امره , بقوله تعالى ( فخسفنا به وبداره الارض \* فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين )(140)..

وبين لنا الحكيم العليم حكمته في المنع والعطاء في مثال عن رجلين اعطى الله احدهما جنتين ولم يعطي لآخر منهما شيء , كما جاء في سورة الكهف يقول تعالى [( وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آَتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44) وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا 46) ] (141) .من هذا المثل القرآني يتبين لنا حقيقة هذه الحياة , وحقيقة الامتحان في العطاء والمنع , فقد اعطى الله لإحدى هذين الرجلين جنتين ولم يعطي الاخر منهما شيئا , ليختبر كل منهما ,في امتحان العطاء والمنع , وهو العادل بين عباده , لكنه اراد ان يبين لنا , ان العطاء والمنع ليس للتفضيل ولكن للاختبار . ليشبه لنا بعد هذه الحكاية في دورة الحياة الدنيا، بماء انزله من السماء، فأصبحت مخضرة نظره، ثم إذا ما منع عنها الماء أصبحت حطاما تذرها الرياح. ليعلمنا أن كل ما على الارض هو زائل وفاني فلا تغتروا به. ولكن الأبدية والسرمدية للفائزين في هذا الامتحان تكون في الآخرة.

فنظرة الامم القوية واعتقادها بأنها هي المفضلة والمختارة، جعلها تنظر نظره دونيه واحتقار الى الامم الضعيفة والفقيرة, ولا ترى لهم حق في شيء , فأكلت حقوقهم وسلبت خيراتهم, ظلما وعدوانا. لإنها لا ترى للأخرين حق في حياة كريمة، وأن كل ما على الأرض هو من حقها وحدها.

فينذر الله تلك الامم محذرا بقوله

(( أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون و لا هم يذكرون ))(142) أي أنه انتبهوا الى ما يصبكم من احداث ترعبكم, فاستفيقوا من غفلتكم وتذكروا وتوبوا الى الله, ويقول تعالى ([وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ](javascript:AyatServices('/Quran/ayat_services.asp?l=arb&nSora=13&nAya=31')) قريبا من دارهم [حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ](javascript:AyatServices('/Quran/ayat_services.asp?l=arb&nSora=13&nAya=31')) )(143)

وأن الله قادر على ان ينزل قرأنا يسير به الجبال أو يقطع به الارض أو يكلم به الموتى، فيقهر به رقاب الناس، فيؤمنوا كلهم جميعا مقهورين. ولكن جعله قرأن نورا وهدى وشفاء ورحمة للعالمين يهدي به الى طريق الفلاح والنجاح بالبينة والبرهان الذي جاء به.

فلو شاء الله لهدى الناس جميعا، ولكن الله يمهل الناس في امتحانهم هذا، وينذرهم ويحذرهم من سوء عاقبة مخالفتهم لإمر الله. فما الزلازل والصواعق والعواصف والفيضانات ولأوبئة وامراض هنا وهناك في دارنا او في دار قريب من دارنا ما هي إلا منذرات ومحذرات من أن الله قادر علينا، وأن لو يشاء الله لخسفا بنا جميعا.

ولقد وجدنا في مرض كورونا المستجد "كورونا 19" كوفيد، الذي ضرب العالم اجمع وهز وشل البشرية جميعا وأرعبها، قدرة الله فينا وعظمته، وليذكر الله الناس بأنه قادر على كل شيء قدير, وأن امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . فلا قوة ولا عظمة فوق قوته وعظمته جلا وعلا.

لينذر الله في هذا الابتلاء الناس من داء الغرور والتكبر الذي اصابهم، فأرسل عليهم جرثوم لا تراه العين، ليقهرهم به، ويوقف جميع نشاطهم ويربك حياتهم . فهذا الجرثوم جعل الناس تبتعد عن كثير من المنكرات وترجع الى شرع الله عنوتا وليس طوعا. لقد جعلهم يبتعدوا عن جلسات اللهو والمنكر في البارات والملاهي والسينمات، وعن شرب الخمور، لإنه تبين لهم ان الخمر تساعد على تمكن الجرثوم منهم، وجعلهم يكثروا من الغسل والنظافة، وجعلهم يمتنعوا عن مصافحة النساء الغريبات عنهم وتقبيلهن خوفا من العدوى كما كانوا يفعلون ويبتعدوا عن الزنا والمحرمات، وجعلهم يلبسوا كمامات على وجوههم فأصبحت نسائهم وكأنهن منقبات , وكانوا من قبل يكرهون ويحاربون نقاب نساء المسلمات . إن هذه الجرثومة التي لا ترى بالعين أصابتهم بقارعة هزت كيانهم وزلزلت عروشهم وكسرة تكبرهم , بعد أن ظنوا أنهم لا يغلبون, وأنهم قادرون مقتدرين على ما في يديهم , يقول تعالى في هذا " إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا ليلا أو نهارا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) أي أن الله يبعث بالعذاب والتحذير بعد أن يظن الناس أنهم قادرين على كل شيء في حياتهم وأنهم لا يحتاجون لله وعونه . ثم بين مقدار عجز الإنسان وضعفه فيقول “وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه \* ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره \* إن الله لقوي عزيز " (144).

فهذه الفتن والقوارع التي تصيبهم هي للتذكرة والعبر، ولو شاء الله لأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ولو شاء الله لهدى الناس جميعا، ولكنهم في مهلة وفسحه في ارض امتحانهم، ينبئهم ربهم كل حين، لعلهم يستفيقوا , وقد تستفيق أمم وتنتبه , وتستمر امم في غيها بعد زوال المحنه والسوء عنها .

وكذلك قد يأتي التنبيه والتذكرة عندما يقدح الله في عقول أحد الباحثين معرفه جديده، يتبن بها عظمة الخالق العظيم وأسرار الكون الذي نعيش فيه، إن هذا القدح والفتح العلمي هو شعله نورانية يقذفها الله في عقول بعض الناس ليتذكروا ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما وجدوا وما تبين لهم، وليعتبر أولوا الالباب. فيتقد العقل بهذه الشرارة المعرفية ويبدأ بأرسال موجات كهربائية وإشارات نورانية الى القلب ليبحث عن اجابات لما استثار العقل بما وجد وتبين له من علوم , فينتج عن ذلك كم الكبير من التساؤلات تبحث عن اجابات لها مما حولها ومن داخلها , فتلتهب الجوارح , ويبدئ البحث عن الحقيقة الكاملة لما اكتشفه ذلك المبصر في تلك المعلومة التي فتحت باب التساؤلات الكثيرة عن عظمة وكنه ما تبين له , فأن استيقظت الفطرة وفاقت واستطاعة تلك الشرارة ان تحرق ما تكدس عليها من ظلمة هوى النفس والمحيط, لتشع في قلب ذلك العارف انوار المعرفة والعلم الحقيقي للأشياء. عندها يرشده عقله الى أن هناك خالق عظيم خالق كل شيء ومنشئ و بارئ ومبدئ الاشياء كلها، فيتواصل نور القلب مع العقل، فيستنير العقل وتفتح المدارك التي كانت نائمه من قبل، ويدرك حقيقة الحياة، وسر وجوده فيها .

عندها يعمل ذلك الانسان جاهدا على ان يسخر ما بدى له من علم ومعرفه في خدمة الإنسانية ورفاهيتها وامنها، لآنه قد أيقن ان الذي فتح له باب تلك المعرفة هو الله الذي يريد للإنسان ان يفعل الخير في هذه الحياة ويمتنع عن الشر والسوء.

إن العقل البشري فيه من الطاقات الكبيرة والعظيمة والتي لم يستخدم الإنسان منها إلا عشرها كما تبين العلوم الحديثة وان التسعين بالمائة المتبقية لم يستخدمها الانسان بكل طاقاتها، فالعقل البشري الذي يحتوي على ما يقارب بلايين من الخلايا العصبية التي تحمل المعلومات فيه من الطاقات العظيمة , والقابلية الكبيرة على الادراك والتفسير , ولذا فأن الكثير الكثير من أسرار هذه النفس البشرية نجهلها, وما علمنا من مكنون خلقنا وعظمته إلا القليل , وقد اعلمنا المولى ان بصيرة القلب هي التي تنير وتستفتح مدارك العقل المغلقة او الجامدة حيث يقول علام الغيوب في كتابه المرسل ((اقلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فأنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ))(145) , فالتفكر والبحث في ما حولنا على هذه الارض ينير عقول الأدمغة التي في الرؤوس , وينير عقول القلوب التي في الصدور , فتبصر البصيرة , وتدرك عظمة خالقها, لإن من يدرك عظمة خلق الله هي البصيرة المنفتحة المنيرة , فهي التي تبصر حقيقة الاشياء لا العيون , فهي التي تدرك عظمة خلق الله , ولذلك اشار المولى في هذه الآية الى القلوب التي تعقل فقال قلوب يعقلون بها . إي ان العلم الحقيقي لا يأتي من ملاحظات عين العقل التي تبصر الاشياء فقط، ولكن من عين البصيرة التي في صدور البشر.

وبهذا نستطيع ان نقول ان الملاحظات المادية وحدها لا يمكن ان تطور في مدارك الانسان وتجعله يستحث كل مدارك العقل، من غير عقول القلوب. أي بعباره أخرى ان ال 90% من العقل البشري إنما يستضاء ويتفاعل ويعمل إذا استنارة من نور البصيرة التي في القلوب. وعليه فان المستقبل الحقيقي لتطور علوم الانسان يعتمد على نور البصيرة والفطرة السليمة، وان الانسان مهما اكتشف وظهر له من امور ماديه، فأنها وحدها لا تستطيع ان توصل الانسان الى التطور والرقي الحقيقي الذي يصبو اليه إذا كانت البصيرة عمياء.

فالكثير من الاكتشافات في عصرنا الحاضر استخدمها الإنسان في أشياء أضرت بالإنسان، فقد صب الانسان جل اهتمامه فيما ظهر له من علوم في الصناعات الحربية التي أكثرت في قتل الإنسان وتدمير مدنه وحاضرته، وسببت له الخوف والهلع والاستعباد والظلم، أكثر مما اعطته من اسباب الخير والرفاهية والعيش الرغيد والامن والامان. وحتى في مجال الاستخدامات المدنية الحياتية لتلك العلوم يدخل هوى الشيطان فيها لجعلها تعمل على سلب الحرية، او تدفعه لاستخدامها في مجال هدم القيم الأخلاقية والاجتماعية وفي التصنت والتجسس، وفي مجال بث الرذيلة داخل بيوت الناس من خلال عرض افلام الرذيلة والفاحشة، وبث روح القتل والعدوان.

ومما تقدم نستطيع ان نقول انه لا يمكن ان يعيش الانسان بسعادة حقيقيه ورقي حضاري عالي, ويكون خليفة الله على ارضه, ليستعمرها بالخير, من غير نور الرسالة السماوية التي تستثير عقول القلوب وتنير البصيرة لتري الانسان الحقيقة, وطريق السعادة الحقيقية فيما ظهر له من اشياء , ليضعها في موضعها الصحيح واستخداماتها الصحيحة , لتكون له ادوات فلاح ونجاح في الدنيا والآخرة ,**فتلك العلوم كمثل الكلمات المتقاطعة قد تعطيك معاني غير صحيحه اذا وضعت في غير موضعها الصحيح** , فأولوا الالباب هم الذين يستطيعون ان يضعوا تلك الكلمات والحروف في موضعها الصحيحة , لتكون منها الجملة الصحيحة , التي تنطق تسبيحا وتعظيما وأجلال لعظمة الخالق , فيزداد الانسان رهبة ورغبة بخالقه ومبدعه ,يقول المولى "فاتقوا الله ويعلمكم الله" اي كلما زادة التقوى ,اي القرب والتفكر بالله ,كلما زاد الله ذلك الانسان علما ومعرفه , وفتح مداركه ,ليرى الاشياء بعين مبصره , وكلما أزداد الانسان المؤمن علما كلما أزداد معرفته بالله العظيم ,وهذا معنى قوله تعالى ( قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ) اي ان العلوم المستنبطة من كلام الله وآياته وخلقه لا تستنفذ ولو كان ماء البحر مداد لكتابتها وما استنبط من آيات الله من علم ومعرفه في عظيم صنعه وتقديره في خلقه . ولذا يقول لنا المولى في كتابه ((إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء)) (146). اي ان عظمة الله تتجلى أكثر عند الذين علموا وشاهدوا ببصيرة عظمة خلق خالقهم في أنفسهم وفيما خلق من حولهم.

**فالعقل الذي نال الرشد واستنار بالعلم الحقيقي يستخدم قاموسه الفطري للتعرف على معاني ومعارف الحقيقية لتلك المعلومات والمنظورات . إذا فالعقل الثاقب هو من يستطيع ان يثقب تلك الغشاوة التي تحيط بالفطرة لتنار الفطرة وتتقد.**

أما إذا افتقدت رجاحة العقل، ولم يستطع النور الذي قدح في العقل ان يحرق الغشاوة التي احاطة بالفطرة ليصل الى نورها، فما له من نور. وقد يؤدي القدح المعرفي في زيت الفطرة الفاسدة الى دخان يزيد ظلمته ظلمه وعماه عمى، فيستخدم تلك العلوم في امور الشر والبغي والعدوان. وهو تفسير قوله تعالى والله أعلم (كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، صم بكم عمي فهم لا يرجعون)) (147)، فنور العلم الذي هو من نور الله يقدح في العقل ليظهر للإنسان ما خفي عنه من معارف. ولكن إذا كانت الفطرة قد غشاها ظلمت المحيط الفاسد فسينتج دخان بدل النور، فيزداد ظلمت الى ظلماته.

وكذلك قد تنطبق هذه الآية والله اعلم على الذين اتوا العلم السماوي من أهل الكتاب، كما تنطبق على الذين اوتوا شيئا من العلم الدنيوي والمعرفي عن مخلوقات الله وعظائم صنعه.

فالعلم هو سبيل الايمان والطريق الى النور الرباني إذا لم يكن القلب قد غشته عشاوة أعمت بصيرته فأصبح القلب صلدا كالحجارة، او اشد قسوة. كما وصف الله قلوب اليهود بذلك.

غير أن من الحجارة من اللين ما تخزن المياه فيها فيتفجر منها الأنهار، وهي الحجارة الرملية. SEDEMENTRY ROCK وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء, وتلك هي الصخور المتحولة (وهي المتكونة في باطن الارض نتيجة الضغط والحرارة) فعندما تتشقق وتنفطر تلك الصخور فيخرج الماء من خلالها. وتلك الصخور تسمى

METAMORFIC ROCK

وأن من الصخور من تهبط من خشية الله مهابة وإجلالا، وتلك هي الصخور المتدفقة من افواه البراكين المنصهرة بحرارة عالية فتندفع بقوة تفجر الأرض تفجيرا، ثم تسقط على الارض خاشعة لله، ولقدرته عليها. ويطلق على هذه الصخور النارية

. EGNEUS ROCK

لقد ذكر الله انواع الصخور الثلاثة التي تتكون منها الارض , وقارنها بالقلوب القاسية من بني إسرائيل , ليبين لنا ان كل مخلوقاته مهما كانت لها من القسوة وصلابه في تكوينها إلا إنها في حقيقتها ألين من قلوب بعض البشر المجحدة لنعمة ربها عليها , فصدق الله العلي العظيم حين قال عن القلوب الجاحدة من بني إسرائيل ( فهي كالحجارة أوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ )(148) , فجحود هذه القلوب وقسوتها منعت النور من ان يصل الى الفطرة السليمة ,فتلك القلوب لو اتقت ولانت, وتقبلت نور ربها لتفجر منها النور والعلم كتفجر الأنهار من صخور , ولتشققه وأنبثق منها ينابيع المعرفة , ولخشعة لله وسجدة له. فهؤلاء الناس تكون بصيرتهم قد عميت وصمت، فهم صم بكم عمي، لا سبيل لهم الى النور والبصيرة، فهؤلاء ليس لهم حظ من الهداية لآنهم معاندين مكابرين، غير مُسلمين مسَّلمين لآيات الله التي يرونها في كل وقت وحين في أنفسهم وفيما حولهم.

**ومن هنا يمكن ان نقول ان منبع حضارة ورقي الانسان هي إنسانيته، وأنه كلما صفت إنسانيته وترقت وصفت عما حولها من الشوائب التي تعمل على تكدير صفاء فطرته الإنسانية، كلما صفى وأرتقى طابعه الحضاري، فحضارة الإنسان هي منبع إنسانيته الصافي من الكدر المحيطي.**

**تطور الفكر الانساني:**

إن تطور الفكر الانساني وتوسع مداركه وإلماماته واحاسيسه، ناتج مما يكتسبه ويحصل عليه الإنسان من العلوم والمفاهيم والادراكات لسنن واسرار هذه الارض ومما انزله الله عليه من نور من السماء.

لقد بدأت دورة حياة الانسان على هذه الارض في التعرف على المخلوقات التي تشاركه الحياة فيها، فقد علم الله ادم الاسماء كلها (اي اسماء الاشياء). ليتعرف على ما حوله من الاشياء وعلى كيفية وطرق التعامل معها، ثم بدء يتعلم كيف يتعامل مع الارض وكيف يستفيد منها وكيف يزرعها ويعمرها وينتفع من متاعها، فتعلم كيف يستخرج منها الماء، وكيف يخزنه وكيف يسقي به الزرع. وهو على هذه الأرض يتعلم أو يتعرف كل يوم على شيء جديد، ويكتشف امر جديد، فيتطور فكره وعقله وتتوسع مداركه، فيستخدم ما أدركه وأستكشفه في صنع ما يحتاجه من اختراعات، وهكذا تطورت وتوسعت مداركه، فتعلم كيف يتعامل مع ظواهر الارض الطبيعية، وكيف يستكشف الاشياء الغير المنظور منها , فكتشف الموجات الصوتية والضوئية والموجات الكهربائية والمغناطيسية ثم تعلم كيف يستلم ويرسل تلك الموجات , وهكذا تطور الانسان على هذه الارض ,و تطورت مداركه لما حوله من الاشياء , وتطورت مفاهيمه وعلومه على قدر تلك الادراكات .

وقد جاءت رسل الله برسالات توافق أدرك وفهم الإنسان بزمان الرسالة. فكانت رسالة رب العالمين تخاطب الروح والعقل. فأما رسالة الروح فكانت واحد عند كل الرسل لإنها كانت تخاطب مكنون الانسان ومستودعه الفطري الذي هو جزء من خلقه، وهذا هو علم الألوهية وعلم الربوبية، فالإنسان خلق وفطرته تعلمه من هو ربه ومن هو خالقه، كما بينة اية العهد. ولذلك كانت كل الرسل تأتي مخاطبة علم الفطرة، بأن الله هو واحد خالق الخلق ومدبره. وان الامر بيده كله، وان الله عالم غيب السماوات والارض، كما جاء في بقوله (وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا أنا فعبدون) (149).

وكانت تلك الرسالة واحد في كل الامم، قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الظلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين) (150).

ثم جاءت بشرائع توافق مكنونات الفطرة في علم الربوبية بأن الله الأمر كله بيد الله وهو المسيطر والمقدر والحاكم وأنه هو بيده سعادة الإنسان وأحزانه وأنه هو الذي يحيي ويميت وهو الذي خلق الخلق من الذكر والانثى واهو عليه الرجعة الأخرى في الدار الآخرة وأنه هو القادر على ان يهلك الطغاة. ثم جاء بشرائع تنظم حياته الاجتماعية أيضا موافقة للفطرة السليمة من العدالة الاجتماعية من أن لا يؤخذ انسان إلا بذنبه وأن الجزاء على قدر العمل من خير كان او من الشر , كما جاء في قوله في سورة النجم في الاحكام والشرائع التي نزلت على الامم التي من قبلنا مثل قوم ابراهيم وموسى. يقول تعالى ( [أم لم ينبأ بما في صحف موسى \* وإبراهيم الذي وفى \* ألا تزر وازرة وزر أخرى \* وأن ليس للإنسان إلا ما سعى \* وأن سعيه سوف يرى \* ثم يجزآه الجزاء الأوفى \* وأن إلى ربك المنتهى](https://islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookcontents&idfrom=3340&idto=3340&bk_no=48&ID=2791#docu) \* وأنه هو أضحك وأبكى \* وأنه هو أمات وأحيا\* وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى \* من نطفة إذا تمنى \*وأن عليه النشأة ألأخرى \*وأنه هو أغنى وأقنى\* وأنه هو رب الشعرى\* وأنه أهلك عاد الأولى \*وثمود فما أبقى \* وقوم نوح من قبل إنهم كانوا أظلم وأطغى \* والمؤتفكة أهوى \* فغشاها ما غشى \* فبأي الاء ربك تتمارى \* هذا نذير من النذر الاولى \*أزفة الأزفة \*ليس لها من دون الله كاشفه \* . ) (151) .

أم الأحكام التي نزلت خاتم المرسلين فكانت تخاطب الإنسان الكامل الإدراك والوعي بعد أن اكتمل الوعي الإنساني واتسعت مداركه لتقول له أن لله ما في السماوات وما في الارض، وأنه هو من يجازي الذين ساءوا بما عملوا ويجازي الذين احسنوا بالحسنى من الذين يجتنبون كبائر الإثم إلا اللمم، وان واسع المغفرة، وهو اعلم بكم وبضعفكم وبقابليتكم، فهو الذي انشأكم من الارض وانتم اجنة في بطون أمهاتكم , فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى .

إن الرسالة التي جاء بها خاتم المرسين محمد صلى الله عليه رسالة شامله كامله لكل نواحي الحياة العملية والفكرية فهي منهج حياة متكامل. كما قال تعالى " اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا" فالإنسان قد يسهو ويخطئ او يضعف. فيطمئنه ربه، بأنه واسع المغفرة، وسيغفر له إذ ما تجنب الكبائر من الآثام. فهي رساله تختلف عن الرسالات السابقة التي كانت تأتي لتنهى عن منكر معين يفعله قوم بعينهم، فيرس الله عليهم رسولا لينذرهم وليرشدهم الى الصواب من العمل، لقد كانت رسالات الاولين تعالج امراض قوم بعينهم أما الرسالة الخاتمة فقد جاءت بالشمولية والكلية التامة للكل امور الحياة لا نقصان فيها .

إن الرسالات السماوية جاءت لتخاطب العقل والروح لتبين وترشد الإنسان على فعل الخير والبعد عن الشر، وحسن المعاملات وادأب المعاشرة واحكام البيوع، والحلال والحرام من الاكل والشرب وفي كل الآمور الحياتية .

لقد كان التنزيل التشريعي موافق لإدراكات الانسان في عصره وزمانه ومقدار علمه.

ثم تدرجت تلك التشريعات والتعاليم في عرضها، كتدرج اعطاء المعلومة المدرسية للتلاميذ باختلاف درجات صفوفهم الدراسية، وعلى قدر ادراكهم وتطورهم العمري والمعرفي والعلمي، لقد كانت المناهج الاولى مليئة بالصور التوضيحية وهي الآيات والمعجزات التي تأتي بها الرسل لكي ترسخ الايمان وتثبت القناعة عند تلك الامم.

ولكن كلما نما عقل الانسان وزادت ادراكاته المعرفية وأصبح قادرا على تفهم الاحداث من منظار اوسع وأعمق، لزيادة معارفه وادراكاته لما حوله. كلما كانت الرسالات السماوية تنزل مخاطبة للعقل ليتفكر ويتدبر ويستنتج ويستنبط. يقول تعالى للذين يطلبون المعجزات من خاتم المرسلين أن تنزل عليهم كما أنزلت على الاولين، أن يقول لهم (“قل إنما اعظكم بواحدة \* أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا, ما بصاحبكم من جنه , إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد. “) (152)، لقد كان جواب العلي القدير، ان أرجعوا الى عقولكم وتفكروا مثنى او فرادى، وهذه دعوه من الحكيم الخبير بالابتعاد عن صخب المحيط عند التفكر والتمعن في آيات الله وما انزل على رسوله، ليدركوا بصفاء الذهن من غير تشويش المحيط، بأن ما نزل على الرسول هو الحق من ربه. ثم يخاطبهم العلي القدير، بقوله (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)(153) نجد أن الله العليم الخبير يعلم أن الإنسان قد تطورت مداركه وأفهامه ليدرك أن ما جاء به رسولهم هو من عند الله, لإن مداركهم الفكرية والفطرية أصبحت قالبت على تقبل واستيعاب النور الرباني الذي جاء به ذلك الكتاب, **فهذا الكتاب هو ذكرى لأولي الالباب الحيه المتيقظة , وهو رحمة للقلوب التي تبحث عن ماء الحقيقة لتروي عطش فطرتها وحيرة عقلها , فهو كالمطر الذي يروي حبة الفطرة التي زرعها الله في قلب الإنسان , لتنبت نبت المعرفة اليقينية في قلب الإنسان .**

لقد اخبر الله العلي القدير بعد ان اكتمال نزول القرآن، أن اليوم قد اكمل الدين وتمت الرسالة التي ارسلت على العالمين من ادم الى محمد صلى الله عليه وعلى جميع المرسلين، وأن الله أرتضى للبشرية هذا الدين الى يوم الدين، وأنه النعمة التامة والكاملة للإنسانية جمعاء قال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ) (154).

إن هذه الرسالة تخاطب الفكر الانساني وتخاطب ادراكاته وتستحث العقول على التفكر والتدبر، فلا يحتاج الإنسان بعدها الى معجزة خارقه لتثبت صدقها، ولهذا حفظ الله هذا الكتاب ليكون حجة على العالمين الى يوم الدين.

أما المعجزات التي نزلت على الأقوام السابقة فجاءت لتناسب ادراكاتهم ولذى كانت مفيدة ولازمه ومؤثره وعامل ايجابي وحجه على الذين يرونها بأعينهم، اما الذين لم يرونها بأعينهم قد تأتي بنتائج عكسيه وسلبيه على عقولهم وتفكيرهم لإنها تتحدث عن امور خارجه عن مدارك العقل وتصوراته , فتعجز العقول عن ادراكها و تقبلها فتكذبها وتكفر بها , لإن اعينهم لم ترها , مما قد يجعل من تلك المعجزات تأثير سلبي في الاجيال التي لم ترها .

لقد ناسبت تلك المعجزات والآيات ما كان تبرع به تلك الاقوام لتتحدى عقولهم التي كانت تبحث في تلك الأشياء فتأتيهم بما يؤكد لهم بأن ما جاء به نبيهم ورسولهم لا يمكن ان يكون من البشر بل هو من رب البشر, كما جاء موسى بالعصى التي اصبحت ثعبانا تخيفهم وتأكل عصيانهم وحبالهم وتبطل سحرهم الذي برعوا به في زمانهم .وهكذا كانت المعجزات تخاطب الناس على قدر عقولهم ليؤمنوا بالله الواحد القهار . غير أن تلك المعجزات التي جاءت بها الرسل لا تصلح ألا للأقوام التي رأوها وشاهدوها بأعينهم. ولا يمكن ان تكون صالحه لكل الازمان والاقوام الى يوم الدين.

ولهذا جاءت الرسالة الخاتمة بأية ومعجزه تراها البشرية كلها وتدركها، فهي رسالة للبشرية جمعاء الى يوم الدين. لإنها تخاطب العقل والفكر الانساني بمختلف الأزمان والعصور والأفهام، وفيها من الادلة والبراهين والاعجازات الفكرية والعلمية واللغوية ما يدلل على صدقها، فهذا الكتاب يتحدى كل معاند وغير مؤمن به، وفيه إجابات لكل تساؤلاته، وحلول لكل مشاكله وإجابات لكل ما يؤرقه. ومتحديا الجن والإنس على ان يأتوا بمثله او بشيء منه، او ان يجدوا فيه اختلافا أو تناقضا او تعارضا. فيكون بهذا التحدي حجة عليهم الى يوم الدين.

إن الاعجازات الفكرية والصور التوضيحية في هذا الكتاب التي تخاطب الكل على قدر فهمه وادراكه، مما يشعر القارئ والمتفحص فيه ان الله يخاطبه مباشرة، وأنه هو المعني بذاته في ذلك الخطاب، فالله يخاطب العقول والاذهان للتفكر فيما حولها من عظيم خلق الله , والتفكر في خلق أنفسهم وبديع صنعه, يقول جل وعلا ( هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه )(155) فهو يخاطب العقول بكل ادراكاتها . يخاطب البدو في الصحراء بقوله (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الارض كيف سطحت )156 (())، يخاطب عقل البدوي بما يدرك من عظائم خلق الله التي حوله، في الجمل الذي هو عمود معيشته، يحمله ويحمل اسفاره ومتاعه ,وفي السماء التي تظله بعظمتها في ليله ونهاره , والى الارض التي بسطت له ليمشي عليها في اسفاره وترحاله . وكما يخاطب العقول التي احاطت بشيء من العلم , فينباها ان الذي ينقص الارض من اطرافها هو الله , فلا قدرة لأحد ان يغير خلق الله ويوقف نقصانها , فهي تتناقص كما تتناقص اعماركم , فأين هم اباءكم الذين طال عليهم العمر في هذه الارض فقد تناقصوا منها وذهبوا كما تنقص الارض من اطرافها , فالكل الى نقصان وذهاب ولا بقاء إلا لله الواحد القهار ,يقول تعالى (بل متعنا هؤلاء وأباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من اطرافها أفهم الغالبون) (157), فالله يتحدى علومهم التي توصلوا أليها ان تخلدهم او ان توقف نقصان ارضهم وتأكلها, ثم يبين لهم كما أن الأرض التي يعيشون عليها في نقصان واعمارهم في الأرض تتناقص فإن ملك الله في السموات التي تظلهم تزداد وتكبر, يقول تعالى ( والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون \* والارض فرشناها فنعم الماهدون \* ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون \*ففروا الى الله إني لكم منه نذير مبين \*ولا تجعلوا مع الله إله أخر إني لكم منه نذير مبين )(158) , فالله يخاطب عقولهم التي ادركت عظمة السماء التي فوقهم ,كيف انها في تمدد وتوسع عظيم لا يوقفه إلا الله , وأن الله هو الذي مهد لهم ما في الارض جميعا ويسره وسخره لهم , وهو الذي خلق من كل شيء زوجين , أفلا تتذكرون , فهل من خالق غير الله قادر على ان يخلق مثله .

فالله يخاطب الناس على قدر عقولها واتساع مداركها وعلومها، فيخاطب تلك المدارك والعقول بما تدركه. ففي كتاب الله علم ما يعلمون وما لا يعلمون.

لقد حث هذا الكتاب الناس الى العلم والقراءة لتتوسع مداركهم وليتيقنوا ان هذا الكتاب هو من عند خالقهم عندما يجدوا فيه توافقه لما علموا من حولهم وما أدركوا وما تكشف لهم.

لقد نزلت اول سورة في هذا الكتاب تدعوا الى القراءة، لإن القراءة هي باب المعرفة وسبيل التعرف على خالق ومبدع وفاطر السماوات والارض.

**القرءان الكريم، كتاب الله ورسالته الى البشرية: -**

القرآن الكريم هو شرِعة ومنهاجا حمل البشرية الى أسما صفاتها، فكان خير منهج نهلة منه البشرية، فرتقا به وسما كل من حمل منهاجه، أنه منهاج رب العالمين حفظه الله ليكون نبراسا تهتدي به البشرية الى خير الدنيا والآخرة. إن هذا الكتاب هو دستور ومنهج وبرنامج كامل لرسم حضارة الانسان وطريقه للعيش بأمن وامان مع الخلق كلهم ومع النفس، فهو طريق سعادة الدنيا والآخرة.

ولكي تستبين للقارئ غير المسلم والغير المؤمن بهذا الكتاب، صدق هذا الكتاب وأنه من عند الله، ولما نحن نأمن به على أنه خير منهاج للإصلاح والرقي بالحضارة الى اوجها ومبتغاها، وعليه يتوجب ان نبين للقارء الشواهد والدلالات على أنه من عند الله الخالق.

**الدلالات الإعجازية والمنطقية من القرآن على انه كتاب من عند الله، وانه أخر رسالات الله الى الانسان على هذه الأرض: -**

لقد وجدنا من الدلالات الفطرية على علم الربوبية عند الإنسان مما قصه علينا القرآن الكريم عن سيرة الاولين، كيف انه لم نجد أحد منهم ينكر وجود رب العالمين، بل كان انكارهم واستكبارهم وعدم ايمانهم بالمرسلين لإنهم بشرا مثلهم، فظنوا أنه لو اراد الله ان يرسل رسول لأرسل ملائكته. ولذا كانت الرسل تأتي بالمعجزات من رب العالمين لتبين لهم انهم مرسلين من عند رب العالمين الذي يجدون عظمته في نفوسهم وقلوبهم , فقد شق الله لموسى البحر , وأحيا لعيسى الموتى , وجعل جحيم النار الملتهبة بردا وسلاما على ابراهيم , وأخرج الناقة لصالح من الجبل, والكثير والكثير من المعجزات التي انبأتنا عنها الكتب السماويه وكتب التاريخ , وقد أمن من تلك الاقوام من أمن وأتبع الرسول ممن شاهد تلك المعجزات التي تدل على صدق رسولهم الذي ارسل إليهم , ولكن من لم يشاهد تلك المعجزات , فكيف وأين له الايمان بها من روايات الكتب وسرد الصحف , مع وجود عدو الإنسان الشيطان ووساوسه التي تريد ان تعمي بصيرة الفطرة , وتشوش على العقل , لتخرجه من نور الفطرة الى ظلمات الهوى والهوس ليصد النفس عن الحق الى هوى الباطل , الذي يُسهل على النفس نيل شهوتها وامانيها الانيه الدنيوية منه, وبهذا الهوى والهوس تغيرت وتحرفت الرسالات بعد رحيل الرسل , لقد خفت نور الهداية في قلوب المؤمنين الذين جاءوا بعد رحيل الرُسُل , لإنهم لم يشاهدوا بأعينهم تلك المعجزات ولم يعايشوا تلك الهالة الإيمانية التي كانت تنبعث من الرسول المرسل اليهم , وهكذا خفت نور تلك الرسالات شيئا فشيئا , وجيلا بعد جيل كلما ابتعد الزمن عن رحيل ذلك الرسول . وقد بعث الله الرسل تترا ليصححوا ما افسدته النفس الأمارة بالسوء وما فعله الشيطان بعدوه الانسان من ظلال, ولقد تتابعه الرسل من ربهم الى الناس كافه وما من امة إلا خلا فيها نذير او اكثر, ثم كانت مشيئة الله ان يختم تلك الرسالات ويجمعها على نور واحد , يختم به الرسلات السماوية السابقة, بالنور الذي جاء به خاتم المرسلين "الاسلام" , ليبين لهم ان الرب واحد , والطريق اليه واحد , وهذا هو معنى "شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله" , فرسالة خاتم النبيين الى الناس كافه , وهي لتصحيح عقائد الناس ,ولتبين لهم ما أنزل اليهم من ربهم , ولتميز الخبيث من الطيب , قال تعالى في سورة النحل 39 ( ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ), ولتكون هذه الرسالة حجة على الناس جميعا , فهي المصدر الموثوق والمحفوظ من الله الى الناس جميعا, فلا رسول بعد الرسول الخاتم ولا نبي الى ان يأخذ الله الارض ومن عليها , ولذا جاء هذا النور بالمعجزة الكبرى الباقية الى يوم الدين , وهو كتاب الله المبين , "القرآن الحكيم" , الذي يتحدى بحكمته وما به من علم , كل البشرية بإنسِها وجِنِها على ان تأتي بشيء من مثله , لما فيه من الحكمة والإعجاز اللغوي والعلمي والمعرفي , الذي يبين لهم ما اخفي عنهم , وفيه الدواء والشفاء لكل الأمراض الإنسانية , وعلاجا لكل مشاكلها . فمعجزة هذه الرسالة في الكتاب الذي أنزل. ولذا تعهد الله جلا وعلا ان يحفظه ولا يدع يد الزيف والزيغ والتغيير والتبديل والتحريف ان تصل اليه ابدا، ليكون الشاهد والدليل والحجه والمعجزة للناس الى يوم الدين .

فأول ما يفتتح به هذا الكتاب بالحمد والتهليل والتمجيد بالرب الرحمن الرحيم , ثم يدعو لطلب الهداية الى الصراط المستقيم من رب العالمين , ثم تأتي السورة التي بعدها لتؤكد لقارئيه ومستمعيه انه هو الكتاب الذي لا ريب فيه من رب العالمين ,وأنه هدى للمتقين , ثم يتجه الى العقل البشري ويخاطب فيه المنطق , ويقول له , لو ان هذا الكتاب كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا , ثم يرشدهم الى ما يطمئن حيرتم , ويأخذهم الى سبيل الرشاد , فيعضهم بأن يبتعدوا عن ضجيج المحيط ويخلوا بأنفسهم او مع من يحبون ثم يتفكروا في هذا الكتاب , وبما يعضهم به من التفكر والتدبر في آيات الله وخلقه وفيما حولهم وفي انفسهم, ليتبين لهم أنه حق, يقول تعالى لرسوله أن يقول للناس ( قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ), فالله يعظ عباده بأن يبتعدوا عن الضجيج المحيط بهم , الذي يشوش عليهم صفاء فطرتهم , بظلمات هوى النفس , واطماع متاع الدنيا وصراعاتها التي تقود الى الحقد والحسد والتقاتل على المناصب والجاه والسلطة, فحب الدنيا هو رأس كل خطيئة, ولذلك فبالبعد عن المحيط والخلوة مع النفس والبحث في اعماقها يجعل الانسان يصل ويلتقي بصفاء فطرته ,والتي سوف تنبئه بصدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . فهذا الآية تدل على ان هذا الكتاب ينير ظلمة النفس، ويبعدها ويكشف عنها ظلمة المحيط، ويسكن ويصمت الضجيج المزعج المشوه لمسامع النفس. .

إن هذه الآية تؤكد على أن ابتعاد الإنسان عن المحيط المشوش للفطرة , يوصله الى اعماق النفس , ليستخرج حقيقة الامر من فطرته السليمة , وبها يعلم أن خالقه وخالق الاكوان هو رب العالمين , فالله قد استودع في النفس البشرية, وفطرها على علم الربوبية وعلم توحيد الله جل وعلا.

إن كتاب الله هو الآية الكبرى والرحمة العظمى الذي يغذي العقول والقلوب ويهدي البصيرة الى نور الحق، لتقشع عنها ظلمت المحيط، يقول تعالى (وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما انا نذير مبين \* أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) (203). فهنا تأكيد من العليم الحكيم للذين يبحثون عن الآيات من ربهم، بان في هذا القران من الآيات والمعجزات ما يغني عن اي معجزة او أية اخرى، فالله عالم الغيب والشهادة يشهد ويؤكد بأن في هذا القرآن، ما يكفي الانسان حاجته ويهدي ضالته، ليعرف ربه ويؤمن به ويتبع رسوله. فهذا الكتاب هو الذكرى والرحمة التي تهدي القلوب الى بارئها . وقد حفظه الله ليكون الحجة والمعجزة الخالدة، والآيات البينات التي تدل على انه منزل من الله..

**فحفظ هذا الكتاب هو بحد ذاته معجزه تدل على صدق الوعد الذي جاء فيه، والذي تحدى كل من تسول له نفسه المس به.**

وهنا أحب ان ابين بعض النقاط التي تبين بما لا يقبل الشك بأن هذا الكتاب هو من عند الله.

وان هذه الرسالة هي الرسالة المحفوظة الوحيدة من بين كل الرسالات، والتي لم تتغير ولم تتبدل، وقد حفظت كما هي الى يومنا هذا، من غير زيادة او نقصان ولو بحرف واحد. وقد كان هذا الحفظ تصديقا لوعد الله الذي جاء فيها، يقول تعالى (إنا نحن نزل الذكر وإنا له لحافظون) (204)، فالله تكفل بحفظها. وأن حفظها هذا يقيم الدليل على انها الرسالة الخالدة والخاتمة، فهي التي تقيم الدلالة على نفسها من نفسها، فرغم ضعف المسلمين الذين امنوا بهذا الكتاب في فترة غير قصيرة من الزمن وتسلط عدوهم عليهم ومحاولاته الكثيرة والعديدة لتحريف هذا الكتاب إلا أنهم قد عجزوا عن المس به ولو بقليل رغم علم عدوهم ويقينه ان الطريق الوحيد للقضاء عليهم ومسح هويتهم واستعبادهم الى الابد هو في تغير وتحريف كتابهم الذي يدعوهم الى عدم الاستسلام للباطل والوقوف مع الحق مهما كلفهم الامر.

لقد سعى اعداء امة الاسلام بكل جهد وبكل المكائد لتغيير او تحريف او طمس معالم هذا الكتاب، إلا أنهم فشلوا في كل مساعيهم، وانكشفت كل مكائدهم، وهذا ليس لقوة القوم وصلابتهم، بل هو العهد من الله بحفظ هذه الرسالة. فالحفظ هو عهد من الله لعباده، بأن تبقى هذا الرسالة صافية لا تصل إليها يد التحريف والتغيير كما وصلت الى الرسالات من قبل، وان هذا الرسالة ستكون نبراس نور وهدى للعالمين الى يوم الدين، فلا يبقى بيت من مد او حجر إلا وصلت اليه هذه الرسالة.

إن مّن حفظ هذه الرسالة هو مّن حفظ السماء ان تقع على الارض، ولم يحفظها المسلمون والمؤمنون بها، لإنه من لم يستطيع ان يحافظ على أرضه وماله لا يستطيع ان يحافظ على كتاب أمن.

فالله جل وعلا حفظ هذه الرسالة الخاتمة ولم يحفظ الرسالات السابقة لإنها كانت رسالات خاصه بالقوم التي نزلت عليهم، فهي باقيه ما بقوا على العهد والوعد مع الله ورسوله، فإذا ما نقضوا العهد وبدء التغيير والتبديل والتحريف بعث الله رسول الى قوم اخرين.

لقد بعث الله الرسل الى الاقوام جميعا، لينذروهم وليبلغوهم رسالة ربهم إليهم، يقول تعالى "وما من أمة إلا خلا فيها نذير ".

إلا ان رسالة خاتم المرسلين جاءت للناس جميعا، لذا تعهد الله بحفظها لتصل للناس اجمعين، ولتكون عليهم حجة الى يوم الدين. **وبما أنها لجميع البشر. صار ملزم حفظها من المُرسِل لا من المرسَل اليه لآن المرسَل اليه يموت ويفنى ويستبدل بقوم أخرين ذا فلا بد ان يحفظها الحي القيوم الذي لا يموت، وهذا برهان على مدى صدق هذه الرسالة.**

لقد وجدنا أن كل رسالات السابقة من ادم الى عيسى عليهم السلام , قد حرفت جميعها وغيرت , وقد توالت الانبياء تترى بعد رسالة موسى (عليه السلام ) تتوارث النبوءة لتحفظ وتذكر بما جاء به موسى من ربه ,إلا انا وجدنها في زمن عيسى عليه السلام بعد مرور ما يقارب 600 سنه, قد بدلت وحرفت , ولو انهم بقوا على ما جاء به موسى من غير تبديل او تغيير , لتبعوا عيسى عليه السلام من غير جدال او تكذيب , لإن ما جاء به عيسى هو تصديقا لرسالة موسى عليه السلام ,فقد جاءت رسالته, لتصحح ما حرف , ولتحلل لهم بعض ما حرم عليهم , ولترفع عنهم بعض الاصر والأوزار التي كانت عليهم., كما جاء على لسان عيسى عليه السلام في القرآن الكريم, يقول تعالى عن عيسى (... ومصدقا لما بين يديه من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بأية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون) , وكذلك بدلة وحرفة الاقوام التي جاءت بعد عيسى عليه السلام رسالته وتعاليمه, وادعوا انه هو الله بعينه قد نزل عليهم بصورة ابن لأبيه , ولذلك ضلوا عن ما جاء به سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم , ولم يروا النور الذي جاء به مصدقا لما جاء به عيسى والنبيين من قبله إلا قليل منهم .

2- والدليل الاخر على انها الرسالة الخاتمة، هو عدم مجيئ رساله بعدها الى يومنا هذا، وأن اتباع هذه الرسالة يعملون ويدعون الناس الى اتباع هذه الرسالة الخاتمة والخالدة لإيصالها الى كل الاقوام في كل بقاع الارض، فليس هناك قوم ولا بلد ولا أرض إلا ووصل اليها هذا الدين وهذه الرسالة الخاتمة. وهذا تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم " إن علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل " فقد وكل الله رجال اشداء صابرين للذود عن هذه الرسالة والى دعوة الناس اليها بكل الازمان والأوطان، وكأنهم انبياء في نشر هذه الرسالة، التي ملأت الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا إن اعداد المسلمين اليوم الذين يتبعون هذا الكتاب ما بين 1.6- 1.7 بليون نسمه، أن هذا الانتشار السريع والواسع لهذه الرسالة هو تصديق لنبوءة هذه الرسالة في ان علماء هذا الدين سيكونون هم ورثة للأنبياء في التبليغ.

3- شمولية محتوى هذه الرسالة لكل مرافق الحياة لكل الأزمنة والعصور: -

لقد استطاع منهاج وتعاليم هذه الرسالة في حل كل مشاكل الإنسان التي طرئت على حياته على مر الازمنة والعصور، مما جعل العصر الذي قادته هذه الرسالة من خير عصور التاريخ البشري على الارض، فهي البلسم والشفاء للنفوس الضالة، وفيها نور الهداية لمن قصد طريق الهداية، وأن المؤمن بها يجد الاطمئنان والراحة النفسية والرضى في حياته.

فلقد اكدت هذه الرسالة اكتمالها وتمامها وشموليتها كما ادعت بقوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (31)، إن هذا الاكتمال والإتمام والشمولية والرضى يؤكده الامر الواقع الذي نشاهده في الاقبال الشديد على هذا الدين، من الذين ضاقت عليهم أنفسهم ولاجت ارواحهم، فوجدوا أن لا ملجئ مما ابتلاهم الله فيه، إلا الى الله، فهداية الله تأتي بتحريك الضمير الخازن لعلم الله. فنرى النفوس المتألمة والحائرة تجد الملجأ والملاذ في هذا الكتاب الذي يجيب على كل ما يحيرهم، فتطمئن له النفس وترتاح، فأمنوا به واتبعوا النور الذي جاء به فاعتنقوا الدين الذي ارتضاه ربهم لهم، ثم صاروا من بعد ذلك حماة له وحاملي لمشعله.

إن هذا الاقبال الشديد على هذا الدين وتعاليمه في عصرنا الحاضر الذي يختلف اختلاف كثيرا عن العصر الذي نزل فيه، يدل على أن رسالة هذا الكتاب هي الرسالة التامة والكاملة والشاملة لكل العصور والازمان. وأنها تتوافق مع واقع الأزمنة واحتياجات الإنسان في كل العصور.

4 - موافقة هذا الكتاب مع كل الحقائق العلمية المكتشفة والمتحقق في صحتها. فرغم افتخارنا وزهونا بما وصلنا اليه من علم , وبشكل متسارع وكبير ¸ سابقنا فيه كل الامم السابقة من قبلنا, حيث انا ما توصلنا اليه اليوم يبهر ويعجز عقل ابائنا وأجدادنا الذين لا زالوا يعيشوا بين ظهرانينا , فكيف اذا كان فارق الزمن 1450 سنه , عندها سيكون ما عندهم من علم لا يمكن مقارنته بما وصلنا اليه من الاكتشافات العلمية المبهرة والداحضة لكثير من العلوم والنظريات السابقة لمن سبقونا , إلا اننا لم نجد معلومة او اكتشاف جديد واحد يتعارض مع ما جاءت به هذه الرسالة الخاتمة , والتي تحدثت وغاصة وأبحرت في كل المجالات العلمية بتفصيل دقيق , فتكلمت عن الانسان واعجاز خلقه , وعن خلق الارض وعظمتها , وعن خلق السماوات وسعتها , وعن الاجرام والفلك وعظيم إنتظامها , وتكلمت في علم نفس الانسان وأغوارها , وتكلمت عن علم البحار والانهار ونظام جريانها وما بها , وتكلمت عن عالم الحيوان وعن اممها , وعن عالم الجن وما شائنها, وتكلمت عن عالم الروح وأسرارها , وتكلمت عن عالم الغيب وما خفى, وعن مستقبل ومصير حياة الانسان على هذه الارض ونظامها, وعن عالم ما بعد الموت , والساعة , والحساب والمصير ومأل الإنسان بعد الممات في العالم الاخر , فلم تدع هذه الرسالة أمرا إلا وتكلمت عنه إما بتفصيل دقيق او بإيجاز يعطي ملخص واضح ومفهوم عن ذلك الأمر , ورغم كل هذا لم نجد معلومة واحده خاطئة في كل ما قالته او تكلمت عنه , ورغم انها جاءت في زمان ومكان وعلى لسان إنسان ليس له ولا لقومه من العلم شيئا , من قبل هذه الرسالة , وهذا تصديق اخر على صدق ما جاءت به هذه الرسالة وانها من عليم خبير..

ولقد وجدنا عالم الأجنة الفرنسي المشهور (موريس بوكاي 1920-1998) الذي ألف كتاب مقارنة الاديان (القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم، ودراسة الكتب المقدسة في ضوء المعرفة العلمية) يشهد بهذا ويقول معترفا بقوله: " باعتباري طبيبا فأنني مهتم بالعلوم الطبيعية بشكل خاص وبعلم وظائف الاعضاء، وهنا لا بد ان اعترف بأنني حينما قرأت القرآن في لغته العربية لأول مره في عام 1972. واطلعت على تلك المعلومات المتعلقة بجسم الانسان، أدهشني الى ابعد الحدود، وبالنظر الى وضع المعرفة العلمية في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). فأنه لا يعقل ان يكون ذلك الكم من المعلومات المتصلة بالعلوم الواردة في القرآن، لا يعقل ان تكون من وضع الانسان!”. وقال بوكاي: لاتزال التوأمة بين الاسلام والعلم قائمه وما أكثر من ذلك فان معطيات علميه قد فتحت الابواب امام فهم أفضل للنص القرآني.

وقد وجدنا شهادة اخرة من العالم الكندي (كيث مور) المشهور في علم الأجنة: “ إن الآيات التي تشير الى التناسل الانساني وتطور الأجنة تنتشر على صفحات القرآن كله . ولم يتح لنا أن نقدر تماما المعنى العلمي لهذه الآيات إلا في عصرنا هذا.

وقال كيث مور أيضا: " أن محمد لم يكن يعرف هذه الحقائق العلمية الخاصة بتطور الأجنة في القرن السابع لأن معظمها لم يكتشف إلا في القرن العشرين. ولذلك يحق للمسلمين ولغيرهم التوصل الى خلاصه مفادها أن هذه الحقائق العلمية. إن هي إلا وحي من الله أنزل على محمد، ألاله الواحد الذي يعلم كل شيء عنا. ليس فقط عن اطوار خلقنا، بل ايضا عن الكيفية التي بها تحيا أجسامنا وتعمل. “. (205) .

إن هذه العلوم والحكم والمواعظ ألهيه قد صيغة في معجزات بلاغيه، ومن مفردات الكلمات التي قد صيغت بأدق من ميزان الذهب، وبأوصاف بأجمل ما في البلاغة من وصف، وبتعابير وأقوال ما يعجز عنها كل بليغ او مدعي او قائل مهما عظم شأنه او كبر ملكه وسلطانه.

5 - اعجازه اللغوي: - لقد جاءت كل الرسالات السماوية بايات اعجازيه في امور تتحدى براعة ما تفننت به تلك الأمم والاقوام. ففي زمان موسى عليه السلام، برع اهل عصره بالسحر والتنجيم، فقد كانوا أبرع الناس بأمور السحر والتنجيم، لقد تنبئوا لفرعون بزمن قدوم موسى وانه سوف يكون نهاية ملكه على يد أحد مواليد تلك السنة التي ولد فيها موسى عليه السلام، وكذلك برعوا في السحر. لذا جاءت رسالة موسى معجزات من اصل ونوع ما برعوا به , لتكون تلك المعجزات اكثر تأثيرا في انفسهم, وكذلك جاء عيسى عليه السلام بمعجزات تقهر ما جاء به الطب والدواء الذي اشتهر به قومه في زمانه , أما الرسالة الخاتمة فقد جاءت على قوم اشتهروا وبرعوا في صياغة اللغة وفي عظيم وجميل وسحر نظمها وشعرها ونثرها ونطقها , فكانت اللغة وصيغتها وفصاحة نطقها هو اشهر ما يملكون ويعتزون به بين الامم الاخرى, ولذا جاءتهم تلك الرسالة بالإعجاز اللغوي لتتحداهم به ولتقول لهم ان هذا هو كلام الله وليس من كلام البشر فهو ليس كشعركم ونثركم ولا كسجع كهنتكم , فهو اجمل واتم وادق واحكم مما تقولون, وأنه محكم لا لهو ولا لغو فيه ولا باطل "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم خبير" . فأن لم تصدقوا به، فأتوا بعشر سور من مثله، بل فأتوا بسورة واحدة من مثله، " وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين “ثم تحدى انسهم وجنهم بأن يأتوا بشيء من مثله “قل لئن اجتمعت الإنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأنون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا )(208) , اي حتى لو كانت عقول وقلوب الجن والإنس منفتحة وظاهرة ومكشوفة بعضها على بعض, لعجزوا على ان يأتوا بمثله. ولقد بقي هذا التحدي الى يومنا هذا وسيبقى الى يوم الدين، فلا لأحد القدرة على ان يأتي بمثله أبدا.

ولقد اختير التحدي في اللغة لان علم اللغة هو العلم الوحيد الذي يحتاجه الانسان في كل امور حياته يسعى الى تطويره وابتكار الجديد فيه ليواكب كل ما يكتشفه من علوم جديده , او امور حياتيه جديده , غير أن كل العلوم الاخرى قد تضعف او يقل الاهتمام أو الحاجة إليها , او يخفت نجمها في زمن من الأزمان , إلا اللغة فأن حاجتنا اليها تزداد كلما ازدادت وكبرت معارفنا , فهيه الأداة المستخدمة في كل امور وشؤون الحياة , لتواكب حاجاتنا التعبيرية عن الاشياء المحدثة في عالمنا , ورغم تطور اللغة والمعرفة اللغوية إلا أن العالم لا زال عاجز كله بعربه وعجمه على ان يأتوا بشيء من مثل هذا القرآن .

فكل كتاب يكتبه البشر ينقح ويصحح ويضاف اليه ويحذف منه من قبل مؤلفه او من غيره في كل طبعة جديده يطبعه، لان فكر الانسان يتطور ويتنور بالجديد في كل لحظة وحين, او قد يحدث وسينكشف امر قد يخالف ما فيه , إلا ان هذا الكتاب لم نجد فيه حاجة للتصحيح او للتقديم او للتأخير , او للإضافة ما سهي عنه , او لظهور امر لم يكن من قبل في الحسبان بالنسبة للإنسان . فهذا دليل اخر على صدق هذه الرسالة.

ولقد تبين للباحثين في هذا الكتاب من الاسرار والإعجازات ما يبهر العقول ويدهش الاذهان، ففي كل زمان يجدوا فيه من الكنوز ومعارف ما يؤكد أنه من عند عليم خبير، ومما تبين وأظهره الباحثين فيه، أن فيه تناسق مبهر لا يصل اليه عقل وتدبير اي انسان في مواضع الكلمات وانتظامها وعددها وقد اللفت كتب في هذا الشأن كثيره.

لقد جاء هذا القرآن ليخاطب العقل البشري ويحثه على التفكر والتدبر والنظر فيما حوله من خلق الله. فهو يخاطب العقل البشري بمستواه الادراكي على طوال الأزمنة والاماكن ليهديه الى الصراط المستقيم.

لقد ذكر الدكتور محمد الطالبي في كتابه (ليطمئن قلبي) أنه قد ورد في القرآن الكريم ذكر كلمة العقل 49 مره، وكلمة العلم بمعنى المعرفة عموما 768 مره، وكلمة القلب 172 مره بمعنى التأويل ولتسائل، وكلمة البصر 147 مره بمعنى الادراك، وكلمة الذكر 268 مره بمعنى الانتباه. ويقول الدكتور عبد الله المصلح الامين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي. أن عدد الآيات التي تتكلم عن العلم والعلماء 1300 ايه. وان الآيات التي تتكلم عن التشريعات التي تحكم الخلق في علاقاتهم بكل انواعها عدها بعض المتخصصين ب 535 ايه (209).

فمن عدد تلك الآيات نجد ان العليم القدير يدعونا الى التفكر والتدبر والتأمل والنطر، في خلق الله، وأمره فيها، لكي تدرك عقولنا وتستيقن قلوبنا الى عظمته وجلال قدره وتقديره لقد جاء ذكر آيات التفكر والتدبر والنظر، ثلاثة اضعاف، الآيات التي ذكر فيها التشريع والاحكام بين الخلق. هذه دلاله على ان هذه الرسالة هي المصباح والمفتاح لنور الهداية الى عظمته وعظمة صنيع خلقه.

6 - لقد كانت هذه الرسالة الخاتمة هي أعلانا للحداثة والتقدم والرقي في حياة الانسان. فكانت رائد ثورة القلم والعلم، فبنزولها على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، بدأة حداثة الانسان ورقيه، حيث كان اول كلمة نزلت بها هي “أقرأ". لترشد الإنسانية الى طريق العلم والمعرفة والنور، فكانت اول آياتها، بسم الله الرحمن الرحيم (أقرأ بسم ربك الذي خلق\*خلق الانسان من علق\*اقرأ وربك الاكرم \*الذي علم بالقلم \*علم الانسان ما لم يعلم) لقد كانت دعوة للعلم والتعلم، ودعوه الى تعلم القراء والكتابة. لقد ذكر الله العلي الاعظم، أسمه "الاكرم"، في هذه السورة، وفي هذا العطاء بالذات، عطاء العلم، ليخبرنا انه افضل العطاء وأكرمه وأعظمه، ولذا وصف نفسه فيه ب "الأكرم" ليتناسب وقيمة العطية، بكرم المعطي. فالله العلي القدير والكريم والجواد الرحيم، لم يذكر اسمه "الاكرم" إلا في هذه الآية ليبين عظمة هذه النعمة علينا فهيا الأعظم ليتناسب معها اسمه الاكرم.

إن العلم هو مصدر ومفتاح وباب كل الخيرات التي انعم الله بها على الانسان، فكل ما نحن به من خير ونعمه سببه العلم، وكل ما نحن به من شر، سببه الجهل، وأن علاج كل مشاكلنا هو العلم. لقد أعلمنا العليم الخبير أنه “من اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا", ولذا كانت هذه الرسالة دائما الدعوة الى التفكر والبحث عن المعرفة، وان المعرفة نور، والجهل ظلام. وقد جاء عن الرسول الكريم في حديثه المشهور الداعي الى العلم والتعلم، أنه قال (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء). وهذا أفضل دليل على ان هذا الدين جاء لنشر الفضيلة والرشاد واصلاح البشرية عن طريق العلم، وليس عن طريق القوة والقتال كما يدعي بعض اعداء هذا الدين، وقد اخبرننا سيرة هذا الرسول الكريم أنه كان يفتدي أسرى الحرب مقابل تعليم المسلمين القراءة والكتابة. لقد كان رسولا لنور العلم والمعرفة، وليس رسول المال والقوه والسلطة.

لقد حفظوا هذا الرسالة بالقلم الذي اوصاهم به فكتبوا ما انزل عليهم من ربهم ليحفظوا رسالة العلم والمعرفة بالقلم، وليكون القلم والكتابة الوسيلة والغاية لحفظ العلم والتعلم. لقد انتشرت القراءة والكتابة بفضل هذه الدعوة بسرعه في عموم الامة الامية بعد ان كانت محصورة فقط على النخبة القليلة النادرة من اعالي القوم. لقد أبحر اصحاب هذه الرسالة في مختلف انواع العلوم، الى بقاع الارض جميعا، في الرياضيات والطب والفلك، وبكل علوم الطبيعة وفروعها، فكانت تلك الابحاث والعلوم هي البذرة لكل العلوم في يومنا هذا.

إن دعوة هذه الرسالة للعلم والتعلم، هي دعوه الى نضوج انسانية الإنسان، لإخذها الى

الرشاد والفلاح في كل امور حياتها، ولتدرك سبب خلقها ووجودها على هذه الأرض ولقد أصبح العلم والتعلم والمعرفة أداة بجد ذاتها لإصالة هذه الرسالة الى كل البشرية في كل بقاع الارض. وأصبح العالم بفضل العلم والمعرفة وكأنه قرية صغيره، بل أصبح كالبيت الواحد. فالتكنلوجيا التي جاء بها العلم أصبحت وسيلة لنشر دعوة الاسلام بين البشرية. وهذا دليل اخر على ان هذه الرسالة الخاتمة هي التي فتحت ابواب وصولها وحملت نفسها الى البشرية جمعاء بما جاءت به. وليتحقق قوله تعالى “وما من امة إلا خلا فيها نذير" الى يوم الدين.

7 - حفظه في الصدور: ومن اعظم ما يبهر العقول في هذا الكتاب انه سهل الحفظ في قلوب المؤمنين به , فحافظ هذا القرآن يقرأه عن ظهر قلب وكأنه مكتوب في قلبه , وأن نور الهداية اضاءة بصيرته فقرأ ما في قلبه , ومن عجائبه انه يسهل حفظه في سن مبكر, يحفظه طفل عمره 7 سنوات من غير ان يفهم معناه , او حتى لو لم تكن لغة القرآن هي لغته او لغة ابائه , يقول تعالى ( ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) . (210)

فهناك الملايين من البشر من يحفظ هذا الكتاب عن ظهر قلب من غير ان يفهم معناه، ولكن يجد حلاوته في قلبه، وخشوعا في النفس، وأنغاما في السمع، وطراوة في اللسان. فسبحان مخاطب القلوب والفطرة بدون لغة تفهمها العقول، ولكن بلغة تفهمها القلوب وتحن اليها الجوارح وتتلمس معانيها الفطرة، لا عن طريق العقل، ولكن عن طريق الوحي، وحي التلقي المتواصل بين الانسان وخالقه عن طريق العهد الذي عاهد به ربه، وهو الحبل الواصل بين الانسان وربه عن طريق الفطرة والنور الالهي الذي يبقى يشع في الانسان ما لم يطفأه الانسان بذنوبه وهوى نفسه الذي يهوي به في محيطه الفاسد الذي يفسد عليه فطرته، فيطفئ نور ربه في قلبه، وعندها ينقطع حبل الوحي من ربه.

ولقد اشار الله جل وعلا الى هذا السر الإلاهي في سورة فصلت في الآية 44 , ولقد سميت السورة كلها بهذا الاسم بسبب هذه الآية العظيمة التي تبين أن هذا القران فصل رداء نور للقلوب المؤمنة, وان هذا القرآن يخاطب القلوب المؤتمنة بالعهد الذي استودعه الله فيها, فجاءة أية فصلت تجيب من يضع الاعذار والحجج لنفسه بأن هذا القرآن لم ينزل بلغتنه ولا يستطيع فهمه , لتعلمنا أن لغة القرآن هي لغة القلوب , يقول تعالى ( ولو جعلناه قرأنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أءعجمي وعربي \* قل هو للذين أمنوا هدى وشفاء \* والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى\* أولئك ينادون من مكان بعيد)(211) , أي أن هذا القرءان فصل ليكون هدى وشفاء للذين أمنوا , (عربا كانوا أم عجما) , والذين لا يؤمنون أولئك عليهم عمى (عربا كانوا ام عجما) , فهو نور يشع في القلب لا يحتاج الى لغة خاصه تخاطب العقول والاسماع بلسانها , بل بلسان تسمعه وتفهمه القلوب وتستريح اليه وتسكن اليه , ففي هذا القرءان نور يضيئ القلوب المؤمنة بالعهد الذي بينها وبين ربها , حين قال لهم ربهم " ألست بربكم " ؟ ف " قالوا بلا"! يقول تعالى إن هذا القرءان للذين امنوا ولم يقل للعرب او للعجم، والذين لا يؤمنون بالعهد فهو عليهم عمى مهما تكن لغتهم، عرب كانوا ام عجم، فهو مفصل ليسكن القلوب المؤمنة، وقد فصلت آياته لتخاطب لغة تلك القلوب المؤمنة وبلسان فطرتها. فهذا القرءان لم يكن حديثا مفترى، ولكن تصديقا لما في قلب المؤمن، ولذلك تقبل عليه القلوب التي ازاحت عنها غشاوة الذنوب والمعاصي. يقول الله تعالى “ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمه لقوم يؤمنون " (212)، فالقرءان كلام الله، هدى ورحمة للقلوب المؤمنة التي لم تزل على عهدها مع خالقها وبارئها، فهذه القلوب هي التي تفهم لغة هذا الكتاب. أما المغشي عليها، فهي في عمى عن فهم هذا الكتاب.

فالقلوب المؤمنة يسهل عليها حفظه عن ظهر قلب، وإن كان لسان حال صاحبها، يتكلم بغير ذلك اللسان.

فكيف لأنسان ان يحفظ كتابا عن ظهر قلب من 600 صفحة بدقة متناهية، ويقرأه وكأنه ينظر في صفحاته، وهو لا يعلم ولا يفهم اللغة التي كتب بها .

فحفظت هذا الكتاب لا يحتاجون ان يكونوا نوابغ، او ان يمتلكوا قابلية حفظ خارقه غير عاديه، او أن يكون عندهم ذاكره تصويريه حتى يحفظوه، بل هم اناس عاديون، بل ان بعضهم قد يكون عنده عاه ذهنيه او قصورا في الانتباه والتركيز، ورغم ذلك فهم يحفظوه عن ظهر قلب. **أن حفظ الملايين من المؤمنين القرءان الكريم لهو دليل اخر على ان هذا الكتاب هو من عند الله**، وانه اخر رسالات رب العالمين الى سكان أهل هذه الارض، **وأن الله هو الذي حفظه الله لهم في السطور وفي الصدور.**

8 - ومن المعجزات الاخرى لهذه الرسالة الخاتمة , انها حفظت لفظا ومنهجا وتطبيقا من خلال حفظ سيرة الرسول المرسل محمد صلى الله عليه وسلم , وسيرة اصحابه , لقد كانت سيرتهم وحياتهم تطبيقا عمليا لما جاء في هذه الرسالة الخاتمة , فلم نرى في تاريخ البشرية ان حفظت سيرة قوم وتاريخ حياتهم بكل تفاصيلها وبدقه متناهيه كما حفظت سيرة الرسول الخاتم للرسالات واصحابه , لقد اوجد اصحاب هذه الرسالة علوم في التدقيق والتمحيص في صدق الروايات وصدق الراوي ,وسموا هذا العلم ب "علم الرجال" والذي يمحص ويحقق في حياة وشخصية المروي عنه عن حياة الرسول وصحبه . إن هذا التطبيق والتدقيق والتحقيق في مصادر الحديث وروايته، وحفظ سيرة رسول رب العالمين من اقوال وافعال. لهو دليل اخر على ان الرعاية الربانية قد تدخلت لحفظ هذا الرسالة الخاتمة لتكون حجة على كل مخلوقاته على هذه الارض من انس وجن.

وخلاصة القول ان معجزة هذا الدين الخاتم للأديان السماوية هو (القرءان الكريم) الذي حفظه الله ليكون النور الهادي لكل العصور والازمان، فاحفظ كامل بين ايدي الناس وفي قلوبهم، على مر الأزمان والعصور، ليكون عليهم حجة يوم الدين.

وقد سهل الله انتشاره وبلوغه للناس، عن طريق رجال ونساء يعملون وكأنهم انبياء حاملي مشعل نور رسالة ربهم الى البشرية جمعاء. فقد بلغت هذه الرسالة امم الارض جميعا. وامنت بها امم كثيره بأكملها، مثل إندونيسيا وماليزيا وكل بلاد شرق اسيا والكثير من البلدان والاقوام عن طريق عامة وعلماء هذه الامه، الذين يُسخر الله منهم من يجدد لهذا الدين نشاطه، ويزيح عنه تعثرات وترسبات تأثير ما يحيط به، لينقي ما شابه، فيخرجه ناصعه لا غبار فيه كما انزله ربه.

لقد جعل الله هذه الرسالة لتكون سببا في جعل سكان هذه الارض وكأنهم يعيشون في قرية صغيرة بما سهل لهم ويسر من العلوم والتكنولوجيا التي حث عليها هذا الكتاب عن طريق العلم والتعلم، فأصبحت اخبار الناس تنتشر بسرعه فائقة وكأنهم جيران نوافذهم تطل بعضها على بعض. فينتشر الخبر بسرعه فائقة وتتواصل فيه الناس بسهولة ويسر، فأصبح هذا الدين الخاتم وكأنه أرسل الى تلك القرية الصغيرة، لتقام الحجة عليهم. فمن اراد البحث عن الحقيقة فسوف لا يجد العناء في الوصول اليها، فأن فتح التلفاز او الانترنيت وهو في غرفة نومه ومن على سريره، فسيسمع بهذا الدين، وان اراد البحث فيه، والتقصي عنه , فلن يجد العناء , ولقد انتشر المسلمون في كل بقاع الارض فلن تجد ارض او بلد في العالم إلا وفيها مسلمون ومراكز اسلاميه , فلم يعد هناك عناء في الوصول الى حقيقة هذه الرسالة.

إن هذه الرسالة الخاتمة " القرءان الكريم ", هي الكوكب الدري الذي يرى شعاعه كل اهل الارض , فنور هذا الكوكب الدري " القرءان الكريم " يبصره حتى العميان , إلا الذين عميت بصيرتهم , فهذا هو الاعمى الحقيقي , وهذا لا يؤمن حتى ولو كان رسول هذه الرسالة بين يديه وفي زمانه.

فنعمة التطور العلمي في الاتصالات والمواصلات هي ايضا دليل اخر على أن هذه الرسالة هي اخر الرسالات، لإنها جاءت بالعلم الذي سهل انتشارها وبلوغها للناس اجمع. وان لا حاجة الى رسالة اخرى لتري الناس طريق الحق والفلاح لان الرسالة بين ايديهم وبين ظهرانيهم حتى وإن ارادوا اغماض اعينهم او صم اسماعهم عنها.

ان هذه الرسالة أكثر الرسالات انتشارا واعتناقا، في عصر العلم، لآنه دين العلم، على الرغم من الامكانيات المتواضعة والقليلة جدا من اصحاب هذا الدين. مقارنة بمن يريد ان يطفئ نور هذا الكوكب الدري فمثلا نجد جماعه مثل جهوفا وتنس اي شهود الرب وهي مجموعه لا تزيد عن المليونين في العالم تصدر كتاب بعنوان "الحقيقة التي تؤدي الى الحياة الأبدية" ب 95 لغة، طبعة منها 12,350,000نسخه تدعوا بها الى معتقدهم، ووزعت في العالم الاسلامي بين المسلمين تدعوهم لمعتقدهم.

فرغم الصراع قائم في عصرنا هذا على اشده بين من يريد ان يوصل نور الكوكب الدري لكل الناس، لإيقاد نور الفطرة من جديد، وإزاحة الظلمة عنها , وليكتمل وليتصل نور الفطرة بنور السماء, وليصبح الانسان كما امره الله , خليفة الله على الارض , ليعمرها ويصلح فيها . وبين اولياء الشيطان الذين قد كثروا وغلظ عودهم وزاد عددهم وأشتد غيظهم وغضبهم وحنقهم، فاشتعلت نيران حقدهم وحسدهم على اصحاب النور الدري. لقد سخر اعداء هذا الدين كل ما اوتوا من قوه ومال وسلطان لإطفاء هذا النور الرباني في هذه المعركة.

فقد ذكر ادورد سعيد وهو استاذ كان يدرس في جامعة كولومبيا الأمريكية وهو غير مسلم، في مقاله نشرتها له مجلة التايمز مكازيم الأمريكية , في اصدارها المؤرخ بتاريخ 16-4-1979 يقول فيها ( ان المناظرين المسيحيين ضد الاسلام استخدموا التهجم على شخصية رسول الاسلام ورموه في الفجور والزنا والكذب والخداع ,فقد كتبوا اكثر من ستين الف كتاب ضد الاسلام ورسوله من سنة 1800 الى سنة 1950 لتشويه صورة الاسلام وتشويه رسول الاسلام ) , وذلك في محاولة لإطفاء شعلة هذا النور الرباني وعدم انارتها للفطرة البشرية . لقد أسسوا لذلك العمل الظلامي مؤسسات، وهيئات، ومنظمات، ودول. فقد ذكرت مجلة النيوز ويك الأمريكية ان هناك سبعين ألف مبشر للمسيحية في العالم 60% منهم امريكان. وقد خرجوا بنظريات ومصطلحات وأسماء مثل صراع الحضارات والارهاب الاسلامي والتطرف الديني، والخوف من الاسلام اي “الاسلام فوبيا". لقد اخذت هذه الحرب كل الاشكال والصور، عسكريا واقتصاديا وفكريا من داخله ومن خارجه، في محاولات حثيثة منهم لإطفاء نور الله بأفواههم، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون بهذا الدين.

نحن نعلم ان هذا الصراع لا بد ان يكون كما اراده الله , لا كما يشتهون او يظنون او يرجون , فقد اوضح الله صورة هذه الدعوة , في سورة البقرة وبيّن انها دعوه الى الحق بطريق التبيين والارشاد وليس عن طريق الصراع والقتال والإجبار , يقول جلا وعلا ( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي \* فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها \* والله سميع عليم\* الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور \* والذين كفروا اوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات\* أؤلائك اصحاب النار هم فيها خالدون\*)(213) , فقد بين الله في هذا الوصف الرباني طريق الدعوة الى الله بالحسنة وليس بالصراع والتصارع , كما يريد ويدعي اعداء هذا الدين , فلا أكراه في الدعوة الى هذا الدين ,ولكن الحجة بالحجة والموعظة بالموعظة والبينة بالبينة في هذا العالم الصغير. وقد بين الله أن سبيل دخول هذا النور الى القلب، هو أن يكون ذلك القلب كارها للظلام والظلم اولا، ثم الكفر به وهجره ونبذ الطاغوت وما يمثله من تجبر وتكبر واستعلاء على الناس، حتى يجد النور سبيله الى قلبه والتمكن والتحكم فيه.

فلطاغوتيه لها اشكال وألوان مختلفة، فالنفس الأمارة بالسوء طاغوت، والظلم والتجبر والتكبر وأكل اموال الناس بالباطل طاغوت، وكل ما يزيغ عن الحق والعدل فهو طاغوت، فلكي تأمن بهذا النور وتتبعه لابد ان تتخلص من ظلمات ما في نفسك وما حولك. حتى تكون انت مشعل جديد من النور لتخرج الناس من الظلمات الى النور بأذن ربهم. فلا بد للحق ان يظهر وللباطل ان يزول رغم كل محاولات التضليل بالقوة والمكر والعدوان، فإن هذا النور واصل لا محال، الى كل بيت من حجر كان او مدر، بعز عزيز او بذل ذليل، كما وعد رسول الله, رغم كل مكرهم . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين. وسوف يبقى تلاطم امواج النور والظلام ليتغربل ويتمحص ويمتحن كل انسان، ولتقام الحجة على الجميع. فمن وجد في قلبه ولو ثقب صغير من نور الفطرة دخل على قلبه نور الحق وأضاءه.

**البداية الحقيقية لمرحلة الحداثة والانطلاق الفكري والتوعوي في عالم الإنسان البشري**: -

لقد كان بداية نزول القرآن هي بداية لإعلان **مرحلة الحداثة في عالم الانسان والبشرية**، فكانت اول آياته تأمر الإنسان بالقراءة والتعلم، يقول تعالى (اقرء باسم ربك الذي خلق \* خلق الانسان من علق\* اقرء وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) (159). صدق الله العظيم.

لقد أوقدت هذه الرسالة السماوية مشعل نور العلم في عقول البشرية، وأضأت عقول الإنسانية بالمعرفة والعلم، وهي التي اوصلت البشرية الى هذه التطور العلمي والمعرفي، والذي امد البشرية بوافر الإنتاج في المأكل، والمشرب، والملبس، والرفاهية. لقد دفعة هذه الرسالة الانسان الى التطور الكبير والسريع في كل مجالات العلوم والمعرفة.

ومن عظيم هذه الرسالة أن أصبح العلم الي دعت اليه هو الوسيلة لنشرها بين البشر، من خلال التلفاز والانترنيت وغير ذلك من ادوات التواصل الاجتماعي في عصر أصبح الناس وكأنهم يعيشون في قرية صغيره، بل في بيت واحد.

فالعلم أصبح اداة وحجه في تبليغ الرسالة للناس جميعا، فلم تعد البشرية في حاجه لرسول اخر، فالقران الكريم الذي تعهد الله بحفظه، له القابلية على ان يخاطب عقول البشر بمختلف إدراكاتها، وأصبح قادر بفضل دعوة العلم التي جاء بها ان يصل الى الناس جميعا اينما كانوا. وأن يخاطب نور الفطرة فيهم ويخاطب حججهم الفكرية وإدراكاتهم العقلية، ويجيبهم فيما تستحدثه فيهم افكارهم او تصل اليه عقولهم أو ما يستشكل عليهم فهمه وإدراكه.

**متاهات الحداثة في عالم الغرب:**

لقد غرق الغرب في متاهات البحث عن حقيقة الانسان، وعن سبيل السعادة وحقيقة الحياة، ومحاولا ايجاد حلول لمشاكل المجتمع، والصراع النفسي بين الدين ولا دين. وقد خرجت تلك المحاولات في البحث بنظريات وفلسفات كثيره، وتنقلت من فكر الى فكر ومن نظريه الى اخرى. بحثا عن حلول لمشاكله، وتبيان لمعرفة ماهيته. وقد ظهر فلاسفة ومفكرين كثر في هذا المجال.

وقد سمية انطلاقاتهم الفكرية تلك **بالحداثة**، وسمية تلك الفترة الزمنية **بعصر التنوير**، لما احدثته من ثورة في فكرهم التقليدي النمطي. وبما خاضه به من مخاضاه وبما انطلق منها من إطلاقات ولدة منها افكار ونظريات تصارع ازماتهم النفسية وتعارك مشاكلهم الاجتماعية والسياسية.

***ماهي الحداثة في الفكر الغربي وكيف تعامل الفكر الغربي غير المسلم مع الاحداث الحادثة الجديدة في حياته وكيف فسرها وكيف تعامل معها عقله الذي لا يعقل الاشياء إلا من خلال المقارنات المادية البحتة. كما تقول العرب " تعرف الاشياء بأضدادها" وهو لا يملك من الاضداد إلا مادياتها.***

**عصر الحداثة في العالم: -**

لقد كان العالم جميعا يعيش في ظلمات الأفكار والمعتقدات البائدة الضالة التي توارثها من الاباء , وكانوا على اثار ابائهم سنين الى أن جاءهم الهدى من رب العالمين من الانبياء والمرسلين , فارسل الله لكل امة رسول كريم بنور مبين , فعاشوا في ظله سنين ثم زاغوا عنه بأهوائهم , فطمسوه وأضاعوا تعاليمه بأهوائهم بمرور السنين ,فرثدوا مدبرين في ظلالهم القديم وقالوا ما قال عنهم القرءان الكريم "قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون " (160) , ثم جاءهم النور المبين من خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم, ليفتح لهم سبل الهدية وطريق العلم والنور , فارشدهم الى المعول والمطرقة التي تهدم اسوار الظلام ولتجري انهار النور في حياتهم , وليروا حقيقة وجودهم و مستقرهم ومأوهم . فقد أرشدهم الى نور القراءة والكتابة، فكانت اول آيات هذا الكتاب المنزل من رب العالمين. أن **"أقرأ"**، ليفتح لهم باب العلم والمعرفة وليرشد الانسانية الى طريق القراءة والكتابة والقلم، طريق العلم والمعرفة، لقد كان الامر بالقراءة من رب العالمين اذانا بنضوج العقل البشري لاستلام الرسالة الخاتمة والكاملة. ودلالة على أن الانسان أصبح ناضج العقل والفكر ليتلقى اخر رسالات ربه، وليستنير بها الى طريق الرشاد والفلاح في الدنيا والأخرة، وليعلم سبل العيش السعيد، وسبل الرقي في التعامل بين بني البشر وبما يحيط بهم من مخلوقات وكائنات، **وللوصول الى الهدف الأسمى الذي خلقوا من اجله،** وهو الاستخلاف في الارض وأعمارها بالخير. والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبادة رب العباد وحده، وأن لا عبودية لغيره، ليعيش الجميع احرار أمنيين لِعِلمِهِم ان لا قادر عليهم إلا رب العالمين.

لقد أشار العليم القدير في "اية القراءة" ان العلم هو من أفضل النعم التي أنعمها الله على الانسان، ولذلك وصف نفسه في تلك الآية "بالأكرم". فبالعلم عرف الإنسان ربه وخالقه وخالق السماوات والارض، وعلم سبب ومراد خلقهما، ومقصد وجوده على هذه الارض. لقد انبثق نور العلم في امة تجهل القراءة والكتابة، فأنار بصرها وبصيرتها نور كتاب الله. ثم انبثق هذا النور الى العالم جميعا، لتستنير به البشرية الى سبل الخير والرشاد السديد والعيش الرغيد.

لقد شع هذا النور في ديار الغرب عندما وصل المسلمون ارضهم وبنوا دولة الاندلس فنبثق نور العلم من هناك لينير عقول الغرب الذين كانوا يعيشون فترة الظلام الدامس من تاريخهم.

لقد امتدت القرون الوسطى المظلمة في تاريخ اوروبا من سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية التي كانت مسيطره على معظم انحاء القاره الأوربية تقريبا من سنة 476 ميلاديه على يد الجرمان والانجلو سكسون والقوط , ولغاية سنة 1453 ميلاديه عند سقوط الإمبراطورية الرومانية الشرقية الدولة البيزنطيين وعاصمتها القسطنطينية على يد مسلمي الدولة العثمانية .

يصف المؤرخ إدورد جيبون (1794- 1737) هذه الفترة الزمنية من تاريخ اوروبا أنها (ألف **سنه من الهمجية**). لقد عاشت اوروبا على العموم فترة ظلام دامس، ولقد اتسمت تلك الفترة باضمحلال العلوم وتراجع الثقافة وتدني طلب العلم وأصبحت العلوم تقوم على الخرافة، والمتوارثات الشعبية الأسطورية، فلا وجود لمدارس فكرية او علماء مفكرين. لقد سيطرة الكنيسة على الحياة في اوروبا تقريبا في منتصف القرن العاشر حتى أصبح البابا في روما أكثر ثراء من ملوك اوروبا، ولقد اتسمت تلك الفترة باضمحلال العلوم وتراجع الثقافة، فلم يجرء حكام اوروبا على العصيان او التمرد على اوامر البابا. فتعاظم دور الكنيسة , وعرضة صكوك الغفران على الرعية , ومن لم يستطع دفع قيمة الصكوك يدفع ضريبة الدم وهي القتال من اجل الصليب , وبهذا بدء التحضير للحروب الصليبية للسيطرة على بيت المقدس, والقضاء على الدولة الإسلامية في المشرق, لقد ذاق المسلمون من اهوال تلك الهمجية ومن تلك الجيوش الظلامية التي بعثت بها الكنيسة ,حتى اكلوا من لحوم البشر في معرة النعمان في سوريه حيث يصف احد الجنود الصليبيين , واسمه رودولف دي كاين , ما حدث بالقول " في معرة النعمان, اقدم جنودنا على غلي الوثنيين (يعني المسلمين) في القدور وحولنا لحوم الاطفال الى اسياخ لالتهامها مشويه) وقد قدر عدد الذين قتلوا او اكلوا ب 20 الف من المسلمين من تلك البلدة .

"لوبوان" (Le Point) الفرنسية يطلعنا الكاتبان فريديريك لوينو وجويندولين دوس سانتوس

وفي الجانب الاخر يصف لنا التاريخ الاسلامي والغربي معا كيف كانت اخلاق القائد المسلم صلاح الدين الايوبي سنة 1187عند ما طرد الصلبيين واخرجهم من بيت المقدس، حيث انه كان في قمة التسامح والعفو عند المقدرة، وهذا ما شهد له به اعداءه.

ثم مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي، شهدت اوروبا بداية الانفلات من سطوة الكنيسة، فبدئت تتحرر الافكار والعلوم من اغلال الحكم الكنيسي الذي كان يحارب العلم والعلماء من خلال محاكم التفتيش، التي حاربت كل ما هو جديد من علم او اكتشاف , وكانت تعتبره ضروب من عمل الشيطان وأساليب السحرة , فكان عقابهم الموت الشنيع من قتل ونشر وحرق وجلوس على خوازيق حتى الموت .

على الجانب الاخر كان العالم الاسلامي يعيش عصره الذهبي من العلم والحضارة والتطور والرقي في كل مجالات الحياة، لقد كانت الفترة الزمنية الممتدة من منتصف القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر ميلادي، الفترة التي حمل العرب وحدهم مشعل النور والحضارة للعالم اجمع.

لقد أسعف الحظ اوروبا وشعوبها عندما دخل المسلمين ارض اوروبا اسبانيا وصقليه وإيطاليا وبعض مناطق فرنسا وأنشأوا دولة الاندلس هناك. لقد اجمع المفكرين الاوربيين على ان وجود دولة الاندلس في اوروبا كان له الدور الكبير والاساسي في رسم ملامح الانجازات الحضارية التي تركها العرب المسلمون لشعوب اوروبا التي كانت تسبح في الظلام، وتعاني من التأخر والفوضى والمرض، مثل الطاعون وغيره الذي قتل ثلث سكان اوروبا في بداية القرن الثالث عشر.

ويذكر «آماري» في كتابه «المسلمون في صقلية» فيقول: «إنّ من غٌلبوا على أمرهم من سكان الجزيرة كانوا في راحة وسرور على عهد الأمراء العرب المسلمين، وكانت حالتهم أحسن بكثير من حالة إخوانهم الإيطاليين الذين كانوا يرزحون تحت نير الجرمانيين والفرنجة) .

# أما المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون (ت 1352هـ/1931م) فيبين لنا عمق التسامح في ‘حضارة العرب‘- فيقول "استطاع العرب أن يحولوا إسبانيا ماديا وثقافيا في بضعة قرون، وأن يجعلوها على رأس جميع الممالك الأوروبية، ولم يقتصر تحويل العرب لإسبانيا على هذين الأمرين؛ بل أثَّروا في أخلاق الناس أيضا، فهم الذين علَّموا الشعوب النصرانية -وإن شئت فقل حاولوا أن يُعلِّموها- التسامحَ الذي هو أثمن صفات الإنسان، وبلغ حِلْم عرب إسبانيا نحو الأهلين المغلوبين مبلغا إذ كانوا يسمحون لأساقفتهم أن يَعْقدوا مؤتمراتهم الدينية، كمؤتمر إشبيلية النصراني الذي عُقد في سنة 165هـ/782م ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عُقِد في سنة 237هـ/851م، وتُعد كنائس النصارى الكثيرة التي بَنَوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم ". (161) .

ويصف لنا القس الاندلسي ألفارو/ألبارو , المتوفي سنة 240 ه - -854م , الوضع الذي كان عليه الغربيين في بلاد الاندلس فيقول متحسرا على هجران المسيحيين دينهم وتعاليمهم والإقبال بشغف على الثقافة العربية : إذ يقول

"**إن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم، ويُقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين، لا ليردّوا عليها وينقضوها وإنما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوبا عربيا جميلاً صحيحا!! وأين تجد الآن واحداً -مِن غير رجال الدين- يقرأ الشروح اللاتينية التي كُتبت على الأناجيل المقدسة؟! ومَن -سوى رجال الدين- يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والرُّسُل؟ يا للحسرة"**

**لقد أعجب الغرب كل الاعجاب بالحضارة التي جاء بها العرب المسلمين الى بلادهم**، فتسابقوا لتعلمها حتى نبغ العديد من كُتّابهم وعلمائهم بل وأمرائهم، وتولى بعضهم أعلى المراتب والمناصب في الدولة الإسلامية بالأندلس. (161)

وقد أدى هذا التسامح إلى ظهور طبقة جديدة في المجتمع الأندلسي كانت ناتجة من الزواج بين السكان الأصليين والمسلمين سُمِّيت "الموَّلَّدين". وفي وقت لاحق؛ ظهرت طبقة "المستعربين" وهم المسيحيون الذين عاشوا بين المسلمين فصاروا يتحدثون العربية مع حفاظهم على دينهم المسيحي، وقد أحسن المسلمون معاملتهم بمقتضى عهود الصلح المبرمة معهم عند فتح البلاد سنة 92هـ/711م، فحافظوا لهم على وجودهم وكنائسهم وممتلكاتهم والتحاكم إلى قوانينهم، أو ما يعبّر عنه ابن خلدون -في ‘المقدمة‘- بـ "سائر أحوال الملة الدينية والدنيوية"، فكان من آثار ذلك اعتناق العديد من اليهود والمسيحيين الإسلام طواعية.

وقد دفع ذلك الإعجابُ بثقافة الغالب الشعوبَ غير المسلمة المنتمية للجغرافيا الإسلامية إلى الإقبال على تعلمها، فكان ممن تعلمها آنئذٍ -إلى جانب الوزراء والأدباء والفلاسفة- ملوك مسيحيون وقساوسةٌ وحاخامات. ومن أبرز الملوك المسيحيين الذين تأثروا باللغة والثقافة العربيتين الملك الفونسوا العاشر المعروف ب "الحكيم" (683ه -1284م) حيث الف اعمال لاتينيه تبدوا فيها مؤثرات عربيه في اسلوبه واضحة للعيان .

وقد ازدهرت في عهد هذا الملك -كما يقول بالنثيا- حركة الترجمة من العربية إلى الإسبانية، حين أمر بترجمة كتب العلوم والتراث العربي الإسلامي -في الآداب والفيزياء والفلك- إلى الإسبانية واللاتينية. وكان من تلك المترجمات "الصحيفة الزرقالية " للفلكي والجغرافي الأندلسي البارز أبي إسحق الزرقالي (ت 480هـ/1087م)، الذي كان لمؤلفاته أعظم الأثر على النهضة العلمية في أوروبا؛ حسب لويس تيوفيلوجيل كوادرادو في دراسته ‘التأثير الإسلامي في الثقافة الإسبانية المسيحية في العصور الوسطى. (161) .

وقال المفكر (راندل) عن تلك الفترة الزمنية لقد: «أنقذ العرب من العالم شيئاً كان أرسطو على رغم من عبقرياته عاجزاً كل العجز عنه، وهو العلم الرياضي. وأخذ العرب من العالم اليوناني المعرفة الرياضية والطبية التي احتقرها الرومان ونبذها المسيحيّون، وراحوا يعملون بصبر وجهد في ذلك الطريق الذي ازدراه الإغريق في أوج عظمتهم، وبنوا في القرن العاشر في إسبانيا حضارة لم يكن العلم منها مجرد براعة فحسب، بل كان علماً يخدم الفنون والصناعات الضرورية للحياة العلمية) (162) .

لقد قام العرب المسلمين في الاندلس في نقل العلوم من مختلف الفنون كالعمارة والطب والصيدلة والزراعة والموسيقة والتكنولوجيا , من القرن الحادي عشر الى القرن الثالث عشر , ولقد نهلت اوروبا المعرفة من الحضارة الإسلامية بكل انواعها , وكانت الاندلس وجنوب ايطاليا أكثر المناطق انتاجا في نقل العلوم , لقد ترجم العلماء العديد من النصوص العلمية والفلسفية من العربية الى اللاتينية , وقد ترجم جيراردو الكريموني وحده 87 كتابا من العربية الى اللاتينية , منها المجسطي , وكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة للخوارزمي , وكتاب الهيئة في اصلاح المجسطي لجابر ابن افلح , والبصريات للكندي , وكتاب جوامع علم النجوم والحركات السماوية للفرغاني وتصنيف العلوم للفارابي , وأعمال الخيمياء والكيمياء والطب والصيدلة للرازي واعمال ثابت بن قره وحنين ابن اسحاق والزرقاني وبني موسى وشجاع بن اسلم والزهراوي وابن الهيثم .والكلاسيكيات وبالأخص اعمال الفيلسوف الاغريقي أرسطو .

ومن اعظم الامور التي جعلت اوروبا تستيقظ من سباتها وتطرد الظلام وينتشر فيها نور العلم هو ,انها تعلمت صناعة الورق من العرب المسلمون في الاندلس , فكانت لصناعة الورق في اوروبا الدور الكبير في انتشار العلم والتعلم , وصدق الله حين قال "اقرأ وربك الاكرم الذي **علم بالقلم"** .

وقد انتقل علم الكيمياء الى اوروبا عن طريق العالم العربي جابر ابن حيان عن كتاب الكيمياء ,وهو المرجع الاساسي في علم الكيمياء للعلماء الاوربيين , الذي ترجم بعنوان تركيب الكيمياء , وقد ترجمه روبرت من شيستر عام 1144, وكتاب الرسائل السبعين الذي ترجمه جيراردو الكريموني قبل عام 1187 .وأما علم الفلك والرياضيات فنجد ترجمة أعمال الخوارزمي كانت هي الاساس في علم الرياضيات والفلك في اوروبا كما اعترف بذلك الاستاذ الجامعي فيكتور كاتز حيث قال ( معظم الاعمال الاولى في الجبر في اوروبا , قد اعتمدت في الاساس على الترجمات لأعمال الخوارزمي والعلماء المسلمين الاخرين . كما انه كان هناك إقرار بأن معظم علمي حساب المثلثات المستوي والكروي ينسبان الى العلماء المسلمين).

لقد كانت ترجمة كتاب القانون في الطب لآبن سينا أعظم أعمال الترجمة لكتب الطب ، والذي ترجم إلى اللاتينية، ثم طبع وانتشر في أوروبا. ظل هذا الكتاب المرجع الأساسي في الطب في أوروبا حتى بداية العصر الحديث، وخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر وحدهما طبع الكتاب أكثر من 35 مرة. وكذلك كتاب الحاوي في الطب للرازي , و كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي وهو موسوعة طبيه اشتهرت بسبب قسم الجراحة بها, الذي وصف رسوم اكثر من مائتي جهاز جراحي , وقد ترجمه جيراردو الكريموني , وظل يستخدم في كليات الطب الأوربية لقرون وظلوا يصدرون منه الطبعات حتى عام 1770م .

وفي مجال **الفيزياء**: كان كتاب ابن الهيثم المناظر من اهم الاعمال التي ترجمت في علم الفيزياء فقد فند نظرية كلاوديوس بطليموس التي كانت تقول ان الضوء ينبعث من العين , بينما اصر ابن الهيثم على ان أشعة الضوء هي التي تدخل الى العين .ولهذا يعد كتاب المناظر نقطة انطلاقه مهمه في تاريخ المنهج العلمي وتاريخ علم البصريات .

وكذلك ترجمة أعمال إسلامية أخرى إلى اللاتينية خلال العصور الوسطى ومنها أعمال أبو بكر الرازي وابن سينا , ومنها كتاب الشفاء والقانون في الطب واعمال ابن الرشد , وكتاب حركة الكواكب للبطروجي وموسوعة ابن المجوسي الطبية كامل الصناعة الطبية الضرورية , وكتاب المدخل الكبير الى علم احكام النجوم لآبي معشر البلخي وكتاب الوصاية بالجبر والمقابلة لآبي كامل شجاع ابن اسلم وكتاب خصائص العناصر وهو عمل جيولوجي عربي نسب عن طريق الخطء الى ارسطو ومع بداية القرن الثالث عشر ,و كذلك قد ترجم مارك الطليطلي القرءان الكريم , والعديد من الاعمال الطبية .

وفي الجانب المعماري على سبيل المثال نشاهد التأثير المعماري الاسلامي الى يومنا هذا في باريس عاصمة فرنسا، كيف ان الطابع المعماري الذي يسميه الفرنسيين "بالعمارة العثماني"، والذي يحافظون عليه الفرنسيين ويبجلونه . فقد بنى المهندس المعماري الذي بنى باريس الحديثة على طراز المعمار العثماني، الذي لا يزالون يحافظ عليه الفرنسيين الى يومنا هذا.

وأما في جانب الفكري والفلسفي والسياسي، فقد اخذ الغرب من فلاسفة العرب المسلمين اول اشعاعات نهضتهم , وانطلاقتهم في مشروع الحداثة . لقد كانت مدرسة ابن سينا الفلسفية في تفسيرها للمعتقدات مثل طبيعة الروح والاختلاف بين الوجود والجوهر، ومناظراته وانتقاداته لبعض اعمال ارسطو , قد حظت باهتمام شديد من اتباع المدرسة الأوربية . وكذلك ابن الرشد كان له مدرسه فلسفيه اخرى , جعلته احد اكثر الفلاسفة المسلمين تأثيرا في الغرب خلال العصور الوسطى , وقد اتفق جانتي أليغييري مع رؤية ابن الرشد في نظريه علمانية الدولة في كتابه " ديمونارجيا " ,كما وضع ابن الرشد مفهوم " الوجود يسبق الجوهر " يقول روبرت باسناوى في كتابه الإنسانية 2011 في الجزء 32 " إ ن ما حصل في العصور الوسطى في الغرب , هو ان الباحثون في العلوم والفلسفة قد وجدوا في فلسفة ابن الرشد العامل المؤثر في فلاسفة وعلماء الغرب " ويقول في القرن الثالث عشر ان الفلاسفة اصبحوا أرستقراطيين وكان الدليل الكبير لذلك هو ابن الرشد الذي كان يطلق عليه الدليل "**كومنتيتور"** .كما كان لابي حامد الغزالي تأثير هام في فلاسفة العصور الوسطى للمسيحيين والمفكرين اليهود" ,كما تقول الباحثة مارغريت

"ليس هناك شك أن أعمال الغزالي كانت تجذب للغاية اهتمام هؤلاء العلماء الأوروبيين" وأكثر هؤلاء الكتاب المسيحين الذين تأثروا بالغزالي كان توماس الآكويني (1274- 1225) . (164) .

**عصر الحداثة في اوروبا: -**

الحداثة: أن اول من ارسى فكرة او مشروع الحداثة في المفهوم الغربي هو الفيلسوف الغربي ديكارت , وقد انطلق هيغل في مشروع الحداثة من مقولته الشهيرة ( انا افكر اذا فأنا موجود ) إن هذه العبارة تدل على ان الفكر هو مفتاح عالم الوجود والموجودات فلا سبيل لآدرك الانسان وجوده ومعرفه ما حوله إلا بالفكر والتفكر والتدبر , الذي حاربته الكنيسة قرون طويلة وارادت اعدامه . ثم جاء القرءان الكريم ليحث الانسان على التفكر والتدبر فيما حوله ليحرره من قيود الظلام وعتمتها.

لقد بدء مشروع الحداثة الأوربية بالتأكيد على الذات الإنسانية، والثقة في قدرتها على انتاج الحقيقة او الوصول اليها، وتفسير الكون، ووضع نظم الحياة. وقد بدأ ذلك التفكير مع بداية عصر النهضة الأوربية والثورة الصناعية. حيث كان التأكيد على الذات في سياق نقد ثقافة القرون الوسطى، والتي امتدت الى نحو عشرة قرون. لقد كانت ثقافة تلك الفترة تنطلق تبعا للتفسير الكنسي للمذهب الأرسطولي، إذ يعتقد هذ المذهب أنه ليس هناك هوية مستقلة للطبيعة أو لمكان الإنسان في العالم الطبيعي، لأن التراتبية الجامدة للموجودات أحالتها كلها إلى المطلق، بصورته المسيحية الأوروبية، التي كانت تحتقر العقل وتكبل انطلاق الفكر، وكانت تقيم المحارق على كل مبتدع ومبتكر.

لقد فككت تجربة الحداثة الأوروبية أواصر المجتمع الأوروبي الغربي التقليدي، (والذي كان كجمعيه تفرض التجانس بالقوة وتنكر خصوصية الفرد)، بينما جاءت الحداثة لتحرر الفرد من تلك الجمعية الكئيبة وتمنحه هوية بلا حدود، سواء على صعيد العقل والتفسير، في مواجهة الدين، أو على صعيد الممارسة الاجتماعية بجوانبها السياسية والاقتصادية والأخلاقية.

لقد سمحت الحداثة للأفراد بالتمايز وفقا أدائهم وإنجازاتهم وتحصيلهم، والخبرات التي يمتلكونها، وأعطت للجميع الحقوق المتساوية في المجتمع.

وبعد ان نهل الغرب العلم من العالم الاسلامي وقام بثورته على الكنيسة وتحرر عقله من سيطرة وخرافات الكنيسة، وأصبح العقل يعمل في حياة الإنسان الاوربي بعد ان كان في حالة سبات. فبدء تطور الغرب وقام بالثورة الصناعية الكبرى. وازدهرت حياته المادي، بانتعاش الصناعة والزراعة والماكنة الإنتاجية، إلا ان تلك الثورة الصناعية المادية لم تسعف الروح وتنقذها من الظلام الذي كانت فيه او تضيئ لها شمعه، بل زادته ظلمة على ظلمته، لأن الغرب في تلك الفترة تعلق بالمادية فقط، وجعله يقدس العقل ويفرده في الحكم, وأبتعد عن المكنون الروحي , فازداد عطش الفطرة الى ماء الحقيقة ,ولم تجد الروح ما يسكن خلجات النفس المتعطشة لمعرفة حقيقة حياتها وسر وجودها . لقد عجز العقل عن تلبية متطلبات الروح والنفس البشرية، مما جعل الإنسان الغربي يثور مرة أخرى على العقل الذي عجز عن اسعاده.

ففي القرن الثامن عشر بدء **مشروع نقد العقل** ذاته، وقدراته على فك الرموز والمشاهدات والتطلعات والمعضلات النفسية.

لقد كان مشروع نقد العقل، هو أول محاولة جادة لدراسة آلية التفكير البشري من منظور تعيين حدود قدرته.

لقد تبين للأوربيين في القرن التاسع عشر، المأزق في النموذج المعتقِد بأن العقل وحده يستطيع ان يوصل الانسان الى الملاذ والهدف المنشود، والذي كانت تبشر به كل الكتابات التنظيرية والتقريظية التي زامنت بداية الثورة الصناعية. ومن ابرز من تكلم واكتشف ذلك المأزق وانتقده هما الفليسوفان برودون وماركس .

لقد تبين لمفكري وفلاسفة نهاية القرن التاسع عشر ان الحداثة قد اوقعت نفسها في مأزق عندما اسقطت المرجعيات الدينية واقامة العقل على انه هو المرجع الاحادي على الحقيقة الفلسفية والمنظر للنظم السياسية، لقد فشل العقل في تحقيق كل مطالب الانسان، لقد عجز عن ان يمده بالمعاني المعرفية للأشياء وحقيقتها. كما أعترف بذلك العالم باسكال عندما أعلن عن عجز العقل فقال "ان محاولة تفسير كل شيء منطقيا وعلميا ما تزال هي الاخرى حلما بعيد المنال فالعلم لا ينفع عند نزول المصيبة " وبذلك صار هناك مراجعه شامله للأسس الابستولوجيه التي قامت عليها فلسفة الحداثة. (110).

لقد كان المشروع الحداثي من حيث الأساس إعلاء من شأن الذات الإنسانية وقدراتها العقلية، لكن فترة **ما بعد الحداثة**، كانت ضربة موجهة لذلك الاعتقاد وذلك الأساس، وتفكيكا له، أي نقض العقل ونفي الذات.

**ما بعد الحداثة: -**

إن تجربة الحداثة الأوربية التي اعطت الثقة الكاملة للعقل على المعرفة والإحاطة بالعلم الطبيعي، وأصدرا الاحكام على القضايا، والمفارقات، والمعضلات المعرفية، والاجتماعية. لقد أمَنت الحداثة الايمان المطلق بالعلم كمنهج للمعرفة. مما اوصل الانسان الى إهمال الحاجات الروحية والمعتقدات الدينية والثقافية. إن هذا التعلق بالتقدم التقني لوحده اعطى القيادة والتوجه للثورات التكنولوجية، مما دفع بالعالم الغربي الى التوحش، وساهم في تعميق اختلال الانسجام المجتمعي بين الناس، وأدى الى التمايز الطبقي والمعرفي، والتفاضل والتمايز في القوه والقدر والهيمنة على الأساس المادي الصرف، والبعيد عن اي مبادئ إنسانيه او اختلاقيه , وجعل من يملك القوى المادية هو الافضل على الغير حتى ولو كان منحط اخلاقيا شاذا سلوكيا مجرما دمويا.

إن الثقة الكاملة للعقل على المعرفة، اوقع الانسان في خلل معرفي ناقص، مما ادى الى خلل في السلوك والادراك لمنظومة الاخلاق، التي صارت تنطلق من منظور مادي بحت. فبما أن مصادر التلقي للعقل المعرفية هي من الحواس المادية , فصار الحكم على كل شيء من خلال المادة , وصارت مرجعية كل تصرفات الانسان تنطلق وتعتمد على الآمور المادية, فصارة المادة هي الحكم والحاكم في حياة الانسان , وصار من يمتلك المال والقوة يحكم ويتحكم بالمنظومة الأخلاقية , فهو الذي يحدد معايرها واتجاهاتها , وهو الذي يصدر احكامه عليها , ويقرر حسب مفهومه المادي الفارغ من اي قيمه روحيه او عقائدية , فهو وحده الذي يستطيع ان يقرر ما هو الصحيح وما هو الخطء , وما هو الجميل من الاخلاق وما هو القبيح منها , وما هو المقبول وما هو غير المقبول والمحرم , فالقوي هو الذي يعطي للأخلاق مسمياتها , فهو الذي يحدد الظالم من المظلوم , والحق من الباطل , فهو الذي يصحح الصحيح من الخطء , وهو الذي يحدد للأفعال صحيحها وتقبيحها , من منظوره المادي فقط . فصار كل ما يوافق هواه ومطامعه ومصالحه المادية البحتة هو حق وصحيح وجميل، وكل ما يخالف طبعه وميوله وشهواته ومصالحه المادية فهو قبيح وخطأ وغير اخلاقي. وذلك لآن العقل انقطع عن التواصل مع الضمير والحس الإنساني، فتجرد عن الطبائع والاخلاق الإنسانية، وانطفئ النور القادم من الضمير الإنساني، فتفرد العقل المشبع بالأهواء والنزوات في الحكم، وغلبت الشهوة والدافع الاناني والكبرياء على تصرفات وأحكام ذلك الانسان. وانتفخ غرورا وكبرياء باعتقاده أن من يمتلك المال والقوى يمتلك عقلا راجحا وذهنا ثاقبا قادر على التقييم الاخلاقي، وأن على الاخرين السمع والطاعة.

وبذلك صارة الهيمنة المادية اداة للهيمنة الفكرية والأخلاقية. ومن هذا المنطلق نشأ التباعد الفكري، مما نتج عنه النظرة الدونية للأمم التي لا تمتلك المال والقوى، واحتقار فكرها ومعتقدها وثقافتها وتطلعاتها، واعتبروها في سلم الأدنى في الإنسانية.

فهم لا يعترفون بشيء اسمه احاسيس انسانيه وروحيه تنير العقل بمعارف ضميريه، او مبادئ اجتماعيه وأخلاقية غير التي فرزها عقولهم المنقطع عنها نور البصيرة، والمسجونة في قيود شهواتهم.

لقد سُجن العقل في قلعة مليئة بالشهوات والنزوات لا يدخل إليه نور البصيرة، واحتفلوا وفرحوا بذبح الضمير الإنساني وقدموه قربانا للعقل الذي ملك قلوبهم وسيطر على تصرفاتهم وأحكامهم. مما جعلهم يعيشوا في ظلمه موحشة للقلب والروح، المسجونان والمأسوران بقيود العقل الدكتاتور. وبهذا صار الانسان الغربي في تلك الفترة يعيش في فراغ روحي كبير واختناق فكري، أربك حياته، ونغص عليه متعته من المنتوج العقلي المادي. مما ادى الى ظهور ثوره فكريه هوجاء حمقاء غاضبه على تسلط العقل على كل مناهج الحياة , فهدموا معبد العقل وأزاحوا التاج عن رأسه , غير أنهم لم يبنوا لهم ملتجئ او مرتكزا فكريا يرجعوا اليه, لقد كانت ثورتهم ثورة غاضب متمرد , هرب من قلعة العقل الى غابات مظلمه لا يصلها نور القلب والبصيرة , فعاشوا في ضلالة اضل وأعتم , فبدل من ان يوصلوا العقل بنور البصيرة ويفتحوا له ابواب الفطرة الإنسانية لينير بصيرتهم , و يدعم العقل بالإحساس القلبي والوجدان الروحي , ولكنهم قاموا بهدم معبد العقل ولم يبنوا معبد اخر او ملجئ اخر يلجئ اليه الانسان .

وهذا ما فعله طبيب النفس النمساوي اليهودي سيغموند فرويد الذي أفرغ الجهاز النفسي للكائن الانساني من كل شيء وجعله فقط خاضعا للاشتراطات "الهو" ومحكوماً بمحددات لاشعورية.

مما دفع سيغموند فرويد للاعتقاد أن **المفاهيم الديكارتية** التي نهض عليها **مشروع الحداثة** مفاهيم عن مكونات مهزوزة هامشية في الوجود الإنساني، واعتقد أن الشعور والعقل والإرادة ليست سوى ألفاظ زائفة تحمل تصورات ودلالات غير مطابقة لحقيقة الذات البشرية.

وقد خلص التحليل النفسي لفرويد إلى نفي الحرية والإرادة عن الكائن الإنساني، وأحالته إلى كائن مسير بفعل اللاشعور ودوافع "الهو" الغريزية. اي ان الإنسان منساق الى اهوائه وغرائزه، وأنها هي التي تحدد شخصيته.

غير أن فرانكفورت والمدرسة التابعة له لم تسقط الفكرة العلمية وإنما حاولت تعزيزها.

إن هذا الانفصام الذي أحدثته تجربة الحداثة الأوروبية بين مبدئية القيم من النبع الإنساني وبين العلمية المعرفية المادية، أدى إلى تحول العلم إلى أداة طيعة في يد كل الأغراض والنزوات والاندفاعات الأنانية، الضيقة المنظور، بما فيها الأغراض الشريرة والتدميرية.

وينبه منظرو مدرسة فرانكفورت إلى حقيقة التحالف الوثيق بين المؤسسة العلمية "العقلانية" والمؤسسة العسكرية والحزب النازي في ألمانيا، وما أدى إليه هذا التحالف من دمار مادي وأخلاقي للبشرية في سياق الحرب العالمية الثانية, وكذلك ما ادى اليه ذلك التحالف الاعمى الغير اخلاقي في الولايات المتحدة الأمريكية من إلقاء القنابل النووية على هورشيما ونكزاكي في اليابان , ولازال ذلك التحالف يعمل من غير اي مرجع اخلاقي او اي قيم انسانيه الى يومنا هذا **بين المؤسسة العلمية والدول الإمبريالية الكبرى** التي تطمع في السيطرة والهيمنة على مقدرات الاخرين وأخرها ما يحصل الان في فلسطين من ظلم جائر وقتل وتقتيل في الأطفال والنساء والمدنيين العزل الذين لا ذنب لهم ولا حول لهم ولا قوة, وهي تهدم عليهم بيوتهم ومدارسهم ومستشفياتهم بطريقة فظيعة وشنيعة لا تقبل ولا ترضى بها حتى ضمائر الحيوانات والبهائم, وذلك لإخراجهم من ارضهم وتشريدهم في الأرض في خيم وفي الملاجئ . إن عمل كهذا لا يقوم به إلا الإنسان الذي أمات ضميره، فلا يفكر إلا من خلال نزواته وشهواته المندفعة من المصالح المادية الصرفة، والتي تجعله لا ينظر إلا الى ما يظن ان فيه مصلحه ماديه قريبه يدغدغ ويزعزع لمعانها شيطانه وكبريائه وجحوده في حق أخيه الإنسان.

لقد وجهة هذه القوى الإمبريالية، المؤسسات العلمية الى الصناعات المدمرة والقاتلة، والفتاكة للحرث والنسل بلا حدود او انضباط اخلاقي.

إن فساد العقلانية الحداثية حولها إلى **عقلانية ذرائعية** لا ترى إلا أغراضها والأهداف التي تخدمها، فساقت العلم في نفس الاتجاه، فأصبحت الغاية تبرر الوسيلة من غير أي ضابط اخلاقي, فليس هناك اخلاقيات او مرجعيه تحكم وتوجه العمل , فكل الوسائل والطرق مسموح بها من اجل الوصول الى الغاية المنشودة , فليس هناك محرمات اختلاقيه او التزامات مبدئية او انسانيه تمنع من سلوك اي طريق مهما كان .

وهذا هو ما دفع منظرو مدرسة فرانكفورت إلى عقلانية أرقى وأعلى من العقلانية الذرائعية.

فمدارس **لما بعد الحداثة** تسعى لتطوير أفكار مدرسة فرانكفورت حول الحاجة إلى عقلانية أرقى وأخلاقية وإنسانية. وهناك مدارس أخرى تنظر للعقل ونتائجه المعرفية على أنها نسبية. وتدعو إلى إحياء المناهج الأخرى للمعرفة، بما في ذلك المناهج غير العلمية مثل التأويلية والظاهراتية وغيرها.

**أما الاتجاه الرئيسي بين مدارس ما بعد الحداثة فإنه يكتفي بإحلال نظرة لا إرادية محل الأصولية العلمية**، وخاصة في صيغتها الوضعية. ويركز هذا الاتجاه على مفهوم عدم التأكد وعدم - التعيين المعرفي. فهو يعتقد أن نتائج العلم ذات طابع تأثيري وليست حقائق مطلقة. وأن العلم هو مسعى لإضفاء النظام على فوضى الظواهر. وأن هذه الفوضى تنشأ عن خصوصية الظواهر وعقم البحث عن قوانين جامعة أو تكرارية نمطية تصدق عليها فرضيات عامة أو قوانين جوهرية.

إن هذا واقع حقيقي عندما يتيه الإنسان في البحث عن قوانين وضعيه ناتجه من تفكيره المحدود والمحكوم بالتأثيرات المحيطية والنزوات النفسية والتأثيرات المصلحية الضيقة, ولهذا نرى التغيرات المستمرة في القوانين والنظم وفي تشريعاتنا, وكل هذا نتيجة مما يطرأ علينا كل يوم من جديد الاحداث والوقائع والمعارف , هذا طبيعي عند كل انسان لإنه يتعلم كل يوم شيء جديد في حياته فخبرته ومعارفه يستقيها مما حوله, فكل انسان محدود ومحكوم بمحيطه وبنزواته وبمقدار معرفته, وكل أولئك متغيرات ومتبدلات مع مرور الزمن والاحداث, ولهذا فهو يغير احكامه على الأشياء والأمور وتتغير نظرته وتفكيره تجهها . ولهذا شرع لنا العليم القدير خالقنا قوانين وشرائع تحكمنا انزلها في على رسله، وموازين وضعها في فطرتنا لتنار بها بصيرتنا لنميز ونحكم بها بين الحق والباطل ونتبين بها الخطء من الصواب.

إن هذا التخبط ناتج عن ابتعاد الإنسان عن الدين, واعتقاده بأنه لا جذور له في هذا الخلق إلا الصدفة التي اوجدته فهو يحاول أن يتخبط بما يلامسه عسى الصدفة أن توقعه على مبتغاه, إن الابتعاد عن الدين وعن الشرائع والاخلاق الدينية , وعن حقيقة مكنون المعرفة الإنسانية أوقع الإنسان في متهات القوانين الوضعية , فعمى عن رؤية حقيقة الاشياء وما حولهم من الظواهر, فعجزة عقولهم أن ترى صورة حقيقة الظواهر من غير نور البصيرة , فلم يروا فيها إلا فوضى , لإنهم عجزوا من أن يصلوا الى كنه وسر وجودها وحقيقة موقعها وأعرابها في هذا الوجود , فلم تستطيع عقولهم أن تربط بين تلك الظواهر, او تأولها الى حقيقتها , لتنسج منها بساط الحياة , لتريهم فيها صورة نسيج الحياة الحقيقية .

فالمسعى العقلي هو محاولة ضبط وتنظيم الامور المادية المحيطة بالإنسان والعمل على ضبطها والاستفادة منها والسيطرة عليها , وهذه هو مجال وقدرة العلم العقلي , اما المعارف الذوقية والحسيه لحقيقة الاشياء والظواهر فإن منشأها الإحساس القلبي والذوق الانساني الفطري الذي ينميه ويرشده الهدي الالهي المرسل عن طريق رسل الله .( فمثلا القاضي الذي يحكم بقانون العقل المطلق وينظر الى القضية فقط من ملابساتها الظاهرية يصبح حكمه وكأنه كومبيوتر أو أله حاسبه , لا ينطر في ملابسات القضية من الناحية الحسيه والإنسانية والنفسية للمدعي او للمدعة عليه, ليرى ابعادها ودوافعها, فقط ينطلق حكمه من الوقائع المادية الظاهرية , فالأحاسيس ليس من عمل العقل , ولذا لا تدخل في حسابات الحكم في القانون العقلي الصرف , فالقاضي في المحاكم الامريكية ه يجلس على مكتبه وبيده ألة حاسبه يحسب بها عدد الجنح ليصدر الحكم من غير النظر في الملابسات الاخرى للقضية ,او المتعلقات الأخلاقية والمجتمعية التي قد تنشء عن ذلك الحكم , فالعملية عقلية بحته وحسابيه ليس فيها التقدير الظرفي والحالات النفسية والحسيه.

إن في ابتعاد الانسان عن الهدي الالهي، غيب عنه المعارف الحقيقية لخفايا النفس والروح ومتطلباتها، فأصبح في صراع مع نفسه لأنه عاجز عن تلبية رغباتها.

فالصراع الفكري والنفسي في الغرب في عصر ما بعد الحداثة، دفع الكثير منهم للرجوع الى الدين والتدين ليملئوا الفراغ والعطش الروحي. غير أنهم لم يجدوا في الدين الذي ورثوه من الأجداد ما يروي عطش الروح، ويجيب النفس على تساؤلاتها ويسكن حيرتها، لإن الدين الذي ورِثوه، قد أُفرغ من محتواه الروحي واصابه عفن المادية والنزوات النفسية فغيرت جوهره، فلم يعد يستطيع أن يروي نفوسهم العطشى من ماء الحقيقة التي تبحث عنها. ولم يستطع أن يملئ الفراغ الروحي والعطش المعرفي للحقيقة التي تؤرق الروح، والتي لا تهدأ إلا عندما تشعر بالدفيء المؤنس للقلب، وبالسكون والتلاؤم والانسجام مع فطرتها التي فطرها الله عليها. فالإنسان بفطرته لا يستأنس ويرتاح إلا إذا ما انسجم داخله مع ما يحيط به من مخلوقات الله، والتي هي في حالة تسليم لخالقها تسجد وتسبح لله بفطرتها، فكيف يكون للإنسان السيد على ما حوله من المخلوقات المسبحة لله أن يسودها وهو على غير ما هي عليه من التسليم والسجود. فالإنسان سوف يبقى في هذا صراع الى أن يجد او يعرف سبب لحقيقة وجوده في هذا الكون ومكانه فيه. فلا راحة للإنسان إلا إذا عرف مستقرة ومستودعه، وحقيقة امره وخلقه، فكيف للإنسان أن يعيش غريبا عن محيطه؟ غير منسجما ومتناسق معه، إنه سجن انفرادي خانق وقاتل.

وقد خاض علماء وفلاسفة الغرب في هذا الفراغ الروحي، وبحثوا عن الشيء الذي يملئ ذلك الفراغ، ولكنهم بحثوا عن الشيء في غير موضعه، فلم يجدوا في وعاء عقولهم التي انطفأت عنها نور البصيرة ما يروي عطش بحثهم، فدخلوا في متاهات الهلوسة والضياع. وهذا ما وجدناه في نظريات واستنتاجات واستنباطات وأراء فلاسفة ومفكري وعلماء عصر ما بعد الحداثة.

**تخبط نظريات علماء ما بعد الحداثة: -**

**إن من أبرز تخبطات فكر ما بعد الحداثة هو في التغييب والنفي للكائن الانساني،** وهي محاولة إخفاء هذا الكائن وتذويبه في بنيات شارطه ومتحكمة فيه، سواء كانت بنيات نفسية أو اقتصادية. وهو مؤشر على تحول فلسفي عام هيمن على المنظومة الثقافية الغربية بكل تعبيراتها " كما يعتقد الاستاذ الطيب بوعز. ومن تلك النظريات التي حاولت تغييب إنسانية الانسان، النظرية الماركسية، والتي جعلت العامل الاقتصادي عاملا محددا وموجها، والتي شرطت السلوك الإنساني وتفكيره بشروط خارجة عنه.

وفي هذا السياق يقول ألتوسير محددا التاريخ بكونه "عملية بدون ذات"، أي ثمة بنية من الشروط والمحددات المادية هي التي تتحكم في توجيه حركة التاريخ وتعيين اتجاهه، وهي بنية خارجة عن إرادة الإنسان.

إن هذا الفكري المادي الجاف الذي يسلب الحياة الإنسان من سيرة تاريخها. والذي هو اثار سير حركة الإنسان وتسجيل لفكره ومعتقده وسيرته، يقول تعالى (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وأثارهم وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) يس12 , إن تاريخ الانسان هو سجل حياته، لا كما يزعمون بأنه حركات ماديه ساقتها ظروف تلك الحقبة وليس لها أي تمثيل لذات الانسان.

ومع هذا النفي المتعدد للكائن الإنساني والذي حصل مع سيكولوجية فرويد وبنيوية رولان بارت وميشيل فوكو واقتصادية الفكر الماركسي المصبوغ بالتأويل الألتوسيري، يأتي السؤال عن معنى ودلالة الإنسان في الفكر المعاصر، **" فكر ما بعد الحداثة “،** وهذا السؤال يفتح لنا بابا وأفقا جديدا للتفكير النقدي في منتجات الثقافة الغربية.

لقد حدث انقلاب هائل في دلالة الإنسان ومركزه في مشروع ما بعد الحداثة حيث استبعدت فاعلية الذات، وأصبح ينظر إليها كذات تابعة مشروطة بمحددات خارجة عن إرادتها.

**إن هذا جزء هام من مدار بحثنا حيث نحاول فيه تبيين كيف ارتبك الغرب في تعريف المصدر الحضاري للإنسان.** لقد جعلوا الانسان كالربوات المبرمج فارغ من الاحساس، يعمل ويتفاعل بقدر ما فيه من معلومات وضعت فيه من خارجه، لقد افرغوا الانسان من مكنونه الذاتي الإنساني، وجعله الة استقبال وارسال , ولذلك تخبطوا في تفسير افعاله وإنفلاتاته وانفعالاته وتفهم احتياجاته وإدراكه , وإدراك رغباته لإنهم اهملوا اهم عامل في الإنسان , وهي ذاته الإنسانية المميزة له عن باقي كل الذوات الاخرى من الكائنات , وهي الفاعل الرئيسي في تحريك وتوجيه كل حركاته ورغباته وأحاسيسه .

إن هذا القفز والتنافر والتخبط في تعريف الانسان، وفي التعرف على احتياجاته وانفعالاته، عن طريق التحليل العقلي الصرف تارة، اوعن طريق محاولة تفسير الشعور واللاشعور والانفعالات اللاإرادية واللاإرادية تارة اخرى، ثم تارة اخرى في القفز على كل ذلك والذهاب الى محاولة تفريغه من هذا وذاك وجعله الة جامده أو الة استقبال وأرسال ليس فيها أداة تحكم او تقييم أو إفراز وانفعال لما تستقبل , اولما ترسل. ثم الاعتقاد بان افعال وحركات الانسان الحسية والغير الحسية او الإرادية والغير اراديه ما هي إلا ردود افعال لما يحدث حوله من احداث فقط لا غير، من غير مكنون داخلي مؤثر فيها.

إن هذا الارتباك والقفز يدل على الفراغ الحسي الإنساني الناتج عن ظلمة البصيرة التي جعلته يتلمس عن الحقيقة تلمسا في عيون عمياء مما جعلهم في هذا الصراع النفسي والتصارع بين الرغبة والشهوى وبين المكنون الانساني الأخلاقي.

فقد انتصروا للشهوة والرغبة الانيه، على انسانيتهم، فجعلوا لشهوتهم النفسية الحرية الكاملة غير المنضبطة بقواعد وقوانين الله، والمشاكسة لفطرتهم الانسانية. فنتشر الفكر الشاذ والرغبات الشاذة التي ترفضها الفطرة السليمة، مما أدى الى هذا التصادم والصراع.

إن هذه المحاولة من الانفلات الفطري، والهرولة واللهاث وراء الشهوة التي يقودها الشيطان جعلهم ادنى من الحيوان في المنظومة الأخلاقية، فصار التوجه والدفع للخروج من الدائرة الفطرية الإنسانية، بادعاء الحرية الشخصية الكاملة في اختيار الشريك في الحياة الاجتماعية الجنسية, فصار التشجيع والدفع والدعايات الإعلامية والصحفية وكل ادوات النشر والفكر تدعوا الى الشواذ الجنسي والعلاقات الشاذة بين بني البشر حتى ولو مع الكلاب او اي حيوان ,وادعوا ان هذه الممارسات هي من انتاج الحرية الكاملة للفكر الانساني المتحضر والمتمدن .

لقد أختلف المفكرين والفلاسفة الغربيين في تحديد مصدر المنتج الثقافي الانساني، فنجد المفكر والفيلسوف كلود ليفي ستروس الذي يعتبر عميد البنائين او رائد البنيوية المعاصرة (1908 -2009) اعتمد في بحثه على المنهج البنيوي، ذلك المنهج الذي يبحث عن الحقيقة التي تكمن وراء الوقائع الملاحظة (163).

فقد استطاع ليفي استثمار اللغة والخطاب والتواصل الانساني والثقافة الإنسانية للكشف عن التحولات الحضارية في العالم من خلال الانطلاق من المجتمعات المسماة بدائية وتشخيص بنيتها الثقافية والمشترك بين القبائل التي درسها في علاقة ذلك بتطور الحضارة الإنسانية المعاصرة ومن ثمة استطاع التوصل إلى حقيقة أساسية تتمثل في كون الإنسان، بشكل عام، يمكنه صناعة حضارته الخاصة إذا توفرت الشروط لذلك, ثم ليتوصل الى القول بأكذوبة التفوق الحضاري لدى الغرب عبر تشريح مكونات الحضارة الإنسانية والتي تتشابه بين جميع الشعوب من حيث الجوهر ولا تختلف إلا من حيث المظاهر والوسائل المادية.(259)

.

إن في دراسة ليفي للغة التواصل المادية والظاهرية التي قام بها في بحثه في الاساطير القديمة وملاحظته لتشابهها وتناظرها بين الأمم المختلفة، ليتبين له ان عقل الإنسان البدائي ينتج البنية الأسطورية نفسها حيثما كان، ليستنتج أن الحضارة الإنسانية في الاصل هي واحده. وليتبين له بعد ذلك ان المادة الحضارية موجودة عن كل الأمم والشعوب. إن نظرته المادية البحتة في ذاتية الإنسان جعلته يرجع تلك الملاحظات المميزة للإنسان الى العقل الإنساني وحده الذي له القدرة على توليد دوال أكثر من عالم المدلولات، وأن الإنسان يجد أن العالم ليس مفعماً بما فيه الكفاية بالمعنى، وأن العقل يحوي من المعاني ما يفوق ما يوجد في الواقع من أشياء. لهذا اعتبر أن للإنسان اسبقية على الطبيعة. إن هذه النظرة المجرد للإنسان من انسانيته ومحتواه الإنساني والبحث فيه كما يبحث في صندوق الكومبيوتر ليس له مرجعية أخرى الى وجوده ومحتواه الظاهر المادي، إن هذا يوقع ليفي وكثير من فلاسفة الغرب في تلك الاخطاء والمتاهات التي تجعل العقل الانساني وحده لا غير المسؤول عن تميز الانسان وتطوره عن باقي الكائنات التي على الارض. ان الباحث في ظواهر الانسان من غير نور البصيرة هو الباحث الاعمى الذي لا يرى الأشياء الا تلمسها. فقد ونجدنا ليفي يقول في مقدمة كتابه «الأسطورة والمعنى» انه لا يستطيع ان يرى حتى ذاته في نفسه، ويقول في نفس المقدمة أنه لا يذكر عادة ما يكتب، وكأن أفكاره تكتب نفسها من خلاله. وهنا نجد انه يجد في اعماقه كنز وبنك من المعلومات إلا أنه لا يدري من اين هي ولذا لا يجد الا عقل ليرجعها اليه ،وذلك لان ليفي وغيره ينظر للإنسان كتكوين فسيولوجي لا غير.

ولذا نجده يتحدث في مقدمة كتابه «الأسطورة والمعنى» عن نفسه باعتباره ذاتًا غير مرئية إزاء نفسه. أو ربما بتعبير أدق كأنه مَعبَر تعبر منه الأفكار المجردة إلى عالم التحقق فتكتسب ثقلا وكثافة منفصلة عنه. يقول في نفس المقدمة أنه لا يذكر عادة ما يكتب، وكأن أفكاره تكتب نفسها من خلاله. (163)

فا«البنيوية» «ستركتشراليزم Structuralism»: - فقد وصف الأستاذ عبد الوهاب المسيري فلسفة ليفي بأنها فلسفة لا عقلانية مادية تشكل ثورة ضد الوضعية وضد تشيؤ الواقع واللغة (وهو التمركز حول الموضوع) وتحاول في الوقت نفسه ألا تسقط في الذاتية (وهي التمركز حول الذات). وهي تدَّعي أنها تتجاوز الميتافيزيقا) الغيبيات)، ولذا فهي ترفض الوجودية والفكر الإنساني "الهيوماني" بشكل عام.

ورغم أن الفلسفة البنيوية ترفض الفلسفة "الهيومانية" الإنسانية ، إلا أنها فلسفة متمركزة حول الإنسان. وقد تظهر الطبيعة البشرية أحياناً في الفكر البنيوي كمعيار (بل كمطلق ومرجعية نهائية). فحينما يتحدث ليفي شتراوس عن رغبة البشر في التواصل باعتبار أن هذه الرغبة إحدى سمات الإنسان الأساسية، وهي رغبة تعزله عن عالم الطبيعة/ المادة وتخلق مسافة بينهما. وتتبدَّى الرغبة في التواصل في واقع أن الإنسان ينتج أنظمة إشارية. فالإنسان البدائي رغم بدائيته وبساطته لا يبحث مثل الحيوان عن طعامه وحسب (كما يتصور النفعيون) ولا يبحث عن لغة طبيعية نفعية مباشرة (كما يتصور الوضعيون)، وإنما يبحث دائماً عن رموز وإشارات للتواصل، ولتفسير العالم. فهو حينما يجد شيئاً لا يسأل «هل هذا الشيء صالح للأكل، كما يتصور دعاة النفعية المادية، وإنما يسأل «هل هو صالح للتفكير من خلاله أو «صالح لاستخدامه رمزاً.  وهذا الإنسان البدائي الذي يرغب في التواصل يبحث عن الحقيقة ويصل إليها من خلال منطقه الخاص. وبما أن الأساطير ليست مجرد قصص خيالية وإنما لها منطقها الخاص الذي يختلف عن منطقنا الخاص، فإن الإنسان البدائي قد لا يعرف علمنا المجرد، ولكنه يملك علمه الخاص الذي يدركه بمنطقـه الخاص ومن خلال نظامه الإشـاري المتعيِّن ومقولاته المتعيِّنة، ولذا سمى ليفي شتراوس هذا العلم «علم المتعيِّن science of the concrete).

 بل إن النزعة الإنسانية تظهر عند ليفي شتراوس بشكل متطرف في قوله إن للعقل الإنساني وظيفة رمزية وإنه يتسم بالقدرة على توليد دوال أكثر من عالم المدلولات، إذ أن الإنسان يجد أن العالم ليس مفعماً بما فيه الكفاية بالمعنى، وأن العقل يحوي من المعاني ما يفوق ما يوجد في الواقع من أشياء. وهذه هي طريقة ليفي شتراوس في الحديث **عن** **"أسبقية الإنسان على الطبيعة**. (165) .

نقد البنيوية: -

لقد بين المسيري الاعتراضات العديدة التي لاقتها البنيوية عند ليفي من التيارات "الهيوماني" الإنسانية , منها انها تجاهلت التحليل البنيوي للواقع المادي والإنسان والفرد, فهو يرمي الى الغاء الذات الفردية او على الأقل ازاحتها عن المركز ويميل نحو التجريد المخل الذي يسقط التجربة الإنسانية المتعينة واهتمامه بشكل متطرف بقواعد البنيه دون مضمونها كما ان بنيوية ليفي تعادي التاريخ وتغرق في تجريدات شكليه تنصب على حضارات بدائية .

ومما تقدم نجد أن ليفي يعيش صراع وارتباك وتناقض في البحث عن الحقيقة، نلاحظه تارة أنه يرى في الإنسان حقيقة إنسانية خاصه به عندما نجده يتحدث عن أن الإنسان يسبق الطبيعة "أسبقية الإنسان على الطبيعة"، وكما أنه وجد في الإنسان عمق في كينونته وحقيقته أعمق من ماديته الظاهرة وذلك من خلال امكانيته على انتاج مدلولات كثير تجتاز الواقع المادي الذي يعيش فيه. إ ن هذه الحقيقة التي جلبت انتباه وفكر ليفي ما هي إلا تجليات فكرية حقيقيه عن حقيقة الإنسان إلا أنه لم يستطع أن يعطي لها التفسير والمعنى الحقيقي، لإنه معمي ومغيب عن عقله وفكره حقيقة كينونة الإنسان ومنشئه ومبدئه، ففلسفته ألا عقلانية والمادية البحتة والتي ترفض الموضوعية في البحث في الواقع وفي اللغة وترفض الوجودية وإنسانية الإنسان وفكره وعلومه الإنسانية, على الرغم من أن بحثه يركز على الذات الإنسانية و يجد فيه أن الإنسان يختلف عن ما حوله من الحيوانات لإن الإنسان في بحثه عن الأشياء يبحث عن مادة للتواصل معها ومخاطبتها لا كالحيوان يبحث عن الأشياء ليأكلها, فالإنسان يبحث في الأشياء عن الطرق والوسائل لاستخدامها كرمز في حياته له معنى معين.

إن هذا التناقض في مدلولات بحثه عندما نراه تارة يرفض إنسانية الإنسان وخصوصيته، ثم تارة أخرى عندما يرى أن للإنسان خاصية خاصه به عما حوله من الحيوانات في نظرته وتعامله مع ما حوله. إن هذا التخبط ناتج عن عدم ايمان ليفي أن للإنسان إنسانية خاصة به، وانه خلق خاص، وأن حقيقته ليست قابعه في جسده او بدنه، بل ان البدن او الجسد ما هو إلا وعاء يحمل حقيقة الإنسان المخلوق الخاص والمختار والمسيد على ما حوله من مخلوقات. إن محاولة ليفي عزل الإنسان عن أصل خلقه وخالقه وعزله عن ذاته وعن واقعه الحقيقي وعن كل الغيبيات التي يؤمن بها والتي تدفعه إليها فطرته السليمة هو الذي اوقعه في تلك المتاهات.

.

وهو يعتقد ان الثقافة الإنسانية واحده عند كل المجتمعات، وأن الإنسانية تكمن في الثقافة الأحادية. وأنها تستعد لإنتاج كتلة من الحضارة.(احمد جوده ) 167

**ثم يستنتج:** **كلود ليفي ستراوس إشكالية الحد الفاصل بين الطبيعة والثقافة إذ يدحض التصور السائد وسط الأنتروبولوجيين لمدة زمنية طويلة والقائل بأن صنع الأدوات هو الحد الفاصل بين الطبيعة والثقافة وفي المقابل لا يقدم ستراوس الإنسان باعتباره صانعا، فالصناعة ليست علامة مميزة للثقافة، بل ما يجعل الإنسان إنسانا وينتمي إلى عالم الثقافة هو قدرته على التواصل اللغوي اللساني مع أفراد** **مجموعته البشرية، وبهذا فاللغة هذه الأداة الأساسية والوسيلة التي تميـز الإنسان عن باقي الموجودات باعتباره كائن ثقافي.  ويرجع السبب في اعتراضه على معيار صنع الأدوات كحد فاصل بين الطبيعة والثقافة هو قدرة بعض الحيوانات على محاولة صنع الأدوات ورغم ذلك لن تتمكن من تخطي حالة الطبيعة لولوج حالة الثقافة. بينما تعتبـر اللغة خاصية إنسانية محضة لذا يُكنَى الإنسان بالكائن اللغوي (احمد ابوجوده) (167).**

**نلاحظ في عرضنا لأفكار ليفي البنيويه , التخبط الفكري الذي يعيشه مفكرو الغرب , لقد حاولوا التعرف على الإنسان من افعاله الظاهرة ومن مظهره الخارجي , وميزوه عن باقي الكائنات بما ظهر لهم من افعال وملاحظات خارجيه , فميزه الوضعيون بقدرته على صنع الادوات عن الحيوان , وميزه ليفي والبنائيون باللغة عن الحيوان والنبات والجماد .**

**إن هذه النظرة السطحية للإنسان ناتجة عن المعرفة السطحية لحقيقة الانسان، وحقيقة كل ما على الارض. ألم يروا ان الحيوانات تبني ما تحتاجه لحماية جنسها فهي تبني بيوتا رائعة في الدقة والإحكام، لتحمي بها كيانها وجنسها، وان لها لغة تتكلم وتتفاهم بها، فهم لم يسمعوا قول الله تعالى (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون) (167) . .**

**إن هذا النقص المعرفي الناتج عن ظلمت البصيرة، وعن البعد عن المصدر التشريعي للخالق، هو ما جعلهم يتخبطون في معرفة حقيقة الانسان والحياة.**

فلإنسان السليم ذو الفطرة السليمة يرى حقيقة الاشياء ومواضعها الحقيقة ومكانتها التي مكنت منها، وأن تموضعها الحقيقي في الحياة ليس منفصل عما حولها. إن هذه المعرفة المستقاة من نور الفطرة الإنسانية تدله على المعنى الحقيقي لهذا الكون وعلى خالقه ومدبره ليدرك بعدها ان كل ما في الكون هو متواصل وغير مقطوع بعضه عن بعض كما يظن ويعتقد هو والذين قد عميت بصيرتهم.

فكل ما في الكون والوجود له وظيفه وحقيقه وغايه خلق لها , فالجمادات لها قانونها وحقيقتها ووظائف ووجودها الثابت والموزون في عمله ووظائفه والتي لا تتغير ولا تتبدل "فلا تبديل لخلق الله " فالفضاء الذي كنا نظنه فظاء فاضي وفارغ وجدناه مليء بالوظائف والواجبات التي يعتمد عليها كل تقدمنا العلمي وما وصلنا اليه من استكشافات لهذا العالم الذي كان غائب عن أباءونا الاولون .فهذا الفضاء هو المكلف بحمل تلك الموجات الضوئية والصوتية والكهرومغناطيسية التي جعلت التواصل الانساني سهل ويسير وسريع , غير أن هذه الرغبة في التواصل لم تمنعه أو تعزله عن عالم الطبيعة والمادة كما يدعي **ليفي ستراوس, فهو متواصل وموصل بها باعتقاده انها مسخرة له , فالمعتقد الاسلامي :ان الانسان هو سيد هذه الارض وأن مادة هذه الاض سخرة له لممارسة سيادته عليها بالعقل الذي اعطي له وبالعلم الفطري الذي زود به . فالإنسان سيد يستخدم الطبيعة المسخر له بالسيادة التي امتلكها عليها، فهو ليس من جنسها، ولكنه ليس منفصل عنها لاعتقاده أن خالقها وخالقه واحد وان كل ما في الكون مسخر له من سيد الاكوان ورب الارباب ومسبب الاسباب رب العالين.**

وكمسلمين نقول لليفي ولكل من غاب عنه حقيقة وكنه الإنسان، أن سبب وسعي والانسان في التواصل مع ما حوله من الأشياء وما يدور حوله هو لاعتقاده الفطري وعلمه من ذاته الإنسانية وفطرته البشرية انها مسخرة له فهو يبحث عن استخداماتها وما يمكن ان تعمل له، وأنه هو وهي لهم خالق واحد ومدبر واحد، وان سبب وجودها ووجوده واحد في هذا الكون، وأنهم يعملون سويا بنظام واحد متصل بعضه ببعض لا تفصله اي فوارق "اتصال سبب بمسبب" لبلوغ غاية يريدها الله , , وأن لكل له نظام ووظيفه توافق تكوينه وطبيعة ومقصد ووجوده.

إن العمى الذي يتكلم عنه ليفي بادعائه ان العقل فيه القدرة على توليد دوال أكثر من عالم المدلولات، وأن الإنسان يجد أن العالم ليس مفعماً بما فيه الكفاية بالمعنى، وأن العقل يحوي من المعاني ما يفوق ما يوجد في الواقع من أشياء، هذا لإنهم يروا صور الاشياء لا حقيقتها كما يراها المؤمن بالله والذي يرى عظمة الله في مخلوقاته، فلإنسان المؤمن يرى عظمة خالقه في عظيم ما حوله، وان اكبار العقل لعظيم ما يرى حوله يجعله يسلم عقله لعظمة الخالق فيسبحه ويسجد له.

فالإنسان قادر على ان يرى عظمة الله في عظيم صنعه. فحاشا لله سبحانه وتعالى ان يخلق خلق ناقص، فكيف يخلق الله الإنسان بعقل وقلب وروح لا يقدرون على أدراك قدرته وعظمته وبديع صنعه ولزوم وحدانيته. ثم يعاقبهم إذا لم يدركوا هذه الحقيقة ويؤمنوا بها يقينا. فهذا ظلم وحشي الله العلي القدير ان يقع في هذا الظلم.

إن ليفي وغيره لم يدركوا سبب تميز الإنسان عن غيره ببحثه عن التواصل فيما حوله من الاشياء، وذلك لإنهم لم يدركوا أن الإنسان خلق ليكون سيدا على ما في الاض، وأن كل ما عليها مسخر له، ولذا استوجب عليه أن ينظر في مادة تواصلها وصلتها واتصالها بغيرها وبه، ليعلم منافعها وفوائدها ومستلزماتها، وليعلم كيف يستخدمها ويديرها.

اننا نلاحظ مقدار الصراع الداخلي عندما نناقش افكار ونظريات الفلاسفة الغربيين غير المؤمنين، من خلال إنتاجهم الفكري المتضارب والمتأرجح والذي لا يقف على شيء ثابت، إن سبب كل هذا يعود الى تضارب المصادر وتقاتل الوكلاء المصدرون والناقلون للمعلومات من مفكريهم الى العقل من اهواء المحيط والشهوات والنزوات الشيطانية وبين ما ينقل اليه من القلب والضمير الانساني.

إن اختلاف وتعارض المصادر الواردة من معارف ومعلومات للعقل، هي التي أدت الى المفاهيم والاعتقادات والتوجهات المتضاربة والمختلفة، والتي نشا منها التنوع الفكري والعقدي المتضارب والبعيد عن الطبيعة الفطرية والعلم الفطري الإنساني، مما ادى لاختلاف المفهوم الحضاري الذي نشاء منه التصارع والتنافس، والتقاتل، والاختلاف الفكري ،والعقدي.

ولعلاج ذلك الاختلاف لابد ان تكون لغة مشتركه يستطيع المختلفون ان يتفهموا بعضهم بها, وهي لغة إنسانية الإنسان والتي يكون اللسان الناطق بها هو الضمير الإنساني الفصيح السليم الفطرة والنقي من تلوثاه وتخبطات المحيط، عندها يسود جو التفاهم وحسن الظن، ويغلب الحس الإنساني على جو التوحش بين تلك المجتمعات المختلفة، فلو سادة اللغة الإنسانية الحضارية المشتركة بين المجتمعات لاستطاعة المجتمعات المختلفة من تفهم معتقدات وديانات واخلاق وقيم المجتمعات الاخرى. إن اختلاف الثقافات قد يكون عامل ايجابي في جو التفاهم والتقارب، لآنها مصدر معرفي جديد للثقافات الاخرى ونظره جديده في البحث والاستقصاء عن فكر ومعتقد الاخريين، فتقارب المسافات والتفاهمات الفكرية تزيح حواجز التعصب الفكري، وتبعد الغربة الفكرية والتعصب الاعمى، فتصبح لغة التفاهم مشتركه لنصل بها الى الالتقاء الحضاري الانساني المشترك .

لقد أوصل مفكري ما بعد الحداثة المجتمع الغربي الى متاهات في تعريف الثقافة. فصار الانسان الغربي ومن تبعه فكريا ممن يعتقد بتنوع الثقافات وتعددها وتباينها من مفهوم النسبية الثقافية، ينظر إلى أي شيء على أنه ثقافة وهذا يشمل ثقافة البوب وشعارات الحائط والأزياء، اللعاب الفيديو، وثقافة الروك وأقراص الليزر وأشرطة الفيديو وبرامج التواصل الاجتماعي على النت وبرامج التلفزيون وعمليات التجميل وتناول المخدرات والعنف والجنس كل هذا يثمن ويقدر على أنه ثقافة.

ولذ يعتقد الدكتور علي وطفة ان: **"في ظل هذا التحول أصبح من الصعب جدا إعادة الاعتبار إلى المفهوم التقليدي لمفهوم الإنسان المثقف**، حيث كان الإنسان المثقف يرمز إلى نموذج معياري ويمثل إطارا مرجعيا للتفكير التقليدي وهو المثقف الذي كان قد تشكل في سياق تفاعله مع الآثار الفنية والفكرية النموذجية العليا للروح الإنسانية، فتكاثفه في تشكله المعاني الإنسانية الرفيعة والخلاقة الدالة على الطابع الإنساني."

**عالم ما بعد الحداثة:**

لا يمكن اختصار “ما بعد الحداثة” في تيار واحد، وإنما يجدر التأكيد على أن هناك “ما بعد حداثات” متعددة تشترك في أسس واحدة، وقد بدأت ملامح الرؤية “ما بعد الحداثية” في الفضاء الغربي إبَّان التذمُّر المتلاحق من سطوة التيارات الحداثية الكبرى، وعدم قدرتها على تفسير. الواقع بآلاته الجديدة سياسيًّا ونفسيًّا واقتصاديًّا ولغويًّا واجتماعيًّا وفلسفيًّا

وهكذا نشأت تيَّارات جديدة مضادّة تنادي بموت النظريات الكبرى ونهاية الميتافيزيقا (عالم الغيب وما وراء الطبيعة)، وتطالب بالخروج عن الضوابط الحتمية، وترسيخ مبدأي الانتماء الفردي والثقافة السلعية الاستهلاكية، إضافة للدعوة إلى رفض فرضيات عصر التنوير (القرن الثامن عشر) وخطاب الحداثة المتمثل في الإيمان المطلق بالعقلانية الشمولية. (170).

إن **عالم ما بعد الحداثة يمثل نهاية الثقافة السامية، حيث أصبح يتم قياس الثقافة بمعيار الاستهلاك**. وأصبحت القيمة العليا هي القيمة الاقتصادية بامتياز، **فقيمة الأشياء وقيمة الأشخاص اصبحت تحسب اليوم بمعايير الاستهلاك وبالقدرة على الاستهلاك.** وبالتالي فإن لذة الاستهلاك أصبحت هي معيار السعادة. فعالم اليوم **لا يريد تغيير العالم، بل يريد أن يحقق الفوائد ويستفيد** ويستهلك ويستمتع. **لقد حولنا عالم ما بعد الحداثة اليوم الى أطفال المتعة الصناعية، إننا نعيش في عصر الدعاية والإعلان. فالإعلان أصبح المصنع الذي يشكل حضرتنا، حيث يبدأ الاعلان في تشكيل توجهاتنا وثقافتنا من منذ نعومة أظفارنا تحت مطارقه وتأثيراته**. وما تُعلمنا إياه الإعلانات هو أن الحياة تعني الاستفادة والربح وتأكيد الذات.

ويتأكد هذا المعتقد والوصف لعالمنا اليوم , الثقافة السائدة عند العالم الغربي , والتي اصبحت تنتشر في كثير من المجتمعات الاخرى البعيد عن الغرب جغرافيا وعقائديا , وذلك للفراغ الروحي التي تعيشه تلك المجتمعات , وكذلك نتيجة للفراغ المعرفي الذي ساد في كثير من المجتمعات , فأصبح العالم الغربي قدوة لها , فاتبعته وأخذت عنه هذه الثقافة الفارغة من الجوهر, وما هي إلا صورة للأشياء لا تحمل معنى , كما يقول الكاتب الغربي المسيحي فيورياخ Ludwig Feuerbach واصفا ما وصل اليه الانسان في عالمنا الحاضر , في كتابه ***جوهر المسيحيه***  L’Essence du Christianisme  يقول “**بدون أدنى شك يفضل مجتمعنا اليوم الصورة على الأشياء، الصورة على الأصل، تصور الحقيقة على الحقيقة نفسها، المظهر على الوجود… وما هو مقدس بالنسبة إليه ليس سوى الوهم , وما هو دنيوي هو الحقيقة. والمقدس بالنسبة إليه يكبر كلما تصاغرت الحقيقة وكلما تصاعد الوهم. وبعبارة أخرى كلما تصاعد الخداع والوهم تصاعد لديه قيمة المقدس ورصيده**“."(171).

إن هذا الفراغ الفكري، الذي جعل نظرة الإنسان سطحيه فارغه لا تأبه إلا بظاهر الاشياء وزهو مظهرها ومنفعتها الانيه الوقتيه. لقد اصبح الإنسان في عجلة من امره، لما اصابه من شراه ورغبه مندفعة غير متعقلة في تحصيل المنافع الأنية , فصار ينظر ويفتش ويبحث فقط على الاشياء الظاهرة النفع , والحاضرة المتعة واللذة , إن هذا الاندفاع الشهواني مرده تسلط النفس الأمارة بالسوء على الانسان فصار يريد ان يسابق الزمن للحصول على متعته ومصالحه الشخصية الأنانية والانيه . وعدم النظر او التمعن والاهتمام فيما يطمح اليه إن كان فيه ضرر له او للأخرين فيما بعد. لقد اصبح فكر الإنسان فكرا جامدا مبرمجا، يبحث فقد على المنافع الشخصية والانيه الظاهرية، ولا يتعب نفسه في البحث عن ماهية وحقيقة ما حوله، لقد اصبح عبدا طائعا ومؤمننا بكل ما يعرضه عليه المجتمع الذي يدار من الحيتان الجائعة الشره، التي تريد ان تستعبد العالم كله وتطوعه لمصالحها الخاصة باستثارة شهواته وطمس بصيرته وتضليله عن رؤية حقيقة الاشياء.

إن هذه العطالة والجمود الفكري، جعل الإنسان يسير مكبا على وجه اعمى، لا يرى إلا المنافع الظاهرية الانيه التي تظهر امام عينه، غير ملتفت الى ما حوله، وغير مكترث بالآخرين، ولا بالعواقب التي قد تنتج من هذه الشراة في البحث عن الشهوات والمتع المستعجلة، وكل هذا مرده ان انسانية الانسان قد انطفئ نور مصباحها الفطري السليم، بسبب ما تراكم عليها من طمي مخلّفات المحيط. فهذا الطمي لا يزيحه إلا نور سماوي، يزيح عن القلب ظلمات ما علق به، ليريه الحق وحقيقة ما حوله، يقول تعالى في كتابه الكريم (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى \* أمن يمشي سويا على صراط مستقيم) (172)، اي ايهما أحسن طريقا ومنهجا للحياة؟ من يمشي مكبا على شهواته لا يرى ولا ينظر الى غيرها ,أم من يمشي على منهج وصراط وطريق مستقيم يؤدي الى الحق والعدالة الاجتماعية والمصلحة العامة , إن من يحمل مشعل هذا النهج هو الذي ينير للناس طريقهم فيأمر بالعدل بين الناس ويعطي كل ذي حق حقه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ,وذلك لإن هذا المنهج يراعي المصلحة العامة للجميع وهو الذي يحمل الرؤية الواضحة والمعرفة المستنيرة للحياة , إن هذا المنهج هو منهج خير المجتمعات وخير الامم, وكان هذا هو منهج الحياة في دولة الاسلام الأولة والتي نشرة الخير للعالم اجمع وحفظة حقوق الجميع وأحترمه معتقداتهم وخصوصياتهم, وأخذة بيده الى المعرفة والعلم في مجالات الحياة والتي كانت السراج الذي اضاء واوقد نل العلوم التي ننتعش ونتمتع بها في عالم اليوم .

فالثقافة الإنسانية هي ناتج مكتسبي، نتج من تفاعل انسانية الانسان مع عالمها الخارجي وتأثره بها وتأثيره فيها، مما يعطيها ثقافه مختلفة نتيجة عن اختلاف المؤثرات، وهو ما ينتج عنه اختلاف الثقافات، واختلاف المكتسبات الحضارية، والتي تختلف باختلاف **مكتسبها الثقافي**.

إن بُعد الفكر الغربي عن **مصدر التلقي** لرسالات السماء، جعله يخوض في بحر من ظلمات التخبط الذي لا قاع له، فكلما ضاق عليه ما هو فيه، تخبط أكثر لينزلق أعمق في بحر الظلمات.

لقد لاحظنا هذا التخبط فيما خاض فيه مفكريهم وفلاسفتهم، فنجد المفكر الالماني فريدرك نيتشه (1900) عندما اراد ان يدرك الاصول التي تمكن الإنسان من فهم المعرفة “والتي اتخذت عند جاك دريدا مظهر التفكيك فيما بعد، ومظهر الحفريات عند ميشيل فوكو” (173).

لقد ذهب الفيلسوف الالماني نيتشه الى العدمية او الرافضية عندما يرفض وجود المعنى والحقيقة والإله، فكانت مغامرة نيتشه أشبه برحلة في صحراء قاحله فاقد الاتجاه ليس لديه بوصله , لا يرى شيء إلا السراب ويحسبه ماء ,كلما ذهب اليه ليروي به حقيقة عطشه وجده سراب , وهكذا يتجه من سراب الى سراب ،فحرارة صحراء الفكر القاحل وعطشه ولهفته لماء الحقيقة , جعل السراب في عقله وتفكيره , فجعل يبني افكار ومفاهيم جديده على ما يرى من سراب , ويهدم كل المفاهيم القديمة التي عرفها الانسان ، إن محاولة نتشيه هدم كل المعارف الإنسانية التي تعارف عليها الإنسان ,ليبني له معبدا من سراب , والذي أمات فيه الإله ليبني مكانه معبد ”الإنسان الخارق” وإرادة القوة” والعود الأبدي” حيث لا يفنى الإنسان بل يتجدد جيلا بعد جيل, وهذا كله من سراب ووهم اللهاث وراء السراب .

فالعدمية التي امن بها نيتشه ترجع في أفكارها إلى الأساطير الإغريقية التي تصور صراع الإنسان مع الآلهة وكأنه صراع ضد فكرة العدم، وارتبط تطور العدمية فلسفيَّا مع إبعاد “الإله” عن الساحة الفكرية بزيادة الكشوفات العلمية التي بينت أن الكوكب الأرضي ليس أكثر من ذرة غبار في كون يحوي مئات المليارات من المجرات، فاعتقدوا من هذا أن الإنسان ليس مركز لهذا الوجود. فما معنى وجوده (أي لا معنى لوجودنا)، وما هو العالم، ومن نحن؟ هذا هو السؤال الذي ترتكز عليه العدمية في طورها الأول.

إن هذا الاستنتاج الخاطئ يدل على تشوش بوصلة الفطرة وتبلدها، فلو كانت بصيرته مبصره لأرته عظمة خالقه في خلقه. وانه لا بد من خالق عظيم لهذا الخلق العظيم كي يديره ويدبر أمره، ويديم وجوده، ويحفظ كل ما عليه من مخلوقات, وأن هذا الخلق العظيم لا بد يكون له هدف ومغزى عظيم في وجوده وأنه لم **يخلق عبثا** , لعدم وجود العبثية في تكوينه وانتظامه .

فانعدام البصيرة يؤدي الى انعدام الرؤية والى انعداميه التفكير , فلانعدامي هو الذي ينكر ويتنكر لكل شيء لأنه لا يرى شي , ولذلك نرى تعريف العدمية في موسوعة ليودين ورزونتال بالإنكار المطلق [ص294] ، ويقول قاموس أكسفورد إنها إنكار كل فكر إيجابي، كالقيم الأخلاقية والمبادئ الدينية، أو هي الاعتقاد بأنه ليس ثمة شيء ذو قيمة، فالمبادئ الدينية والأخلاقية عديمة القيمة، والأديب العدمي يرى أن العالم عديم القيمة وخال من أي مضمون أو معنى حقيقي، فينحصر عمل هذا الأديب في تذكير الإنسان بحدوده حتى يستغل حياته استغلالًا عدميًا، ولذ يدعو الفكر العدمي الإنسان في ان يرتفع بتفكيره عن الحيوان الذي لا يدرك معنى العدم إلى مرتبة الأديب المدرك له "للعدم". [النزعة العدمية وصلتها بالإباحية، ص 1) (174).

ومن هنا نرى أن العدمي، عديم البصيرة، يرى كل الامور بشكل معكوس فهو يهرع الى حضيرة الحيوان وهو يحسب انه هارب منها، فهو ينهل من المبدأ الحيواني الذي لا يرى في الوجود شيء ذو قيمه إلا ما يأكل ويشرب، وان لا قيمة للأشياء الا إذا لأمسى فيها القيمة المادية. وهذا المبدأ العدمي في حقيقته، هو مبدأ حيواني.

فالعدميَّة الأخلاقيَّة هي مذهب نظري يرفض إمكانية وجود قيم أخلاقية مطلقة، فالخير والشر أمران ضبابيان، وأن القيم التي تحاكيهما ما هي إلا نتاج الضغوط الاجتماعية والعاطفية. (173)

ويرى أصحاب العدميَّة الوجوديَّة أن الحياة بلا قيمة، وهذا هو المفهوم الأعم والأكثر استعمالاً للكلمة هذا اليوم. وقد يصل الأمر إلى اعتناق العدميَّة المطلقة التي تنكر أي قيمةٍ أو وجود لأي شيء، بينما ترى العدمية الفلسفية النقديَّة أن العقل غير قادر على الوصول إلى الحقيقة، وهي في كلا الحالتين مرادفة لنزعة الشكية أو الريبية [انظر الشك الفلسفي في مقال مصادر المعرفة]. ومن البديهي ألا تدافع العدمية عن الوجود الإلهي فوجوده وعدمه سواء في رأي أصحابها، فمن لا يؤمن بقيمه للحياة، فمن البديهي ان لا يكترث بوجود الإله او عدمه. (173)

وترى نانسي هيوستن أن للعدمية ثلاث خصائص: هي

1- النخبوية والأنانية: فهي ترى أن البشر كتلة متجانسة من الأفعال والأديان والثقافات، ويشكلون قطعانا لا إرادة لها، وهم يفكرون بالطريقة ذاتها، إلا العدميَّ الذي يرى نفسه متفرِّدًا ورافعًا صوته بالشكوى المستمر، كما أنه لا يريد أن يكون ممتنًّا لأحد أو مدينًا لإنسان. (وأظن أن سبب هذا الشعور هو انه أصبح في تفكيره منقطع عن جذوره، يعيش في ظلمة تكبره، بعيد عن الواقع والواقعية)..

2- الاشمئزاز من الأنثى: ترى أبرز الشخصيّات العدمية أن الرجل وحده يمكن أن يكون فنَّاناً؛ لأن المرأة ليست قادرة على الكتابة والإبداع، والشيء الوحيد الذي يمكن أن تقدمه المرأة هو “الولادة” التي تخرجنا بها الأم إلى الحياة، وفي المقابل فإن المرأة تقيد حرية الرجل، وهي كالأخطبوط تصيد الرجل وتأخذه إلى حيث تريد، إلى التناسل “المقزز” الذي لا ينبع من إرادة الفرد، بل إرادة الجنس البشري. (إن هذه الانعزالية جعلته ينفر ويشمئز من نصفه الاخر المكمل لإنسانيته التي تُفعّل عنده الحب والعاطفة والسكينة والاطمئنان، والحب لجنسه ونفسه فيدفعه للإكثار منها والعناية بها، إن هذه الانفصالية تجعله يكره نفسه، فيندفع الى التخلص منها بقتل نفسه، فالسؤال يأتي هنا كيف لشخص كهذا، ان يبني في هذه الحياة او إذا حكم في شيء منها عدل وأخلص وأصلح، إن هذا الفكر عداءي للإنسان وللإنسانية).

3- احتقار الحياة: فهو يعتقد أن الشيء الوحيد الذي ينقذ الإنسان من الفناء , انعزالُه عن كل شيء، وغالبًا ما يبتعد العدمي عن اتخاذ أي موقف سياسي، ويتمنى لو أنه لم يكن موجودًا ويحلم بالانتحار إلا أنه يخشى الموت [أساتذة اليأس، ص19-20]، وبناء على ذلك فالعدمي لا يتمنى الموت فقط في أسرع وقت، بل يودّ لو أنه لم يولد من الأساس كما قال شوبنهاور، فخطيئة الإنسان الكبرى مولِدُه وخروجه إلى الوجود ولا يمكن مغفرة هذه الخطيئة إلا بالموت، ومن ثم فلا عجب في ألا ينجب فلاسفة العدمية أطفالاً، كما أن شوبنهاور يرى أنه لا بد من الاستسلام لليأس، والامتناع عن فعل أي شيء لتختفي الحياة [أساتذة اليأس، ص51- 64) . (175).

إن هذا الفكر العدمي هو من مكر الشيطان، الذي يخيفهم من كل شيء، ويخرجهم من ارادة أنفسهم الى الجزع والهروب من الواقع والحقيقة , ويتركهم في هوس وخيال مظلم ,ليعيشوا الضياع الذي يفقدهم معنى الحياة ومغزاها , ويضلهم عن سبب خلقهم ووجودهم في هذا الكون, ومن التأثيرات السلبية لهذا الفكر في اوروبا والغرب الان هو بعدهم عن الانجاب .

لقد كانت لكلمات شوبنهاور وأفكاره أعمق الآثار في أوروبا إبَّان وفاته، فعلى رؤاه التشاؤمية تربَّى مفكرون وأدباء كبار مثل نيتشه والمفكر اللغوي لودفيغ فتغنشتاين (ت1951م) والكاتب التشيكي فرانس كافكا (ت1924م)، ثم ظهرت حركة النقد النيتشوي لتدفع العالم إلى الهاوية العدمية قسرًا. ومع نشوب الحرب العالمية الأولى عام 1914 واشتداد الأزمات وصولاً إلى الحرب العالمية الثانية عام 1939، كان الغرب قد وصل إلى شتات معرفي وروحي، بين وعود اشتراكية اقتصادية جامحة في الخيال، وبين تغوُّل رأسمالي يريد تحويل العالم إلى شركة استثمارية، وخلال الأربعينات والخمسينات توسعت الحركة العدمية الملحدة في الوعي العام، وزعم أصحابها أننا حين نهجر الأوهام نكتشف أن الحياة بلا معنى أو جدوى. (173) .

ومن تلك الافكار ظهرة هذه المعتقدات والمقولات، "فمن أجل التسليم بسلطة الإنسان المطلقة لابد من إنكار وجود الإله، ومن أجل بناء شخصية (السوبرمان) لابد من هدم عالم الغيبيات، ولأجل الوصول إلى مرحلة القوة اللامتناهية لابد من تخطي الخطوط الحمراء التي وضعتها جميع مدارس اللاهوت والمعرفة، ومن أجل تطبيق فرضية العَود الأبدي لابد من إزاحة مظاهر الضعف والقيم الأخلاقية ".

ولقد اشتهر عن نيتشه القول بأن الإنسان هو من يضع القيمَ ويجب أن ينقلب على القيم التي تضعها الديانات، فهي قيم غيبية، ولا يمكن أن تكون الحياة مرتَهَنَةً إلى الغيب أو السلطة أو القواعد الكبرى التي صنعتها العقلانية الغربية كالعقل واليقين العلمي، فهي تخلق للإنسان عالمًا وهميًّا

أن نظرية موت الاله التي أعلنها نتشيه انطلقت لتغير المشهد الفكري على أسس “أسطورية الدين” ووهمية المفاهيم والقيم”، وتهديم الأسس المعيارية أو القانونية أو العقلية للفهم والتفسير.

لقد وصف الله جل وعلا حالة هؤلاء القوم العديمون أنهم يعيشون "في ظلمات ثلاث إذا اخرج أحدهم يده لم يكد يراها"، فينتشيه واتباعه في ظلمتهم هذه، لا يرون شيء، ولذا هدموا كل ما رأه الناس ولم تره بصيرتهم العمياء، وبنوا لأنفسهم عالم اخر من عالم الظلمات الذي ينكر كل ما لا يرونه في ظلماتهم، فهو عالم الظلمات، نسأل الله ان ينجينا منه.

إن التخبط الاعمى في ظلمات النفس، ولّد صراعات نفسيه وأزمات فكريه، اخذتهم الى متاهات لا قرار لها.

**علم نفس ما بعد الحداثة:**ويستخلص روجيه غرودي استنادًا إلى ثلاثية فرويد “ثورة كوبرنيكوس في الفلك، وثورة داروين في علم الأحياء، وثورة التحليل النفسي”، بإن تحكُّم الإنسان بنفسه أو محيطه أصبح “خرافة”، وعلى هذا لم يعد بمقدور الإنسان امتلاك مفردة “الذات”، بل أصبح الإنسان عبارة عن علاقات وسياقات مختلفة. (176) .

ويصف الدكتور ابراهيم الحيدري "علم نفس ما بعد الحداثة" بأنه إذا كانت تيارات الحداثة تدرس الظواهر لاستنباط القوانين الشمولية التي تنطبق على البشر في كل الأمكنة والأزمنة، فإن علم نفس “ما بعد الحداثة” يفصل بتعسف واضح بين “الذاتي” والموضوعي”، ويزعم أن دراسة أي ظاهرة نفسية لا تخضع لمبادئ ثابتة، لذا صار مجال البحث النفسي فيما بعد الحداثة متخصصا بالفرعي والهامشي في الحياة اليومية. (177).

وهو يوجز دراسة تطور “علم ما بعد حداثه” لمرحلتين الآتيتين:

1- فرويد وبَدء التحليل النفسي: -

ابتدأت المرحلة المتطورة من علم النفس باختراع طبيب النفس النمساوي سيغموند فرويد لطريقة “التحليل النفسي” في معالجة مرضاه، فصارت هذه الممارسة بداية علم النفس الحديث، وشملت وجهي الممارسة التحليلية (الشعور/ اللاشعور). (178).

تمتلئ النصوص “القرميدية” بمصطلحات شديدة الوضوح أحيانًا وشديدة التعقيد أحياناً أخرى، كالحياة والموت واللذة والأنا والهوى، ولذلك كان عمل فرويد تأويليًّا [خمسون مفكرا أساسيًّا معاصرًا، 57]، لقد كان كانت نظرية فرويد تنطلق من بطلان مفهوم " الطبيعة العاقلة للإنسان " ولم يعد يعتبر ان الانسان كائنا مميزا بالعقل واللغة، فهو في نظريته لا يعتبر السلوك الانساني بدافع من العقل البشري، بل من " الدوافع البشرية". فهو يعتقد ان كل سلوك الانسان بدافع غريزي، وأن سلوكه الاجتماعي والحضاري لن يفهم من منظور " التسامي الذاتي" إنما من مبدأ الرغبة والاحتياج المكبوت. (179)

نلاحظ هنا تخبط فرويد حيث أنه يؤمن أن النفس البشرية تحمل سلوكيات والتي سماها بالدوافع، غير أنه لا يؤمن بأن هذه الدوافع محكومة ومنتظمة بقانون وعلم مكنون من خالقها، لآنه لا يؤمن بالخالق العظيم ولذلك يرجع هذه " الدوافع البشرية " الى النزوات والرغبات والاهواء المندفعة من الرغبة والاحتياج المكبوت، والتي سمها الدافع الغريزي من غير انضباط وتوجيه، فهو يعتقد أن تحكم الإنسان بنفسه أو بما يحيطه هو “خرافة”.

لقد تركزت نظريته على الاحتياج المكبوت " **الدوافع". وهي أنه لكي نفهم الانسان لابد ان نفهم دوافعه.** ويعتقد ان هناك اسباب خفيه تسبب تلك الدوافع. وتلك الاسباب غير واعيه وتعمل من داخلنا ونحن على غير علم بها، فحين يزل اللسان أو يرى شخص حلمًا فمن الطبيعي ألا نهتم لما خلف ذلك كثيرا، إلا أن فرويد رأى أن خلف هذه الزلة وتلك الأحلام دوافع تكشف عن المعنى الكامل لهذه الأحداث التي تبدو عشوائية.

وتستند هذه الفرضية إلى أساسين مهمين:

**أولهما: الأعمال الغريزية: -** التي رأى فرويد أنها تظهر الحقيقة النفسية، كغريزة السلوك الجنسي التي تحكم الأشياء المحببة للإنسان، وغريزة الهدم التي تقود إلى الإجرام والعدوان، فزعم فرويد أن السلوك البشري نتيجة للصراع بين هاتين الغريزتين أو التعاون بينهما. (180).].

**والثانية: العمليات النفسية: فهناك** أعمال شعورية “واعية”، وأعمال لا شعورية “غير واعية” أو ما قبل الشعورية، ويولي فرويد أهمية كبيرة لمبدأ “اللاشعور” في فهم دوافع الإنسان ونفسيته، فهو يعتقد أنها هي التي تختزن القيم والمثل والعادات والميول والرغبات المكبوتة. كما أن من مهامها توجيه أفعال الإنسان السلوكية دون أن يعيها، وينقسم اللاشعور عنده إلى “لاشعور شخصي” وهو المكبوتات، ولا شعور جمعي” وهو الأفعال والأعراف الجماعية، كتفضيل نوع خاص من الممارسات على غيرها أو الاعتقاد بالأساطير.

وأعطى فرويد مفهوم اللاوعي بُعدًا كونيًا فجعله المحرّك والمفسر للنفس الإنسانية، ومن هنا ظهرت الحركة السريالية في الفن التي يتعمد من خلالها الفنان رسم لوحاته وهو في حالة سُكر أو غيبوبة لاستخراج الأفكار والرؤى الباطنية. (181)

لو درسنا ما توصل اليه فريدوا في نظريته تلك لوجدنا تصديق ما أشرنا اليه من قبل ان للإنسان جوهر يحركه وبوصلة تحدد اتجاهه كلما حاد او زل او اخطئ الطريق، وأن هذا الجوهر والبوصلة يغشاها ما يغشاه من عتمة وظلمه وضجيج المحيط، فتشوش عليها وتظلم عليها الرئة. وأن نظرية فريدوا ماهي إلا محاوله لقراءة ما في جوهر الفطرة وقراءة بوصلتها، لكنه يحاول أن يقرئها في خلال ظلمة نفسه وما تلبس بها من ضجيج عواصف المحيط المظلم الذي يعيشه، مع انقطاع نور البصيرة عنها، فأعتمت عليه الرؤية. فعندما أراد فريدوا حل مشكلة ومعضلة الحداثة التي اعتمدت على العقل وانكرت ذات الإنسان وما به من مشاعر وأحاسيس وإيمان وعقيده، واعتبره الطبيعة العاقلة للإنسان مصدرها العقل فقط وجرد الانسان من الوعي الضميرية الإنساني والحس القلبي. فلما اراد فريدوا ان يخرج من هذا المأزق الذي سببه الاعتماد الكلي على العقل العاجز , كفر بالعقل وتركه جانبا ودخل في اعماق النفس فوجد فيها ما وجد من احاسيس وعلوم ومعارف , فلما اراد ان يستخرجها من دون معول ومعونة العقل , اخرجها مرتبكة غير مترابطة ومنقطعة عن مصدرها , لآنه لم يستخدم العقل الذي هو من عمله أن يعقل ويوصل الاشياء ببعضها البعض ليرسم حقيقتها , فأخرجها بحسه من ظلمات تلك الغشاوة التي لم ينيرها نور سماوي , وفشل في معرفة مصدرها ففسر المعرفة الفطرية , ومكنون الجوهرة القلبية , وبوصله الفطرة الإنسانية , على انها الرغبة والحاجه والاحتياج المكبوت وسماها الدوافع ولم يبين لنا من اين أتت تلك الدوافع , وحسر تلك الدوافع والرغبات في امرين فقط هما الرغبة في الجنس والرغبة في العدوان وأن الدوافع العدوانية عند الاشرار من الناس , وذلك لآنه لا يستطيع ان يقرأ ما في النفس البشرية , إلا من خلال تنفساها الجامحة في الانسان المكبوت في ظلمة مجتمعه, والتي تمثلت عنده في حب الجنس والنساء او في الكره والعدوان والظلم السائد في المجتمع .

فالمكبوتات النفسية الناتجة من امراض ذلك المجتمع، هي التي كانت تحوك في نفسه، فلم يبصر غيرها لإن ظلمة المجتمع قد اعمت البصيرة، فعجز العقل لوحده من ايجاد الحلول لها. فالمتطرف في النظر لا يرى من الاشياء إلا ما تطرف منها، إنه نظر الى الاطراف ولم ينظر الى الجوهر، ولذلك لم ير من دوافع الفطرة الإنسانية إلا الرغبة الجنسية الجامحة، والعدوانية المتوحشة المفترسة في ظلمة القلب القاسي، لإنه كانت تلك هي المظاهر السائدة في مجتمعه. وهناك امثلة كثير من علماء الغرب اللذين رأوا ما في داخل الانسان وأمنوا به، ولكنهم ظلوا في التعبير عنه لآن قلوبهم لم تنر بنور الرسالات السماوية، او ان البصيرة قد اعميت بالكلية فلم يعد الانسان يرى حقيقة شعوره ومصدر ومحفز تلك المشاعر. وسوف نتطرق الى اقوالهم تلك في المواضيع القادمة من هذا البحث.

إ ن العمليات النفسية الواعية والغير واعيه والتي يطلق عليها فرويد اللاشعورية، ما هي في حقيقتها إلا ترجمه لخلجات الناتج الفطري الذي انفعل وتفاعل مع محيطه فأنتج تلك الشخصية المنفعلة والمتفاعلة مع محيطها فكونت شخصيه انسانيه خاصه بذلك الانسان والمنسجمة مع محيطه، وأما في اعتقاده بأن اللاوعي بعدا كونيا، فتلك هي مكتسبات اختلاقيه ناتجه عن تفاعل المحيط مع المكنون الفطري فشكل فكر ثقافي وحضاري عند تلك الاقوام والشعوب.

أما تعليل الانفعالات الإرادية والانفعالات الباطنية التي لا تظهر في حالة اللاوعي، فنحن نعتقد أن تلك السلوكيات اللاواعي ما هي إلا خلجات النفس التي يسيطر عليها العقل الباطني، الذي يخزن انفعالاته لسبب ما، من احداث مضت عليه وأثرت فيه، فقد تظهر هذه المخزونات في حالات عصبيه او يعبر عنها في احلام عند النوم، اي عندما يكون العقل غير متحكم في ارادته، أو في حالة الجنون. فالإنسان في صحوته يتحكم في انفعالاته وافعاله، وتدارسها قبل السماح لها بالخروج والتعبير. وأن كل تلك الافعال الإرادية ولا إرادية تتحكم بها وتؤثر على ناتجها الفطرة الإنسانية، فالإنسان ليس فارغ من المحتوى يستقبل ما حوله ثم يرسله كما يظن فرويد وغيره من غير تحليل وتمحيص.

فشخصية الانسان في عمومها واحده بادئ ذي بدء قبل ان تأثر البيئة والمحيط على فطرته.

فعدم ايمان فرويد وغيره او عدم معرفتهم بسر خلجات الانسان وتفسير شعوره الداخلي الواعي والغير الواعي، هو لعدم فهمهم تركيبة الانسان التي خلقه الله عليها، فالنظرة الجزئية والمعرفة الناقصة لحقيقة الانسان جعلتهم كالذين يتلمسون الفيل في الغرفة المظلمة، فكل يتلمس الجزء الذي يواجه ويصفه على أنه شيء منفصل، فيظلوا في الوصف وفي حقيقة ما يتلمسون.

**الوجوديه :-**

تتقاطع مفاهيم الوجودية مع معطيات العدمية والعبثية، لكن هناك فروق دقيقة بينها، فللوجودية معنيان، أحدهما عام يتجسد بإبراز قيمة الوجود الفردي، ويمثله مذهب هايدغر وياسبرز وكيركيجارد، أما المعنى الخاص فهو ما يعلنه جان بول سارتر (ت1980م) بأن الوجود متقدم على المعنى أو الماهية -وهو بالضبط ضد رأي كل من سبقه من الفلاسفة- لذلك فالإنسان حسب رأيه يصنع نفسه بنفسه، وذلك من خلال حريته المطلقة في الاختيار. (173).

ولو ناقشنا معتقد بول ساتر في اعتقاده في الوجودية فهو لا يرى في الوجود والوجودية إلا نفسه , فقدمها على جميع الموجودات التي في الوجود , ومن هنا جعلها هي الموجدة لوجوده , لإنه لم يرى غيرها في بصيرته العمياء , فتخذها إلهه الموجد لوجوده, لإنه يعلم انه لا بد من موجود لهذا الوجود , فهذا من قال عنه الله تعالى ( أفرأيت من اتخذ إلاهة هواه وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ )الجاثية 23 . وكذلك نجد في الذين امنوا بقيمة الوجود الفردي والذي يمثله هايدغر ويابرز وكيركيجارد، نجدهم قد رأوا عظمة خلقهم ووجودهم، فهما بكلتا حالتيهما المتمثلتان بالوجودية الكنسية المؤمنة وال ألا كنسيه الغير مؤمنه، فكلاهما لم تستطيعا أن تدركا بنور البصيرة حقيقة هذا الوجود، وذلك لإن حتى الكنسية اصبحت كنسيه ما ديه فارغه قد افرغت من حقيقتها الرسالية الإلهية، فلم تستطع ان تنير البصيرة .

إنهم لم يستطيعوا أن يدركوا ان الإنسان خلقه الله خلقا متكاملا متجانسا مع طبيعته وطبعه، فهو ناضج في انسانيته، عالم بنفسه وبما حوله، من خلال ما وضع الله فيه من علم الربوبية (عندما اخذ العهد عليه بذلك)، وعندما عُلِمَ اباه الاسماء كلها، اي علمه علم حقيقة الاشياء وما هيتها. وقد اكتمل هذا الخلق بالهبة المميزة له وهو العقل مع الحرية الكاملة في التفكير والتقدير والتصرف والاختيار والعمل والاعتقاد بما يشاء ويرغب ويختار. فهذه الحرية المطلقة التي يتكلم عنها جان بول سارتر ليست هي وحدها التي تبني شخصية الانسان ومعتقده وثقافته وطريقة تفكيره. ولكن هذه الحرية المطلقة تنطلق وتتنفس من خلال فطرة انسانية خاصه بالإنسان، فطره الله عليها، وهي تنطلق من حريه الاختيار في ملكوت الارض التي سيده الله عليها، وطوعها له، ليفعل فيها ما يشاء ويختار. إلا أن كل اعماله وتصرفاته تنطلق من انسانيته وما فطرت عليها، وبهذا التفاعل الفطري مع ما حوله يحصل التفاعل والتصارع والتغالب، فتتغالب الافكار وتنصهر في حرارة ذلك الصراع لتكون معدن وشخصية ذلك الانسان واعتقاده ومذهبه في الحياة.

أما **العدمية** فهي الاعتقاد بعدم وجود أي معنى جوهري في الكون، وأنهُ من غير المجدي محاولة فهمه أو البحث عن القيمة والحقيقة واليقين فيه، وترتبط العدمية -غالبًا- بتشاؤم شوبنهاور المفرط، والشك الجذري عند نيتشه.

**العبثية:** هي الوجه المتمرد للوجودية، لأنها ترى أن جهود الإنسان لإدراك المعنى تنتهي بالفشل الحتمي لأن المعنى غير موجود، ولذا يجب على المرء أن يتمرد ضد هذا الحال مع وجوب الإقرار به في آن واحد، وقد خرجت الحركة “العبثية” من رحم الوجودية عندما نشر الأديب الفرنسي كامو كتابه “أسطورة سيزيف"”.

وبذلك يقولون انه يمكن أن نعرّف الوجودية، بأنها الاعتقاد بأنه بتحقق الوعي ومسؤولية الشخص مع إرادته الحرة، يمكن بناء المعنى ضمن العالم، الذي في جوهرهِ لا يمتلك أي معنى. (173).

ونقول هنا ان اعتقادهم ان العالم والوجود ليس له معنى. يعود لجهلهم سبب ومعنى وجودهم في هذا العالم. فمن الطبيعي عندما لا تدرك معنى لوجودك فإنك لا تدرك معنى للعالم الذي تعيش فيه. فنحن نؤمن ان للعالم معنى ومقصد وان هناك هدف وغايه لكمال وجود الانسان والكون، وانا لم نخلق عبثا، فخالق الانسان والكون ينفي عن الخلق العبثية ويقول (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) المؤمنون115 , اي ان لخلقنا غاية وهدف وعمل ملزمون فيه، ولذلك سوف نرجع بعد انقضاء هذه الحياة، لنحاسب على ما قدمنا من عمل.

فالذي يتواجد او يخلق عبثا من غير معنى لوجوده ومقصد، فإن خلقه ووجوده يكون عبثيا غير منتظم او متناسق او موزون ومتضارب، وبه كل ما في المعجم اللغوي من اصطلاحات تناسب العبثية. اما هذا الكون الذي نعيش فيه ففيه من الابداع ما يعجز العقل عن ادراكه والقول عن وصفه. ويقول تعالى (" وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين \* ما خلقنهما إلا بالحق، ولكن اكثرهم لا يعلمون “) الدخان 38,39. فدقة الخلق وعظمته، واتزان الكون، ووجود الموجودات، واستمرارية وجودها، يدل على عظمة وجودها وواجدها، وأنها لم تخلق عبثا، فليس من العقل ان يكون هذا الخلق العظيم من الموجودات، خلق عبثا، فالعبثية تنتهي دائما بالعبثية، ويكون النظام المتحكم بها عبثي عشوائي. أما عظمة واتقان واحكام واتزان هذا الكون والموجودات فيه، فهي تدل على أن لهذا الكون، مبدع خالق عظيم، وأنه خلق هذا الكون لإمر وشأن عظيم يوازي عظمة ما خلق وصور وكوّن. وأنه لا بد ان يكون له معنى وهدف عظيم يوازي عظمة وجوده، وأن عظمة هذا الوجود تدل على عظمة الواجد، الاعظم منها.

فهدف هذا الوجود هدف سامي عالي رفيع، فهذا الوجود المتقن هو مسرح وقاعة مجهزه بكل ما يستلزم، لامتحان الانسان وتقيمه لنفسه، بحرية كاملة، وإمكانية متوفرة لكل ما يواجه من الامتحانات، لا نقصان فيها ولا بهتان، بل الانسان فيها على نفسه بصيره ولو القى معاذيره. وان كل ما في مسرح الحياة، ما هو إلا متاع الحياة الدنيا وزينتها ومادة امتحانها، وأن في هذا المتاع امتحان الغرور، وأن الغرور هو معول الشيطان الذي توعد ان يغري الإنسان به، كما أغرى ابويه من قبل، فقد لدلهما بغرور الى الشجرة الملعونة في القرءان، والتي حذرهم الله من الاكل منها. **فكل نعم الارض بصغيرها وكبيرها تحمل الغرور إذا طمع الانسان ان يأخذ منها اكثر من حاجته وطغى فيها ليأخذ حق غيره منها فيظلم ويغش ويحتال ويقتل، فتأخذه بغرورها الى تهلكته وخسرانه في امتحان الحياة الدنيا**، ولذا حذرنا تعالى بقوله " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور “.

إن الفترة الزمنية من عمر الانسان على هذه الارض , هي زمن الامتحان , وفيها تعرض المتع والامتحانات والمسائل كلها بخيرها وشرها , يقول تعالى "كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالخير والشر فتنه وإلينا ترجعون " , ليمتحن الإنسان بذلك المتاع , فأن غرق فيه وانشغل في جمعه وترك او نسا ما خُلق له , فقد يمضي هذا العمر , ويخرج منه وهو من الخاسرين , لإن ما على الارض من متاع ليس الهدف من الحياة على هذه الارض , بل هو وسيله نستعين بها على قضاء حاجاتنا , وزاد نتزود منه لنقوي به انفسنا حتى نعبر به امتحان مسرح الحياة , وأداء الدور المكلفين به على احسن وجه , فالإنسان في سوق متاع الدنيا ,قد يقع في غرور ذلك المتاع اذا ما تشبث فيه , فيصبح عندها ذلك المتاع هو متاع الغرور , الذي يقوده الى التكبر والتجبر على اخيه الانسان . فالله يحذرنا من هذا المتاع حين يوجهنا الى طريقة وكيفية الأخذ منه بقوله تعالى " وتزودوا فأن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب " اي ان الاخذ من هذا المتاع يجب ان يكون بتقوى وحذر وخوف من ان نقع في الاسراف والطمع والطغيان فيه , وأن لا ننسى انه متاع الطريق وليس هو الهدف في هذه الرحلة من الحياة ., وحذرنا بقوله تعالى " لا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور " ( لقمان 33 )اي لا نغتر بنعم الله في هذه الدنيا اذا ما اعطانا الله اياها , فالله يمتحن عباده بهذا المتاع , ولذلك قال ولا يغرنكم بالله الغرور: اي لا يغركم الشيطان بهذه النعم .

**فهذه هي نظرة الاسلام للحياة الدنيا، انها لم تخلق عبثا وإنها دار امتحان وليس دار قرار.**

أما الوجه الاخر للعالم الغربي فقد سادة فيه النظرة السوداوية للعالم وللوجود , وظل الناس في النظريات السوداوية القاتمة التي اعتنقتها فلاسفة الوجودية بعد الحرب العالمية الثانية، حيث خيمت السوداوية على الأدب والشعر والفن والرؤية الفلسفية، فمثلت “الوجودية” للفكر الأوروبي ملاذاً لأزمات الإنسان ومعاناته، ومع أن الوجودية تؤمن بوجود مقولات “كبرى”، كالوجود والماهية فهي مصنفة ضمن تيارات “ما بعد الحداثة”، وذلك لأنها مذهب لا عقلاني، فهي ترى أن الإنسان لا يمكن فهمه إلا في المواقف التي يختارها لنفسه، وأن أسباب هذه المواقف ليست كلها خارجية بل ربما تكون كانت في مزاجه أو انفعالاته أو الكبت المترسخ فيه (173) .

ويتبين لنا من تلك المقولة السابقة، انه اعتراف ضمني من المفكرين الوجوديين، بأن الانسان يمتلك مخزون معرفي يتقبل المعارف الخارجية ويتدارسها، اما يرفضها او يتفاعل معها. إلا أنهم لعدم معرفتهم بحقيقة الانسان، فإنهم يعنونون ذلك الكم المعرفي المكنون بداخل الانسان الى مكنونات مكبوتة من انفعالات وامزجه مكنونه ومترسخة فيه من تجارب ماضيه عاشها، لا غير، فهم يعتقدون أن الإنسان قبل وجوده على هذه الأرض فارغ لا يحمل ولا يختزن أي شيء يوجه او يدير تصرفانه ومعتقداته. لذا فسروا مكنونات الإنسان تفسير خاطئ، فهم يعتقدون ان ما بداخل الانسان من معارف وارشادا ت ما هي إلا امزجه وانفعالات وكبت مترسخ، فجعلوا الانسان فارغا فطريا وخلقيا، وان كل ما به هو نتيجة مكتسبات خارجيه امتزجت ببعضها البعض، وليس في اصل الانسان اي معارف فطريه من بديع خلقه , فقد افرعوا الانسان من إنسانيته, واعتبروه وعاء فارغ , وأن المكتسبات الخارجية هي التي ترسم شخصية وهيئة الانسان ولا شيء غيرها .

لقد عجز المفكرون الغربيون عن فهم حقيقة الإنسان , وذلك لإنهم ارادوا ان يفصلوا الانسان عن تاريخه ومعتقده( وذلك لما رأوا من فساد المعتقد المسيحي واليهودي وتعقيداته وعدم فهمه ) , وارادوا ان يقطعوا جذور إنسانية الانسان , بنظرياتهم الفارغة الضالة المضلة العشوائية مثل الوجودية والعبثية والعدمية والتفكيكية , وكفروا بكل الغيبيات والمعتقدات , والثوابت الإنسانية والأخلاقية المتعارف عليها , فأرادوا انتزاع الإنسان من جذوره وجوهره وحقيقته , لقد ارادوا الهروب من ظلمات الكنيسة فغرقوا في بحر ظلمات نظرياتهم الضالة .

لقد اتسمت الوجودية بالتعالي، وإهمال واقعية الإنسان، ومحاولة رفع الفرد عن مشاكله بالتسامي الروحي. وبعد أن جمعة الماركسية بين تقديم بديل للكنيسة وبين رسم تطلعات متفائلة للمستقبل، جاءت الوجودية لتجمع بين جانبين متناقضين، فقدمت رؤيتين كنسية ولا كنسية للوجود في آن واحد. لقد سعت الوجودية لرسم تطلعات جديدة لمستقبل اجتماعي متناقض الرؤى، زادت في تناقضاته الفكرية وزادت في حيرته، وشتت افكاره وفككتها ومزقة اوصر المعرفة عنده، فظهرت التفكيكية. (173)

**التفكيكيَّة:-**ظهرت هذه النزعة على يد الفيلسوف الفرنسي “جاك دريدا”، وهي طرح فلسفي يصعب تعريفه، لأن التفكيكية بحد ذاتها ضد التعريف [الكتابة والاختلاف، جاك دريدا، ص57-65]، بل ضد امتلاك الفهم الثابت والحقيقة.

قدّم دريدا في عام 1966 بحثا باسم “البنية والعلامة واللعب في خطاب العلوم الإنسانية”، حيث وضع كل مسلَّمات الفلسفة الغربية منذ عهد أفلاطون إلى يومه موضعَ سؤالٍ وشكٍّ [النظرية الأدبية، رامان سلدان، ص134، 135].

قبل الخوض في لعبت التفكيكية العبثية، نريد ان نبين حقيقة استخدامات اللغة والالفاظ كما اصطلح عيه اللغويين ,فلقد بينوا أن استخدامات اللغة في بيان المعاني والأفكار ترتكز على اللفظ “الدالّ” والمعنى “المدلول”، وترى جمهرة علماء اللسانيات أن ارتباط دوالّ الألفاظ اللغوية بمدلولاتها في الاستخدام الأوّل كان ارتباطًا اعتباطيًّا إلا أن التلازم في الاستخدام اللغوي بين المفردات ومعانيها جعل هذا الارتباط متسقًا في التداول، مما ضمن استقرار الدلالة أثناء التخاطب والكتابة.

إلا أن “التفكيكية” تتجاوز كل “نسق” أو “ثابت” أو” كُلِّي” أو “قطعي” وتجعل من مهمة الفهم الثابت أمرًا مستحيلاً، فالتفكيكية تسعى إلى تفتيت النصوص من المعاني الثابتة وتحويلها إلى تفاعل لا نهائي مع المعنى؛ فلا تستقر الدلالة على معنى حتى يُهدَم , ثم يُفترض معنى آخر ثم يهدَم -وهكذا دواليك- إلى ما لا نهاية، عبر لعبة المراوغة المستمر

ويظهر التفكيك في عدة مظاهر، فهو موقف فلسفي أصلا، وقد يكون رؤية سياسيَّة، وربما يظهر في طريقة القراءة الأدبية.

لقد جاء “دريدا” بمفهوم “تقويض اللوغوس” أي المرجع الذي تستند إليه المعاني في الخطاب اللغوي، أو المفهوم الكلي الذي يتحكم بقضايا الوجود وثنائياته، كالماهية والوجود والخير والشر والنهاية والبداية والإنسان والوعي، وهدف دريدا هو هدم مفهوم “المركزية” التي يستند إليها المعنى والاستدلال [الكتابة والاختلاف: ص58]، وللوصول إلى هذا الهدف لا بد من “هدم الميتافيزيقيا (الغيبيات) التي يفترض المؤمنون بها أنها أسست لوعي ديني تتجسد فيه الحقيقة” [صيدلية أفلاطون، جاك دريدا، ص5]، ولذلك يؤكد “التفكيك” على التعدد والاختلاف وقد قامت تفكيكية دريدا على أربعة تيارات:

1-هدمية نيتشه:  
إذا كانت التفكيكية قائمة على التقويض فإنها متفقة تمامًا مع مضامين الفلسفة النيتشوية التي زعمت تمكنها من تقويض كل الحقائق المطلقة، فقد أسَّس نيتشه الأرضيّة اللازمة للتيارات النسبية التي اتسمت بها مرحلة “ما بعد الحداثة” من خلال تبني منظريها لأهم مقولاته، لا سيما جاك دريدا الذي استمد أهم أسس نظريته التفكيكية من الهدم النيتشوي ,فإعلان “موت الإله” مثَّل بداية الإطاحة بالمفاهيم المطلقة [نيتشه فيلسوف العلمانية الأكبر، المسيري، ص172]، بغية التخلص من الهيمنة التي تفرضها “المرجعية” والوصول إلى تحطيم المركزية العقلية وفهم كيفية صنع الإنسان القيمة والمعنى.

وبذلك يلغي نيتشه حضور الميتافيزيقيا؛ فيقول الأجدر بالإنسان -حسب نيتشه –الإعلان عن الإلحاد وجحد الإله، “فجحود الإله ينقذ العالم” [أفول الأصنام، نيتشه، ص56]

وكانت غاية “دريدا” تأسيس “ممارسة فلسفية ونقدية تتحدى ارتباط المدلول (المعنى) بالدال (اللفظ) المحدَّد والصريح” [التأويل، إمبيرتو إيكو، ص124]، ولذلك اتفق دريدا مع نيتشه في نفي الحقيقة الثابتة، فكلاهما يطالب بتفكيك المعرفة المنطقية والمفاهيم الخاصة بها.

2\_ نزعة الشك الهايدغري:

الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر، أهم الفلاسفة الأوروبيين المعدودين بوزن أفلاطون وأرسطو في العصر الحاضر.   
يقول دريدا “إن دَيني لهايدغر هو من الكِبَر بحيث يصعب التحدث عنه، إنه بمفردات تقويمية أو كمية أوجز المسألة بالقول: إنه هو (يعني هايدغر) من قرع نواقيس نهاية الميتافيزيقا” [الكتابة والاختلاف، جاك دريدا، ص47]. “

فالفكر –بتعبير هايدغر- **لن يبدأ حقًّا إلا عندما نتعلم أن العقل هو العدو اللدود له”** [موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، الزواوي بغورة، ص70] وبهذا فإن هايدغر يعبر عن إرادة تفكيك النزعة العقلية وتجاوز الفلسفة الذاتية حتى يمكن للإنسان تحرير ذاته، حسب رأيه.

ولو أننا فككنا وحللنا النزعة التفكيكية من المنظار الاسلامي، لوجدنا ركاكة هذه النظرية الفكرية وهزالتها، وأنها لا تصدر إلا من المغشي عليه من الموت، اقصد موت العقل، الذي انفصلت عنه روح المعرفة والنور القلبي، فأصبح العقل ميت من غير روح.

فالمفكك عقليا يكره عقله وينبذه، لأن عقله ميت لا روح فيه، فلا يكره الشيء نفسه إلا إذا خذله، فأنت لا يمكن ان تكره نفسك إلا إذا غابت نفسك عن نفسك اي إنك لم تعد ترى نفسك كإنسان او كائن حي له حق في هذه الحياة، او انه جزء منها، فعندما لا ترى لنفسك وجود لازم، فأنك تذهب الى انهاء ذلك الوجود غير اللازم لتتخلص من عواقب وجود غير اللازم. فهو يكره العقل لإنه يعتقد ان العقل يعارض أهوائه المنحرفة، التي تدعوه الى التخلص من كل المعارف والمعالم العقلية وتفكيكها وتشتيتها، بتفجير انتحاري يقتل كل ما هو حي من عالم المعرفة والعلم، لكي يتيه ويسبح في ظلمات شهوة النفس غير المنضبطة. لقد نشأت العداوة الدودة للعقل عندما خاب الظن فيه ولم يسعف النفس من حيرتها ولم يجيب على تساؤلاتها. فهذا امر طبيعي عند الانسان، لإنك إذا اعتمدت على اي شيء في اي مجال من مجالات الحياة وخانك ذلك الشيء ولم يعطك ما كنت ترجوه منه، كرهته، واعتبرته عدوك اللدود، لإنك تعتقد انه خانك ولم يسعفك ويعينك عندما احتجت اليه، وقد كان رجاؤك واملك فيه كبير.

إن المشكلة الشائكة عند هؤلاء، ليست العقول المطفي نورها، ولكن المشكلة في ان اهوائهم هي التي اطفئت نور العقول، عندما قطعت عنه نور المعارف القلبية بأهوائهم الشهوانية، فأصبح اعمى لا يرى حقيقة الأشياء، فعمى عن حقيقة ما حوله.

إن الثورة التي اشعلوها على الكنيسة كانت غير منضبطة، والتي قادها العقل المتكبر والمتجبر على العواطف والاحاسيس، نتيجة لكراهيته الخرافات الكنسية، التي استخدمت عواطف لإنسان كقضبان لسجنه في بودقة الخرافات البعيدة كل البعد عن دين المسيح عليه السلام، وعن النور الذي جاء به من رب العالمين

فعندما اخرجوا عقولهم من ذلك السجن فرحوا به كثيرا واغتروا بانتصاره وتحرره، وبما اخرج لهم من علوم حياتيه ماديه، طورت في حياتهم المادية، فصار العقل يسرح ويمرح في مسرح حياتهم، بحرية كامله غير منضبطة ولا موجه بنور المعارف القلبية. لقد سجنوا مشاعر واحاسيس القلب والروح وطالبوا بإعدامها والتخلص منها، فوقعوا في مأزق اخر، وهو سجن المعارف القلبية، فضاق الصدر ونحسر القلب في ذلك السجن المظلم عن نور العقل، فتملئت نفوسهم بالعقد النفسية، والتشنجات والاختناقات.

إن غرورهم بالعقل، جعلهم في تكبر عن السماع نداء الروح والقلب، واصم الاذان عنهما، ليعيشوا بعقول صماء جرداء من نور القلب والروح. **والله قد جعل العقل والقلب ميزان،** يزن الانسان امره بهما، وبتوازن وتوافق عطائهما تنطلق وتنفلق الحكمة عند الانسان، ومن يؤتى الحكمة فقد اوتي خير كثيرا.

ولقد احتاروا في تعريف حقيقة الاحداث الحادثة والحديثة في حياتهم اليومية، فضلوا في تعريفها والتعرف على حقيقتها، وأسباب حدوثها، فتاهوا في حداثة احداثهم في متاهات جهل التعريف والتصريف للأحداث التي تمر بهم، ولإنهم يعيشون في بيئة ليس فيها نور من القلب والروح والهدي السماوي، فرتعت حداثتهم ونمت في ظلمة تيه القلوب المظلمة.

فجاعلتهم لا يرون من الاشياء إلا صورها، فغابت عنهم المعاني الحقيقية للأشياء وللحياة بعمومها. لإن صورة الاشياء لا تعطيك دائما حقيقتها.

فهؤلاء التفكيكين يصدق بهم قوله عز وجل " يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) النساء 46 إن كفر هؤلاء بالواقع والوجود ومحاولة الهروب بعيدا عن الواقع الملموس، ومحاولة تأويله وتحويله الى معنى غير معناه، ودالة غير الدلالة التي يدل عليها، هو تفكير عدمي. إن عدم الاعتراف بكل المعارف وتغيير معانيها هو هروب من الحقيقة والواقع الى خيال وعالم لا وجود له، وذلك لشعورهم بالضياع وعدم قدرتهم على فهم الواقع الذي يعيشونه، وذلك لتشتت المعارف والرؤى في زمانهم عن معنى الحياة وحقيقة الانسان، فأرادوا الهروب من عالم مضطرب ضبابي الرؤية، ليقعوا في عالم ليس له وجود ولا اي صله بحقيقة الوجود، فأنكار الموجود الملموس ولو كان فيه ضبابيه في الرؤية أو ارتباك , لا يأخذك الى وجود أخر, بل الى عدم وضياع وخيال عبثي وسراب . فالأحرى بهم ان يحاولوا ازاحة الضباب لا الهروب خارج الواقع والحقيقة ثم إغماض أعينهم وتوقيف فكرهم وتجميده, كالذي يأخذ المخدرات والمسكرات ليهرب من واقعه المؤلم الى خيال بعيد عن الواقع والوجود , وذلك بمحاولة مسح كل المعارف والحقائق المعترف بها , والخوض في ظلمه ليس فيها دليل , بل تخبط بالأشياء وتفسيرها من واقع مظلم ليس فيه اي قواعد معرفيه مسبقه , او اي قاعده يرتكز عليها في التفكير او التحليل , بل محاولة مخالفة كل الاعراف والمعارف في تفسير الاشياء من خلال التلمس والعيون مغلقه , أمل منهم في أن يصلوا الى واقع ومعنى اخر للحياة غير التي عرفتها الإنسانية في ضوء النهار المشرق , والعيون المبصرة ومن خلال المعارف والحقائق التي توصل لها الاولون من قبلنا والتي بني عليها مرتكز معارفنا حتى يكتمل الاعمار المعرفي . لا من خلال رمي الحجارة في الظلام لنتوقع بعد ان نفتح عيوننا ان هذه الحجارة قد تشكل منها بنيان عظيم وصرح متين ونقش هندسي جميل نستطيع العيش فيه بأمان، كما يفعل الرسامون التشكيلين هذه الايام، عندما يرمون الأصباغ على اللوحة ويتوقعوا ان تخرج لهم لوحه جميله أجمل من التي صاغتها الفرشة من خلال استخدام العقل والذوق الحسي والتذوق النفسي والتعبير الروحي. إن هؤلاء يعيشون في ظلمات بعضها فوق بعض، ظلمت المجتمع وظلمت العقل وظلمت القلب، فلا يعلم احدهم ما تفعل يداه، كما وصفهم المولى عز وجل،   
(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ اذا اخرج يده لم يكد يراها ) النور.

فكيف لنا ان نٌأمن بتقديراتهم وتحليلاتهم وتعريفاتهم للأشياء ومعتقداتهم وهم في تلك الظلمات. فنحن لا نملك لهم إلا الشفقة.

يقول تعالى في سورة الملك " أفمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم" فالفكر الغربي يمشي مكبا على هواه وشهواته من غير هدى , ولنحمد الله أن هدنا الى صراطه المستقيم , فلنتمسك به , وإلا وقعنا في وعيد الله للذين يزيغون عن نور الحق بعد إذ جاءهم , كما خاطب الله اصحاب عيسى عليه السلام , بعد ان انزل عليهم البينة "مائدة من السماء" , فقال تعالى لهم ( , ومن يكفر بعد ذلك منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه احد من العالمين ) , فمن كفر بالنور الذي جاءه فقد وقع في ذلك الوعيد " ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ") .(182).

**آثار تيارات ما بعد الحداثة :** لقد ناقش المفكر الدكتور الطيب بوعز , ما بعد الحداثة في الانسان المعاصر من زوايا ، الدين، والوجود ، والمعرفة، والأخلاق في مقاله "ما بعد الحداثة وموت الإنسان" : فبين أن

الدين: والعقائد الدينية والغيبية على حدٍ سواء لا قَبول لها في فلسفة ما بعد الحداثة، فجميعها لا تملك المعنى ولا تعرف الحقيقة، لكنها تسمح بالدين الفردي الذي يسوغه الإنسان لنفسه ، حتى لو كان في منتهى الشذوذ ، فهو الذي يمكن أن تعتبره ما بعد الحداثة نتاجًا يستحق الحياة . فلا ميتافيزيقا هنا، ولا مقولات كبرى. (183) .

وهكذا أصبح الدين في نظر “ما بعد الحداثة” متاحا للتفسير والبحث بناء على الهدم والتفكيك اللانهائي، فلا يمكن حسب رأيهم الإيمان بالوحي مصدرًا للمعرفة ولا تأويل النصوص الدينية بقواعد محددة، بل هي نصوص مفتوحة المعنى يمكن تأويلها حسب ما يريد حامل مبضع التفكيك .

لقد استخدام الغرب نفس هذا المبضع التفكيكي، لتفكيك العقيدة الإسلامية، فصارت الدعوة الى التجديد في احكام الاسلام وتعاليمه لتتوافق مع متطلبات العصر وكما يدعون، إلا أنها في الحقيقة لتتوافق مع اهوائهم وشهواتهم ومصالحهم واهدافهم في السيطرة والهيمنة على العالم. إن هذه الدعوة للنظر في الشرائع الإسلامية ونصوصه القرآنية بنظره انفتاحيه لا يحكمها إلا الهوى والدوافع المنفلتة من الضوابط والقواعد الدينية.

لقد عاد الغرب الإسلام لإنه يحافظ على تراثه الإسلامي ويلتزم به ويحارب من يحاول تفكيكه بحجة الدعوة الى التحديث في الدين الاسلامي ومراجعة النصوص فيه، والدعوة الى اجتهادات جديده توافق توجهاتهم، فهذه محاوله لنزع عن الدين الاسلامي ملبسه النقي الصافي المصدر والمنسوج من وحي السماء، ومحاولة تعكيره وادخال فيه ما ليس منه، وتغير نسجه ليوافق هوى وأهواء من يريدون ان يسيروا العالم كله لمصالحهم الشخصية الأنانية الضيقة، كما فعلوا في الاديان الاخرى. لقد وصل الداء في هذه الدعوة الى ان تبناها ويدعو اليها من هم محسوبون على العالم الاسلامي من قادته ومرؤوسيه، ومثال على ذلك تلك المؤسسة المدعومة من وزارة الداخلية الفرنسية ومن مؤسسة ومركز الأساقفة الكاثوليك في الاتحاد الاوربي ومن الجاليات اليهودية في اوروبا، وقد قام بتأسيسها المواطن الفرنسي جون ماهر وتظم شبكه من المشايخ المزيفين تديرها فرنسا وتعمل على تزييف وتزوير التعاليم الإسلامية لكي توافق اهواء وتطلعات الغرب.

ومن الاثار الاخرى التي تعمل على الهدم والتفكيك للأديان في عالم ما بعد الحداثة , هو ما نراه في الغرب من الدعوة الى ازدراء الاديان بين الشعوب الاوربيين والعالم الغربي عموما , والدعم الكبير والغير محدود لكل من يعمل على ذلك , وخصوصا اذا كان يعمل في المجتمعات المحافظة او المجتمعات المسلمة , لقد انتشرت الدعوة الى الانسلاخ والانحلال من اي مبادئ دينيه او عقائدية يحملها الانسان , والدعوة الى التحلل منها باسم الحرية الشخصية والانفتاح العقلي والتطور الحضاري , فانتشر الشذوذ في الدين والاخلاق والعلاقات والقيم الأخلاقية , فامتزج الخبيث بالطيب , ليشوهوا على اناس اذواقهم وتوجهاتهم. يقول في هذا المفكر والفيلسوف الفرنسي بول ريكور " لا يمكن أن أمنع نفسي من التفكير بأن هناك شيء مضحكا أكثر من إعطائنا الحق لفتاة مسيحيه في أن تظهر مؤخرتها , في حين تحرم فتاة مسلمه من الحق في تغطية رأسها ! " .

لقد تاه الناس وخاصة الشباب منهم في هذه الاعاصير من التشويهات للحقائق في الدين والعقيدة والاخلاق والقيم، فذهبوا هاربين الى ألا دين مما اصابهم من تشتت في الأفكار والهلع، ومن هزات نفسيه وفكريه مضلله اعمت ابصارهم وبصيرته، فهربوا الى ظلام ألا ديني ظنا منهم أنه سيحميهم من تلك العواصف، فانتشر ألا دين كدين يعتنقه الكثير منهم , وأصبح معظم المسيحيين واليهود الغربيين يؤمنون بالإنجيل والتورات , كوثيقه تاريخيه ,اكثر من ايمانهم به ككتاب مقدس وتعاليم سماوية . مما نتج عن ذلك الفراغ الروحي الذي جعل الانسان الغربي يشعر بالضياع والحيرة في فهم سبب وجوده وهدفه في هذه الحياة، فأنتهى به الامر أن صار معتقده في الحياة أنه وجد ليتمتع على هذه الارض ما استطاع، وأن حقيقة مرتكز جوده هو للتصارع ولتغالب على جني ثمار متاع الحياة وزينتها، وان البقاء للأقوى والاكثر دهاء وحيلة في الحصول عليه، فصار جهد الانسان كله مكبوب على التسابق والتصارع من اجل الحصول على هذه المتع . فلم يعد يبدي اهتمام للقيم الإنسانية، وصار الهدف يبرر الوسيلة في الحصول على متاع الدنيا وزينتها، فصارت نظرة الإنسان لكل امور الحياة، نظره ماديه صرفه. وهذا ما ادى الى التفسخ والانحلال الخلقي والتخلي والانسلاخ عن المبادئ الدينية والقيم الاخلاقية , فأصبحت أوليات انشغاله هي متعته ورغباته الذاتية المؤقتة الانيه , من غير تفكر او تدبر, فأصبح يهرب من مبدأ الالتزام في بناء عائله وتربية اولاد وتنشئة اجيال , الى مبدأ ألا التزام ولا قيود , فأصبحت العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة متعه لا غير ,واصبح مصطلح الصديق الحميم والصديقة هو الاكثر شيوعا بين الرجل والمرأة من الزوج والزوجة ,لآن ذلك ليس فيه التزام توثيقي يلزمه بواجبات وملتزمات قد تعيق متعه المادية والمصلحة الشخصية الأنانية الانيه . ثم وصل في ترديه الخلقي الى البحث عن المتعة بين الجنس الواحد، لإنها بالنسبة له اقل تعقيدا، فليس فيها إنجاب، والالتزام فيها شخصي سهل الانفكاك عنه. فانتشر الشذوذ الجنسي، ثم تدنى أكثر الى ان وصل للبحث عن المتعة بغير اي انضباط والتزام خلقي او ديني او اجتماعي، فصارت المتعة في الجنس المختلط ثم في تبادل الزوجات والصديقات المؤقت، ثم في البحث عنه عند الحيوانات.

إن عدم الالتزام والانضباط بالمبادئ الدينية والخلقية جعل من الانسان المعاصر، شهواني حيواني الطباع، بل سبق الحيوان في بحثه عن المتعة، ولولا القوانين والشرائع التي شرعتها الحكومات لتحجم هذه الرغبات المجنونة من الانفلات والانفراط الكلي، لنهار المجتمع الغربي كليا. وقد انصاعت بعض الدول والحكومات الى تلك الرغبات المجنونة والمريضة فسمحت بها واذنت لها وحمتها في تشريع سمح لهذه الأوبئة في الانتشار، مثل السماح للزواج المثلي، وعدم تحريم وتجريم تعاطي المخدرات، إن هذه الخطوات تؤدي الى انهيار كل منظومة القيم الأخلاقية، وتؤدي بها الى الانهيار والفناء. ويؤدي الى هلاكها لآنها تخالف سنن وشرائع الله في خلقه.

ومن هذه المهلكات ما يوجهونه من تهديد حقيقي من الانقراض والفناء الكلي، نتيجة الهروب من سنن الحياة والشرائع التي تدعوا الى بناء العائلة والمجتمع الى الهروب واللهاث وراء الشهوة والابتعاد عن الانجاب والتربية والمسؤولية، مما جعل نسبة تكاثرهم في بعض البلدان الغربية تقل عن معدل 2.5، وهي اقل نسبه للحفاظ على الجنس، فقد وصلت الى مستويات متدنية اقل بكثير من تلك النسبة في كثير هذه الدول، مما ينذر بانقراضهم.

الوجود(الأنطولوجيا): -

إن علم الوجود في العالم الغربي بدأ مع أفلاطون ولذلك يرى دريدا ويعتقد ان الفلسفة الأفلاطونية ضلت لإيمانها بالمُثُل المجردة: كالحق المطلق والحقائق الثابتة من جهة، ومن جهة أخرى عالم المادة والتغير، وعلى الرغم من أن عالم المادة يحجب عالم المُثُل فإن المنظومة الأفلاطونية تذهب إلى أن بإمكاننا التوصل إلى معرفة إنسانية من خلال الحواس والعقل ويمكننا توصيلها من خلال اللغة. ولكن كل ما نصل إليه من معنى هو ظِلال للعالم الحقيقي، أي أن المعنى الذي نصل إليه يستند إلى ميتافيزيقا الغيب، فثمة علاقة وثيقة بين “الحقيقة” والميتافيزيقا).

أما أنصار ما بعد الحداثة فيعتبرون مجرد استخدام كلمات مثل “يقين” أو “حق” سقوطاً في الميتافيزيقا، وذلك باعتبار أن مثل هذه الكلمات تتضمن إشارة إلى حقائق، فما "بعد الحداثة" لا تعترف بثنائية الذات والموضوع.

ومن هنا نرى أن “عالم ما بعد الحداثة” أصبح نظاما لا مركز له، بل هو مُكوَّن من أنظمة صغيرة مغلقة، يدور كل منها حول مركزه وحول نفسه ويأخذ شكل صور متجاورة لكلٍّ منها معناها المستقل لا يربطها رابط , ولا يعقلها عقل سليم لإن العقل عمله ربط الأشياء ببعضها ووزنها بميزان سليم يضبط حركاته وتوازنه نور من البصيرة والفطرة السليمة . ، فأصبح كل إنسان يدرك الصورة القريبة منه والمعنى الذي يروق له , كمثل الذين يتلمسون الفيل في الغرفة المظلمة ,فكل يتلمس الجزء الذي يوجهه ويصفه على انه شيء مستقل ,فمن لمس الخرطوم ظن ان في الغرفة أسطوانة كبيره , وهكذا , كل يصف جزئية الفيل التي امامه على انها شيء مستقل , فلا يصلوا الى حقيقة ما في الغرفة .

وهذا يعني أنه ما من طبيعة مادية موضوعية ولا طبيعة بشرية “ذاتية”، ولا وجود لمبادئ متجاوزة، بل هو عالم متبعثر مفتت إلى ما لانهاية.

وعالم ما بعد الحداثة هو عصر “البعديات”، حيث ظهرت فيه مصطلحات ما بعد التاريخ وما بعد الإنسانية وما بعد السببية وما بعد الميتافيزيقا وما بعد التفسير وما بعد التجاوز.

والبعدية تعني “النهاية”. [موسوعة اليهود والصهيونية واليهودية، المسيري، ج1، ص292-294.

وإني أرى عدم ايمان علماء ما بعد الحداثة بالوجود (عالم الوجود) إنما هو نتيجة لبعد ذاتهم الإنسانية عن انسانيتها، وذلك لانعدام التصالح الداخلي، وارتباك الوجدان الحسي عن رؤية وإدراك الموجود المكنوني المعرفي في ذات الانسان، فنتج عن ذلك رغبتها في الانسلاخ منه وارتباطها بالواقع الملموس الذي يمكن ان تراه العين وتحس به حواسه الخمسة. ثم الأيمان به وحده، لإنها لم تعد تملك اي نور بصيري داخلي يعين بصيرة العقل (عين العقل) على استيضاح وتبيين حقائق الاشياء التي تقع عليها عينه، او ترشد له او تفسر خاطر خطر بباله، فعين البصيرة قد عمت نتيجة للعواصف المادية ألا إنسانيه التي تعصف حوله، فأعميت البصيرة عن رؤية حقيقيه ما حولها، فصارت ترى أشكال لا معنى لها، فلم تستطع ان تربط بينها، فأصبحت الحياة بالنسبة لهم كالكلمات المتقاطعة، حروف مبعثره لا معنى لها. وذلك لأنهم ينظرون الى ظِلال الاشياء لا الى حقيقتها، فحقيقة الاشياء لا ترى إلا بنور البصيرة. وأن حالتهم المزرية تلك، تصفها لنا الآية الكريمة في سورة الجاثية 23 (أفرأيت من أتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهده من بعد الله أفلا تذكرون) صدق الله العظيم الذي وصفهم في أحسن وصف، فهؤلاء قد ضلوا على علم، لآن ما جاءهم من علم لم يأخذهم الى طريق الحق والصواب لإنه علم لم ينر بنور البصيرة التي تبصر للعين الأشياء على حقيقتها، ولكن كان موجههم وقائدهم هواهم وشهواتهم التي أصبحوا عبيد لها.

3- المعرفة :  
لا توجد في عالم ما بعد الحداثة مرجعية شاملة يمكن التفسير من خلالها، ولذا فإن ما بعد الحداثة يتسم بالتعددية والاختلاف وغياب السببية وظهور الاحتمالية والنسبية الكاملة والتغير الكامل والمستمر، وهذا يجعل المعرفة الكلية مستحيلة، فليس هناك أساس إنساني أو طبيعي أو إلهي لها، ولذا فإن المعرفة في “ما بعد الحداثة” لا يمكنها التمييز بين الحقيقي والزائف

ويرفض كل أنصار ما بعد الحداثة فكرة الحقيقة الكلية، فهي حسب رأيهم من مخلفات عصر الاستنارة الذي افترض وجود نظام وقواعد ومنطق. ويعتبرون أن السؤال عن الحقيقة سؤال ميتافيزيقي غيبي مثل السؤال عن الإله، ولذا فإن الحقيقة تعددية دائماً حسب رأيهم.

لقد كان هدف الفلسفة في عصر الحداثة هو محاولة التوصل إلى الحقيقة الكبرى الكامنة في حركة الطبيعة وقوانينها للوصول إلى نماذج مادية تفسيرية تتسم بالشمول.

بينما يرى أنصار ما بعد الحداثة أن المعرفة قابعة في القصص الصغرى المرتبطة بظروفها والمحددة بزمنيها، وأن هناك عنصراً فعالاً واحداً هو اللغة أو القوة، فهم يعتبرون أن اللغة ليست أداة لمعرفة الحقيقة بل أداة لإنتاجها .

أي أن الحياة ماهي إلا كلام في كلام، وان الحقيقة ما هي إلا ما تصفه ألسنتنا وما تنسجه.

ولذا، يسـتحيل معـرفة الواقع خارج نطاق الخطاب المستخدَم ويستحيل التعبير عنه

والنص -أدبياً كان أم فلسفياً- مُعبَّأ بالصور المجازية التي تحجب الرؤية؛ ومن ثم فإن النصوص الفلسفية والعلمية ما هي إلا نصوص بلاغية مجازية مكتفية بذاتها ولا تشير إلى أي شيء خارجها “فلا يُوجَد شيء خارج النص”، بل النص شيء منفتح تماماً مرتبط بالنصوص الأخرى، ولكنه منعزل تماماً عن أي واقع موضوعي خارجه. (184) . ]

إن حقيقة مشروع ما بعد الحداثة المعرفي تكمن في نفي الكائن الإنساني وتذويبه في بنيات نفسية أو اقتصادية متحكمة فيه. (185)

وإننا لنرى محاولة تجزئة صورة الحياة ومعناها ومقصدها الى جزيئات صغيره مفككه لا يرتبط بعضها ببعض، هو ناتج من محاولة البحث عن المتع المستعجلة والربح السريع والتعجل في تحصيله من غير تفكير وتدبر بالعواقب والنتائج، وهذه هي رغبات وشهوات عصر السرعة التي يسعى فيها الانسان للحصول على المتع بأسرع وقت واقصر طريق، فهو يتهرب من البحث الذي يستدعي الى التدارس والتريث، ومحاولة ربط الاشياء ببعضها، والنظر والبحث عن جذورها واغصانها، اي ما فوقها و ما تحتها، والنظر في علل وأسباب وجودها . إن هذه النظرة التفحصية والشمولية تؤدي الى رؤية عميقه ومتأنية تري الإنسان حقيقة صورة الحياة، غير أن هذه النظرة المتعمقة المتأنية الباحثة عن جذور الاشياء وحقيقتها، لا تروق لمنظري ما بعد الحداثة لإنها سوف توجد عوائق وموانع لشهواتهم المندفعة، ولذا يغضون النظر عن التعمق والرجوع الى المرجعيات، فنظرتهم للأمور سطحيه هوائية شهوانية، ليس فيها اي عقلانية او وجدانيه.

فليس هناك في حقيقة الحياة حلقات مفرده او انفلات منفرط متجزئ كما يدعون، لتأخذ وتختار ما تشاء من اي جزء شئت، من غير تأثير في الجزئية الاخرى المرتبطة بها، فالحياة صورة لقصة متكاملة لا يمكن تجزئتها أو اقتطاف جزء منها من غير اثبات صلتها وجذورها في الصورة الام، فلا يمكن التعامل مع جزئيات من صورة الحياة على انها صوره كامله لوحدها لا جذور لها. فهذا الاعتقاد هو الذي يدفع مثلا رجلا اعجبته امرأة وهرع الى التمتع بها من غير النطر في عواقب هذه المتعة او معلقاتها او حقوق زوجها، او ابيها، او اخيها، او ابنائها، أو ما ينتج عنها، فالنظر في المتعة بذاتها في جزئية الجمال والرغبة في التمتع بها والوصول إليها، من غير النظر الى مكانتها وصلتها بما حولها، هو استقطاع تعسفي اجرامي كاستقطاع جزء من جسد الإنسان على أنه جزء لوحده لا يؤثر ولا يتأثر بما حوله. وكذلك في كل امور الحياة من مال وحق وارض وعرض، او أي من متع الحياة الدنيا، فهذا التسرع في البحث عن المتع واستقطعها من اي مكان شئت من غير اي اعتبار، هو تخبط يجعل صورة الحياة الجميلة مشوهه وقبيحة , ويغير معنى قصة الحياة التي ارادها الله ان نعيشها . فهذه الارض هي السفينة التي ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا بها مثلا في حديثه عن اصحاب السفينة , الذي اراد بعضهم ان يثقب السفينة ليشرب الماء , لقد كان تفكير هؤلاء يمثل عقلية وتفكير انصار ما بعد الحداثة الذين يعتقدون أن المعرفة قابعة في القصص الصغرى المرتبطة بظروفها والمحددة بزمانها, فمن هذا المذهب ظن اصحاب السفينة انهم على حق في خرق الجزئية التي يسكنونها من تلك السفينة ,ولم يدروا أن هذه الجزئية هي ترتبط بكلية السفينة , فإن تُرك هؤلاء القوم وما يظنون ويشتهون ,اغرقوا سفينة الحياة وغرق الجميع , فلا بد من أن يأخذ على ايديهم ويمنعوا من الاندفاع وراء اهوائهم التي تفسد الحياة والمجتمع . فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا " (186) . فهذه منهج الاسلام في التعامل مع اصحاب هذه الاهواء، اصحاب العقول المظلمة, وهذا هو منهج دين الاسلام , الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فنحن على هذه الارض كأصحاب السفينة , نعمل جميعا لنجاتها كي تأخذنا الى بر السلام , فلا بد ان نعمل على صيانتها وصيانة من فيها , فمصالحنا مترابطة ومتشابكه , وما على هذه الارض من اشياء وخيرات نحن متشاركون فيه , فخير هذه الارض يعم وشرها يعم , ان عيب بها شيء اثر على كل سكان تلك السفينة , فأرضنا وسفينتا كالجسم الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسم بالسهر والحمى .فسنن وقوانيين هذه الارض واحده ,فقد جعلها الله منضبطة بحركات وبأسباب وقوانين يردف بعضها ببعض , فقد جعل الله فيها لكل شيء سبب , في حركتها الكلية , وبأسبابها الكلية, تعمل بقانون واحد يؤدي الى سبب واحد , لان خالقها ومبدعها واحد, ومردها واحد, وسبب وجودها واحد .

فنحن نؤمن أن لو سقطة قطرة ماء من ايدينا على الارض تداعه لها الاف بل ملايين الاسباب التي يردف بعضها بعض بقدر مقدر من القدير العليم ليتم بها ويتزن هذا النظام الوجودي للكائنات على هذه الارض من عظيمه الى ما دق في الصغر وعجزة عن رؤيته كل ادوات الرؤية والتكبير. فهذ قطرة الماء التي سقطت، سقطت بقدر مقدر لها لتحقق الاف الاسباب والأقدار المقدر في الالاف المألف من المخلوقات الكائنات، فالقطرة التي سقطة على بقعة من الارض روت ما عليها من المخلوقات الميكروسكوبية , وهذه المخلوقات سوف تفعل وتتفاعل مع الالاف المؤلفة من الكائنات الصغيرة الاخر ثم يمتد هذا التفاعل الى الاكبر والاكبر من المخلوقات والاحداث بفعل تلك القطرة من الماء التي قد تكون سقطة من فمك سهوا واعتباطا , ولكن في الحقيقة سقطت بقدر مقدر لها .

وهكذا هي قصة الحياة على هذه الارض في تجانس وانتظام تعمل وتسبح في عملها لخالق الانام. فأين تذهبون ايها الجاهلون بهذه العقول العمياء عن رؤية عظمة وقدرة رب السماء.

فالبحث عن المتع المؤقتة والسريعة هي نابعه من الأنانية والجشع والطمع والتي تدفع الى الانفلات الاخلاقي والتهرب من الالتزام المبدئي والديني والعقائدي وكل ما هو يقف بوجه تلك الشهوى المندفعة والغريزة العمياء التي تريد ان تنال كل شيء من غير اكتراث بعواقبه. فالشهوى المندفعة هي التي دفعت الاعتقاد بأنه ليس هناك عواقب للأشياء والمتع، وأن المرء يملك الحرية الكاملة في ان يفعل ما يريد، والنظر للأمور بجزئيه ضيقه، من منظار الشهوة لا من مناظر الحقيقة والواقع.

وللتعمد في تشويه الصورة وأربكاها أكثر، عملوا على طمس الحقيقة عن طريق محي اسماء الاشياء، وأعطاها مسمياه اخرى تناسب وتوافق رغباتهم وامانيهم الضيقة الانيه. وذلك في تحريف معاني الكلام عن مواضعها، وهو كقولهم سمعنا وعصينا، وأفرغ حقيقة الاشياء والكلام والمعاني عن حقيقتها، فهذا هروب من الحقيقة الى الخيال، وهذا الخيال هو ساحة وملعب الشيطان، الذي اخذهم اليه ليغلبهم على أنفسهم، ويضلهم عن طريق وجادة الحق.

يذكر الناقد الفرنسي شاتليه أن المسار النقدي العالمي اليوم آيلٌ إلى العدمية واللا شيء وإفراغ الإرادة من كل جوهر، وتحويل القدسية إلى سلسلة من الإجراءات، والحكومة إلى نظام من التهديدات، والفلسفة إلى مجمل من البيانات، والأخلاق والعلم إلى شبكة من المعتقدات النسبية، وإن عمليات التحول هذه -برأيه- ليست بريئة، بل هي مقترنة بتنظيم معين لإخضاع الإنسان، وإحلال قيم تقود إلى استعباد الفرد. (187). [ما بعد البنيوية، ص49] .

أما العالم والفيلسوف الفرنسي المعاصر إدغار موران (1921) الذي تندرج أعماله في خانة التنبيه الاستباقي ومحاولة إصلاح الإنسان بتعقب أخطائه التي قد تدفع به نحو نهايته . يقول في كتابه "العقل المحكم" , " إنه علينا أن ندرك جيدا أن علم المستقبل لا جدوى منه، وأن المستقبل البشري سيكون مليئا بالمفاجآت والشكوك، لكن من المؤكد أن النزاعات البشرية ستظل متواصلة، ناهيك عن أنها تنذر بتفاقم العنف والجهل أكثر من تعزيز الوعي، ويظل سيناريو الحرب النووية بمثابة تهديد للإنسان المستقبلي وتذكير مستمر بالفناء " .

ويرى أن سبب عدم الجدوى علم المستقبل أن " الطابع الكوني متعدد الأبعاد للأزمة وتعدد ردود الفعل المتبادلة بين مكوناتها المحلية والعالمية، يكشف عن العجز الفكري الذي نعاني منه وعدم القدرة على تصور الواقع البشري، ولا سيما في وقت الأزمات، وذلك بسبب عجزنا عن دمج جميع المعارف المشتتة والمجزأة في مختلف التخصصات، ولهذا السبب، نحن نعيش في عام 2021 مرحلة جديدة واستثنائية حيث تبلغ مفارقة القوة المطلقة والعجز البشري ذروتها (188).

إلا أننا نرى أن فشل اعتقاد شاتليه في البحث في المستقبل او الاستشراق والتخمين بالمستقبل هو ناتج لعدم فهم الكلية وانعدام القابلية على رؤية الصورة الكبرى والمتكاملة في اطار واحد , غير أن المسلمين العارفين والمستبصرين بنور الله وبكتابه وتعاليم رسوله يستطيعون أن يضعوا الصورة في اطار واحد كبير , ويستقرا الاحداث والمألات التي فيها وما يمكن ان تأول اليه, لما عندهم من ارشادات ودلائل تبين مأل كل فعل ومنتاه على هذه الارض ومألة وعاقبته في اليوم الاخر .

بينما يرى موران أن هذا العجز لا يعود إلى هشاشة الإنسان فحسب (أمام المصائب والموت والمجهول)، وإنما أيضا إلى الآثار المدمرة للقدرة الكلية العلمية والتكنولوجية والاقتصادية المدفوعة في حد ذاتها بالإفراط المتزايد في الرغبة في اكتساب السلطة وتحقيق الربح.

ويقول: يجب أن ندرك أن أي شيء يمنحنا الاستقلالية تقنيا وماديا يمكن أن يستعبدنا في الوقت ذاته، مثل الذكاء الاصطناعي والآلات الصناعية، وعلينا ألا ننسى أن الأزمة التي نشهدها هي أزمة معرفية، حيث تحل **المعلومات محل الفهم**، فيما تتعرض المعرفة المعزولة للتشويه . (190)

وقد استوقفني قول موران في ان اي شيء يمنحنا الاستقلالية تقنيا وماديا يمكنه ان يستعبدنا في نفس الوقت , إن هذا كلام الفطرة حيث فطرة النفس على الاستكانة للذي قادر عليها ويستطيع ان يعطيها ما تشاء وترغب , فهنا المفصل في الاعتقاد بالذي يستطيع ان يمنحك الاستقلالية تقنيا وماديا وفي كل جوانب الحياة , فالماديون يؤمنون بالمادة وما تصنعه أيديهم وهو كل ايمانهم واعتقادهم وتوكلهم عليه , فإذا ما حصل شيء غير الذي صنعته أيديهم او اعجز عملهم وما يصنعون وما لا يستطيعون فهمه وادراكه وسبب حدوثه , تاهوا واستسلموا للمجهول القادم كما فعل شاتليه او ذهبوا يبحثوا عن كنه ما حصل في نظريات وفرضيات لن توصلهم الى شيء لإنهم إس تجلبوها من ظلمت انفسهم التي غاب عنها نور البصيرة . اما المسلم الحقيقي فهو في راحة من هذا كله لإنه قد ايقن وعرف من الذي يمده بكل ما يملك ومن هو قادر على ان يحقق له ما يصبو اليه , وما الذي يوصله الى السعادة والراحة ومن ذا الذي يكفيه ما يخاف فيتوكل عليه في كل امره فيعبده ولا يعبد غيره.

إن هذا التشاؤم في المستقبل البشري، والمردود الى عدم القدرة على تصور الواقع البشري والقدرة على جمع ودمج المعارف المشتتة والمجزأة في مختلف التخصصات، وعجز العقول على تفسير نلك الازمات وحل شفراتها، فيتيهوا في فرضيات غير مفهومه, **إن هذا الاستنتاج الذي توصل اليه يبين لنا مدى حاجة البشرية الى الرجوع الى المصدر الاول للعلوم البشرية كلها , وهي الفطرة السليمة** , والتي تدعوك للبحث عن المهيمن والمسيطر والمقدر وتدلك عليه . لتهتدي بعدها الى ان الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير، الذي قد بعث لك رسل تهديك وترشدك الى الصواب وتأخذ بيدك الى السعادة في الدارين الدنيا والاخرة. وأنه ختم تلك الرسالات بدستور كامل شامل موضح وفيه تبيان لكل شيء وهو القرءان الكريم. فقط بهذا العلم يستطيع عالم اليوم أن يربط الامور والعلوم كلها ببعضها البعض حتى يتفهما ويتداركها.

ويبين موران عجبه هذا في عجز البشرية في عالم اليوم، العالم الذي يدعي انه بلغ القوة والمعرفة المطلقة، كيف به يقف عاجزا مستسلما لذلك الجرثوم اللعين " كورونا 19" الذي سلب ارواح الملايين من البشر وهم عاجزون عن عمل اي شيء. ليعترف بعدها قائلا (إن الفكر البشري القادر على ابتكار أكثر الآلات تعقيدا غير قادر على خلق أبسط يعسوب، هذا الذكاء القادر على إطلاق الصواريخ والمحطات الفضائية في الكون وابتكار ذكاء اصطناعي قادر على إنجاز جميع العمليات الحسابية لا يمكنه تصور مدى تعقيد الحالة البشرية) (188).

إن ما توصل اليه من الاعتراف بالعجز، يبين أن الإنسان لا يستطيع إلى أن يستسلم لقدرة الله وعظمته عند من يفكر ويتفكر فيما حوله، وهذا ما توصل اليه كل المفكرين الذين فكروا وبحثوا فيما حولهم.

وكذلك يعترف إدغار في كتابه “إلى أين يسير العالم؟" (أن التقدم لا يعني نفع الإنسانية، مدللا باستغلال الدول الكبرى التقنية الحديثة لصالحها، وعدم قضاء الإنسان على الوحشية، وتنبأ في كتابه بأن تاريخ العالم لن يتوقف عن العنف والصدمات، معتبرا أننا لا نزال نعيش قيم العصر الحديدي) (188).

وهذا اعتراف صريح من عالم ومفكر غربي يعيش في عالم 2021 أن كل ما توصلوا اليه من علوم ومعرفه ونظريات، لم يوصلهم الى السعادة المنشودة التي يبحث عنها الإنسان، بل أنه يعتقد أن الإنسانية تراوح مكانها في العصر الحديدي، العصر الذي سخر فيه الإنسان الحديد لقتل اخيه الإنسان. (188)

وقد بين كثير من المفكرين المسلمين الاسباب الحقيقية في فشل الغرب في الوصول الى الحياة السعيدة والى العالم الحر الذي يستطيع الانسان ان يعيش فيه بأمن وأمان وسعادة واطمئنان . يقول الدكتور عرابي عبد الحميد أن فلسفة وأفكار "ما بعد الحداثة" الغربية فشلت لإنها لم تعتمد على معاير اختلاقيه حقيقيه , فيقول عنها " أنه إذا كان فيها الواقع بلا اتجاه، وكانت الحقائق عدمية، والأمور نسبية، والقيمة منفيّة ومنفلته، في أفق ما بعد الحداثة , فالأولى أن لا تكون ثمة إمكانية لقيام أية معيارية، بل لا يمكن تأسيس أي نظم أخلاقية بشكل عمومي، وكل ما يمكن التوصل إليه هو الاتفاق على أخلاقيات براغماتية (عملية) تأخذ شكل فلسفة القوة والهيمنة “للأقوياء” وفلسفة الإذعان والتكيف “للضعفاء”، إذ لا تُوجَد معايير متجاوزة للإنسان ولا تُوجَد وسيلة لتعريف الظلم والعدل، وبناء على ذلك فالأخلاق نسبية، وما يعد خُلقًا فاضلًا في ثقافة ما , قد يكون ظلمًا في ثقافة أخرى، والعكس صحيح ، ومن ثمَّ فلا إمكانية لنقد خلق بمعنى التقويم والتصحيح، وإنما بمعنى البحث الدائم عن المعنى اللانهائي، فإن كانت السلوكيات الجنسية الشاذة  -كالمثلية الجنسية- أمرًا مرغوبًا لدى جماعة فإنه لا ينبغي تخطئتهم أو لومهم بل يجب احترام رغبتهم، مع الحرص الشديد على وسم رفض “الشذوذ” بأنه نتاج صنع الثقافات “الجائرة” التي تريد أن تفرض “حقائقها” على الآخر لأنها حقائق مطلقة . ولذا فإن ما بعد الحداثيين يرون في المنظومة الأخلاقية –أيا كانت- نتاجاً لتحالف الدين والسلطة أو المعرفة والقوة فهي مؤدلجة بطبيعتها لتفرض رأي الأغلبية. (187

أما الفيلسوف والمفكر الامريكي المعاصر نعوم تشومسكي , يوصف عالم اليوم وفلسفته القائمة على هيمنة فكر الاقوياء على الاخلاقيات وتعريفها لما يوافق مصالحهم , فيقول " **بالنسبة للأقوياء الجرائم فقط هي التي يرتكبها غيرهم "** . وأما عن عالم السياسة فيقول ان الديمقراطية ما هي إلا سياسة " البروباغاندا ( الدعايات التضليلية ) , و التي تمثل للديمقراطية ما تمثله الهراوة للديكتاتوريات " , وأن ما تدعيه القوه المتسلطة والمهيمنة على العالم , مثل امريكا والغرب في انها تسعى الى حرية الشعوب ونصرة المظلوم ومحاربة الإرهاب والتطرف الاسلامي , ما هو إلا تضليل للتضيق وقهر الشعوب وسلب حريتها , فيقول **" ليس الاسلام المتطرف ما يقلق امريكا , إنها الحرية** " ثم يقول " إذا كنا لا نؤمن بحرية التعبير لمن نحتقرهم ,فإننا لا نؤمن بها على الاطلاق" . (190)

إن هذه المحاولات في الانقلاب على الحقائق ومحاولة الانفلات من القيم الأخلاقية, من اجل الوصول الى المنافع الشخصية الضيقة , لا تبني عالم مستقر امن , إن هذا التغيير والتلاعب في المعاني الحقيقية للأشياء وللأفعال يزلزل حقيقة الحياة ويشوه صورتها ويفقدها نظارتها , وتختل موازينها وتضطرب , فلا أمن ولا أمان , ولكن خوف وجوع وحرمان , فأي حضارة هذه ينشدها العالم , بل هو قانون الغاب , ولذلك فهي في تصارع , ولن تجد فيها اي تصالح ووفاق , ومن هنا ينشأ ما يسمى صراع الحضارات , فهو في حقيقته , **ما هو إلا صراع البقاء في عالم غير منضبط بقواعد أخلاقية ثابته .**

ونحن نعتقد أن أثار التخبط في تيارات ما بعد الحداثة نتج عن التخبط في تحديد ماهية الانسان وذاته، وأصله , ومنطلق ثقافاته ومنتجه الفكري . فكيف يؤمن بالأخلاقيات والقيم الإنسانية من يعتقد أن اصل الانسان كان قردا او خليه انيميه , إن استبعاد تيارات "ما بعد الحداثة" العنصر الروحي الالهامي المستنير من الفطرة الربانية التي فطر عليها , هو ناتج من إيمانهم بأنهم كانوا حيوانات او حشرات ثم صاروا بشرا , ولذلك صار اعتقادهم بأن الفكر لا بد ان يكون مستحدث من رغباتهم وشهواتهم وميولهم , وأنه ليس هناك اصل او مصدر للأخلاق والقيم , كما يعتقدوا ان ليس هناك مرجع واصل لخلقهم بل هو تطور طبيعي اوجدته الصدفة , ولذا يعتقدون ان فكرهم يجب ان لا يكون له مرجع , بل يجب ان يشرع من اهواء المحيط وتلبيساته . وهذا ما جعلهم لا يلتفتون الى اي مصدر توثيقي للأخلاقيات والقيم، ولا في تفسير وتأويل للأحداث والمحدثات والمتغيرات والمتطلبات والرغبات والشهوات والتطلعات، الى اي ميزان خلقي او مصدر فكري، بل يؤول ويفسر كل ذلك باندفاعات الهوى والرغبات غير المنضبطة بأي أخلاقية ذات مرجعيه معتمده، بل من خلال الاندفاعات الشهوانية الحيوانية البهيمية.

إن الإنسان لا يستقيم امره إلا إذا استقامة افعاله وافكاره مع النور الفطري والبوصلة الفكرية الفطرية والتي هي وحدها التي تستطيع ان تسمي الاشياء بمسمياتها الحقيقية، وتبين للإنسان المسار والهدف الصحيح للوصول الى الهدف الأسمى والارقى في الحياة، ليصبح بها الإنسان منسجما مع نفسه ومع ما حوله من كائنات ومخلوقات، والتي جميعها ترتبط في كينونة واحده ونظام وسنة واحده اوجدها فيها موجدها وخالقها. فكل الموجودات المخلوقة منفطر على سنة التسليم المطلق لخالقها، فمتى ما انحرفت عن فطرتها، ارتبكت حياتها ومصطدمة بما حولها ومع نفسها.

إن الانسجام الفكري والعقائدي لكل ما على الارض , يجعل الانسان يسبح في ملكوت الله في امن وأمان , لا يعكر صفو حياته ولا ينغصها شيء , لإنها تكون جميعها في حالة تسليم وتسبيح وتعظيم لمبدع ومبدئ هذا الخلق , فبوصله كل المخلوقات اتجاهها واحد, لا تضارب ولا تصادم بين الانسان وذاته , وبين الانسان واعضاء جسده , وبين الانسان وما يحيط به من مخلوقات , فكلها متجه ومسلمه ومتسالمه ومسبحه مع إلالة الخالق لها( فما من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحه )," فسبحان الذي خلق فسوى, والذي قدر فهدى , والذي اخرج المرعى " ,لقد خلق الله كل شيء فسواه وأحسن خلقه , و قدر لكل شيء امره ومقداره وقدرته , واخرج كل نبت او مخلوق بقدر لقدر قدره , لا يزيغ عنه ولا يطغى .

فسبحان الذي لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو السميع العليم، فإن لم تبصره العيون، ولكن تبصره البصيرة، المستنارة بنور الله، فكل ما على الارض محكوم بسنته وقدرته وقدره المقدر له من خالقه. فلا تصادم ولا تضارب حضاري ولا معرفي، فكل شيء عنده بمقدار، فهو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، **فلا تصادم وجودي او معرفي او مصلحي بين البشر، ولا تصادم بين الانسان والبيئة والطبيعة. وهذا هو ما نريد ان نؤكد عليه في بحثنا هذا.**

ان ما يعانيه الانسان من تخبط هو ناتح من انفصام المعرفة النفسية الذاتية الفطرية مع العلم العقلي الملاحظ والملموس، او بمعنى اخر هو انقطاع التواصل بين العقل والقلب، اي ان نور القلب الفطري لم يعد ينير قناة العقل ويعينها بمعارفه وادراكاته المستنيرة من نور الله الذي أستودعه فيه. فالعقل لوحده قد يتيه ويعجز في إدراك كثير من المسائل المستحدثة، لان عمله عمل مقارن بين الاشياء، فلكي يدرك العقل ما حوله فلا بد له من أن يعقل الصورة بكل اجزائها لتستبين له حقيقتها، فاذا لم يكن له خيارات، او معرفه مشابه ومقاربه او مقارنه لتلك الصورة او الهيئة، فأنه لا يجد حلا او جوابا لما يواجه في تلك المسألة، فلا بد من أمداد معرفي ومصدر اخر يستقي منه المعرفة غير الملاحظات الحسيه والمشاهدات النظرية، لتعينه على التفسير والتحليل وإعطاء الجواب والحل الامثل لما يعرض عليه.

إن هذا هو سبب ضلال الانسان وتخبطه وسبب صراعه مع نفسه ومع غيره من البشر ومع الطبيعة التي يعيش فيها. فهذا الصراع والتخبط يبقى قائما ما دامت تلك القناة مغلقه بين العقل والقلب.

**صراع الحضارات ومسبباتها الحقيقة: -**

إن شخصية الانسان الحضارية تتكون من تفاعل الإنسان مع محيطه، ان هذا التفاعل يتحكم به ويديره مقدار ما في الإنسان من مصدر نوري ينير انسانيته فينار العقل بمصباح البصيرة لتتفهم حقيقة ما حولها فتتفاعل معه وبه على نور من ربها، فتصبح حين ذلك هي المتحكم في ذلك التفاعل وتديره لصالحها وتقتبس منه ما يفيدها ويلائم انسانيتها. اما إذا كان الإنسان فاقد نور البصيرة كما أسلفنا، فان فهمه وتفهمه لما حوله وما يحيط به يكون فهما سطحيا قد لا يدرك في كثير من الأحيان حقيقة ومعنى كثير مما يرى من محيطه او الاحداث التي تعصف به فيغوص في تلاطم بحر من ظلمات النظريان والتأويلات الغير مرتكزه على فهم حقيقي لما يدور حولها، ليتكون من خلال ذلك التفاعل شخصية الإنسان ونظرته الفكرية وثقافته الشخصية.

فالصفات والسمات الحضارية هي سمات مجتمعيه تتسم بها الامم والاقوام نتيجة للتأثيرات المختلفة المحيطة بهم، والتي تشكل صفه وسمه حضارية خاصة بهم. إلا انه هذا المفهوم الحضاري يختلف مفهومه وتقييمه. فقد نجد ان ما يوصف او يدعى أنه حضارة وتقدم عند قوم، يراه الاخرون تخلفا وجهلا. على الرغم من أن مدلول كلمة الحضارة هو الرقي والتقدم والسمو في الصفات والاعمال والافعال عند كل الامم، إلا ان تعريف مدلول الرقي والتقدم يختلف من قوم الى اخرين لاختلاف المصدر المحيطي الذي له تأثير كبير في ناتج التفاعل الفطري وتعريفاته ودرجات نقاوة الناتج المكتسب من ذلك التفاعل.

فالحضارات تختلف باختلاف تهذيبها ومصدر اكتسابها , فحضارة الاقوام هي الناتج الفكري للمكتسب المكون للناتج العقائدي , والناتج من التفاعل الفطري مع المكتسب المحيطي , فمثلا حضارة اهل المشرق تختلف عن حضارة اهل الغرب , فأهل المشرق اكثر عاطفيه ودفئ في التأثير الروحي , وذلك لكون وجودهم في ارض الاباء والاجداد , وهي الارض التي نشأة فيها كل الحضارات وبعثت فيها كل الرسالات , فهم لا زالوا يعيشون في كنف ودفئ حضارة الاباء , وفي دفء ارض الاجداد , فلم يواجهوا صدمات او تغير مفاجئ او سريع يهز من شخصيتهم او يرعب كيانهم ووجودهم , كما قد حصل لأهل الغرب الذين تركوا ديار الاباء والاجداد وعاشوا في محيط جديد وغريب وفي ظروف جديد وغريبه عن كل ما ألفوه وبعيد عن المصدر الحضاري الانسان وذلك لإن الإنسان الأول كان حياته وبدايته الأولى في الشرق, مما جعلهم متخوفين مما حولهم , فتقوقعوا على انفسهم خوفا من القادم الغير متوقع في الارض الجديدة والظروف الغير مألوفة , فصاروا في خوف مما حولهم ولا يأمنوا الى على ما في ايديهم وما يلمسون , فأصبحوا ماديين لا يؤمنوا إلا بما يرون, ويخافون من كل ما هو مجهول او غائب عنهم.

إن الذي كرس هذا الشعور هو عدم ايمانهم بدين يسكن روعهم ويدلهم على ان كل شيء بيد خالق مقتدر مطلع لا يغيب عنه شيء وأنهم في علم وحفظ الله أينما كانوا، ولا يحصل شيء إلا بأمره وعلمه.

ولذلك وجدنا أن التأثير الفطري أكبر فاعليه على شخصية الانسان الشرقي منه على الغربي، وذلك لآن فطرة أهل الشرق تنقحت كثيرا على طول العصور من الرسالات التي ارسلت فيهم وبين وظهرانيهم. اما أهل المغرب فغلبت عليهم المادية والواقعية أكثر، لكونهم قوم مهاجرون نشاؤا بعيدا عن مساكن الاباء والاجداد ’ فقسّت قلوبهم الغربة والحاجة والخوف من المجهول.

فالتاريخ البشري وأثاره تشير الى ان الانسان الاول ادم وذريته سكنوا المشرق من الارض ثم بعد ان تكاثروا واصبحوا امم وشعوب وقبائل كثيره انتشروا في الارض وهاجروا الى الغرب من منشئ الاباء والاجداد .ولذا كان التأثير الخارجي والمحيطي قد غطى على التأثير الفطري , فمحيط الغربة ولد الحيطة والخوف والترقب والتعلق بالأشياء والعوامل المحيطة به اكثر من التفكر والتدبر المنطلق من الحس الفطري , فالخوف من القادم ومن المحيط الغريب الجديد جعل التعلق والتفكر بالمحيط اكثر من الاحساس الداخلي والعقائدي , فأصبحوا أناس ماديون لا يؤمنون إلا بالملموس والمحسوس , فولد ذلك الفكر الغربي الانعزالي الاناني الفردي الانحصاري المتوجس والمتخوف والشكاك , ليس له امان بأحد إلا نفسه , فلا إيمان بالغائب القادم , ولا ايمان بالغيب او بالعالم الاخر, حتى وإن كان دينه الذي يؤمن به يحدثه بذلك, , إلا أن أيمانه بالغيبيات ليس مطلق وجزمي به, كإيمان المسلمون.

فدرجة الطمأنينة والامان عند الإنسان الغربي اقل بكثير منها عند الانسان الشرقي , او قد تكون معدومة في كثير من الاحيان, وان الوحشية والانعزالية والحذر الشديد والاعتماد على النفس متأصل فيهم, إن هذا الخوف الموروث في الجين الغربي لا يطمئن الا الى ما في يده , ولا يأمن بما يأتي به الغد من مفاجأة , فمهما ملك من عوامل العيش والطمأنينة إلا انه في خوف من الآتي المجهول ومن المحيط المتلبس بظلمات التيه ,لذا نجده في حرص شديد وقلق مستمر بما يهمه من امور الدنيا , اما نظرته للأخرة فهيه سطحيه ليس متيقنان منها, ولا تشغله كثيرا لآن فكره منشغل بما يحيطه وما يجد فيه, فهو يأمن فقط بما ترى عيناه وتلمسه يداه.

غير ان الوازع الفطري لا يموت ابدا في الانسان اين ما حل وكان، فهو ساحل الامان في امواج بحر الظلمات في الإنسان، فإذا ما تعبت النفس في غربتها، وتاه الانسان في بحر الامواج المتلاطمة في ظلمات البحر المظلم، ركن الى ساحل الفطرة ليستريح قليلا، فإذا ما وجد ما يريحه ويهدئ ارقه وتعبه استطاب له الجلوس وخلد اليه، **فالفطرة دار الامان وملجئ الانسان في الازمات والصعاب**، فكلما داهمه المحيط بصعاب لا قبل له بها، أنزوى بداخله ولجئ الى فطرته يطلب الامان، فتدله على طريق النجاة والأمان.

فنجد الانسان الغربي نتيجة لذلك الخوف المستديم والمزمن فيه تراه يبحث كثيرا عن معتقدات وفلسفات اخرى، عله يجد فيها الطمأنينة والامان من بحر ظلمات الشك والحيرة والاضطراب النفسي كلما ذكر الموت واليوم الاخر. لقد كان الاسلام الارض الخصبة لزرع نبتة الايمان في قلوب الكثير منهم، فقد انار الاسلام كثير من تلك القلوب الحائرة الى الساحل الفطرة، ساحل الايمان والاسلام والاستسلام لله الواحد القهار الذي خلقهم.

إن هذا الاختلاف في اوليات والمصدر لتلك الحضارات هو الذي يؤدي الى مكتسبات حضارية مختلفة، وهو نفسه ينقلب الى صراع حضاري بين المجتمعات والدول، لاختلاف الأولويات والتطلعات والرغبات بين الفريقين ثم ينقلب الى حروب واقتتال وتدافع وازدراء للفكر المقابل.

فالحروب الفكرية القائمة ضد الفكر الإسلامي هو لإنهم يرونه فكر متحدي ومخالف لجوهر معتقدهم العقائدي الفلسفي الذي يؤمن بالماديات الملموسة ’ مما يجعل نظرته للأشياء والحوادث ولمعنى الحياة وهدفها ككل مخالف للفلسفة الإسلامية للحياة , فالمسلم يعتقد بأن ما هذه الحياة إلا جسر للحياة الأخرة الأبدية السرمدية وليست هي غاية ومقصد حياته, بل هو يعتقد ان حياته على هذه الأرض ما هي إلا مسرح للامتحان عليها , فإذا انقضى وقت الامتحان وحان وقت تسليم الاوراق وحانت ساعة الموت , وسلمت الروح الى بارئها ليحاسبها على نتيجة عملها في ما امتحنت به, ولذلك فهو يراعي وينظر الى ما يرضي الله في كل اعماله لإنه يعلم أنه محاسب عليها.

فالمسلم ينظر للحياة على هذه الارض على انها مرحليه واداة للوصول للعالم الاخر، ام الغرب فينظر للحياة الدنيا على انها هي الهدف الاساسي لخلق الانسان ليتمتع فيها وليأخذ كل نصيبه منها، فهي الحياة، ولا حياة غيرها، لأن ايمانه في الحياة ا لأخرة مضعضع وليس يقينيا.

إن هذا الاختلاف الفلسفي الحضاري للحياة وطريقة العيش فيها، يجعل النظر اليها مختلف كليا بين الفريقين.

فالفكر الاسلامي فكر علاجي لكثير من الامراض النفسية التي يعاني منها الغرب، والتي تنشئ من الضيق الفكري والفلسفي للإنسان الغربي، فيما يواجه من امور الحياة أو في الحصول على الرزق والعمل، فتتلجلج نفسه، ويضق عليها أمره، وترتبك احوالها لعدم وجود افق ورؤية ابعد من الافق المادي للأشياء. فإيمانهم مادي صرف لا يؤمن إلا بما يرى ويتلمس، فهو يعتقد ان الامر كله في يده اوفي يد من حوله. اما الإنسان المسلم، الذي سلم أمره الى خالقه في كل ما يهمه في هذه الحياة، وفي كل ما يعجزه او يقهره فيها، فالمسلم يعتقد ان الامر كله بيد الله يرزق من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده خير العالم والكون بأسره، لا يغيب عنه غائب، ولا يعجزه شيء، وهو على كل شيء قدير. إن هذا الايماني التوكلي على عظيم مقتدر يجعل الإنسان قويا مقتدرا على التغلب على مشاكله وهمومه، ليقينه أن الأمر بيد قوي عزيز. وان كل ما يحدث للإنسان هو بعلم الله وتدبيره. إن عدم وجود هذا الافق في التفكير يجعل الانسان الغربي ضيق النفس، لضيق الافق في تفسير الحوادث التي تحصل حوله. فإذا ما وجد افق او سبيل يحل له اشكاله وتأزمه، ذهب اليه ولاذ به، وبهذا نجد الاقبال الشديد على اعتناق الدين الإسلامي في العالم الغربي. واكبر دليل على ذلك هو ما نراه الان يحصل في غره من ظلم شديد وقتل وحشي فيه النساء والأطفال والشيوخ ومسح وتدمير كل ما على الأرض من بنيان وحيوان وقتل الناس في المستشفيات والملاجئ وبيوت العبادة بعمل تقشعر منه الابدان, وكل هذا ترى الإنسان المسلم في غزه يصبر ويتصبر ويحمد الله على كل ما فقد من غالي وعزيز ونفيس مما جعل الغير مسلمين من الغرب يندهشون مما يرون من صبر واحتساب وصمود وعدم إنهزاز في يقين وايمان بما يعتقد هؤلاء الغزاويين الفلسطينيين, مما جعلهم يعجبوا بهذا الإيمان والاعتقاد فأقبلوا على الإسلام بإعداد كبيره مما في هذا الدين من ايمان واعتقاد يشفي فيه جروح انفسهم وحيرتها وتجاوب على كثير من تساؤلاتها مما رؤاه من ايمان هؤلاء من صبر يهز ويقهر كل صعوبات الإنسان ولم ينهزم او يكفروا برببهم الذين يؤمنون انه مطلع عليهم ويرى ما بهم فيؤمنوا انه قادر على نصرهم, وان كل ما بهم هو ابتلاء واختبار صبرهم وليعلم الله الذين جاهدوا ويعلم الصابرين ويتخذ منهم شهداء سعداء الدنيا والأخرة, حمد في الحياة الدنيا بين الناس على صبرهم وصمودهم, وجزاء عظيم ووفير في جنات النعيم في الأخرة.

وهذا ما جعل هذا الدين خطرا على دعاة المادية لما يرون من اقبال شديد عليه، فهذا الفكر يحرر الإنسان من عبوديتهم، التي جعلت الإنسان ألة وماكنه للعمل طوال حياته من اجل مصالحهم ومنافعهم الخاصة، لقد وضعوه في نظام كالدابة تعمل في ساقية تجلب الماء للغير ولا يسعها ان تشرب منه إلا ما يقدم لها لتروي به عطشها ويقويها لتكمل عملها. ان هذا النظام يجعل من الإنسان لا يفكر إلا في العمل والحصول على لقمة العيش وما يقوي به بدنه ويقيم حياته وان ليس له هم في هذه الدنيا إلا إرضاء من بيده مصدر رزقه الذي يستعبده. فكل الاهتمامات الاخرى في الحياة من علاقات اخويه واجتماعيه وصداقات تصبح ثانويه او لا قيمة لها. فلقمة العيش هي الهم الاكبر والأهم في حياة الانسان. مما يجعل حياته بهيميه في كثير من الاحوال. ونرى من سلبيات ذلك التفكير في حياتهم هو تعاملهم مع أطفالهم وأبنائهم من مبدأ مادي صرف يقتل العلاقات الغريزية الفطرية العاطفية فهم يربون اولادها ويعتنون بهم، حتى إذا ما صار وقوي ساعدهم على العمل في ساقية الحياة تخلوا عنه وتركوه وشئنه، وانقطع كل شيء بينهم، رغم أن الولد او البنت في ذلك الوقت المبكر من العمر لا زالوا في حاجه الى النصح والعون والارشاد، مما يجعلهم يقعوا في متاهات ومشاكل كثير في حياتهم، مما ينتج عنه ضياع الاجيال القادمة التي تُركت تتخبط في متاهات الحياة الصعبة، من غير نصح او معونة. فالولد والبنت في ذلك المعترك لا يفكرون إلا في النجاة والحصول على ما يجعلهم واقفين في تلك الساقية التي تجرف وتلفظ جانبا كل من توقف عن السير، فنجد الكثير من الذين عجزوا وجرفت بهم الامواج خارجها، بلا عمل ولا مؤوى يعيشون في الطرقات وتحت الجسور مشردين لا أحد يسأل عنهم، فالكل ملتهى في جريانه وسباقه في تلك الساقية، خوفا من ان تجرفه خارجها، فيصبح مشردا منبوذا في ذلك المجتمع الذي لا يرحم يتعاطى المخدرات للهروب من واقعه المزرى العصيب. إن ذلك الفعل ورث الاولاد ضغينة على الاباء لإنهم لم يجدوا العون منهم في تلك الاوقات العصيبة من حياتهم، ولذا نرى ابائهم لا يلقون رعاية وعون من أبنائهم عند شيخوختهم وعجزهم، بل يلقون في بيوت العجزة كأنهم مساجين يدفعوا غرامة ما اقترفوا من ذنب في حق أولادهم.

إن هذا النظام يقتل إنسانية الإنسان ويجعله في غابة من الخوف، من ان لا تتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق. إن الفكرة المادية والنظرة المنفعية الشخصية الأنانية الفردية في فلسفة العيش، هي التي تجعل من الإنسان المادي وحش كاسر يدوس على كل المبادئ الإنسانية في سبيل الحصول على مراده.

إن نظرة الإسلام الشمولية التكافلية المجتمعية المعارفية. المستقاة من المفهوم والفكر الاسلامي الذي يرسم شكل العلاقات بين بني البشر، كما في قوله تعالى “وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمك عند الله اتقاكم " تبين ان سبب الاختلاف هو للتعارف والتعاون على فعل الخير. وأن الأفضلية بين الخلق هي في الأخلاق الحسنة وفي تنقية النفس من الاضغان والأحقاد، ولاتقاء والحذر من الوقوع فيما يؤذي الناس فيغضب رب الناس. وأن الخيرية بين الناس والأمم هي للذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وينشرون الخير والأمن والأمان بين الناس ويؤمنون بالله. ولقد وصف الله تعالى المسلمين الأوائل الذين اتبعوا ما أمروا به بقوله (وكنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله).

فالاختلافات التي بين البشر في الألسنة والألوان، والتفاوت في درجات الرزق والمناصب والمراكز، ورفع البعض فوق البعض الاخر درجات في مستويات المعيشة والمناصب، ما هو إلا اختبار وامتحان وتمحيص وأدوار كتبت على الإنسان في هذه الحياة ليقوم فيها بدورة الإعمار كل من موقعه وما سخر له واعطي إياه.

فالكل مدعو على اختلاف الوانهم والسنتهم ودرجاتهم الى التعارف والتعامل والتسابق على فعل الخير والنهي عن المنكر، واعمار الارض بالخير والصلاح والإصلاح. فقد جعل الله لكل إنسان دور في عملية الإصلاح والتعمير، من موقعه ومركزه الذي اوجده فيه، فلكل مستخلف على هذه الارض ليعمل وليصلح بها من موقعه، كما هو واقع سنة الله في جميع المخلوقات على هذه الارض، إن هذا التوازن في الوجود واستدامته وانتظامه هو نتيجة لانتظام عمل ودور كل مخلوق في وجوده وحياته.

**الإسلام وعصر ما بعد الحداثة":** -

فإذا ما تدارسنا هذه الرحلة في مراحل تطور ما بعد الحداثة، والتي عادت بالحضارة الى انتكاسه السفسطة، نتساءل في سياق التلخيص والنقد، ولننطلق في هذا العرض من مصادر المعرفة الاولى في بلاد الاغريق. والتي نشأت وتأسست مع بدايات الفلسفة اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد واستمرت خلال الفترة الهلنستية، وقد تناولت مجموعه واسعه من المواضيع، بما في ذلك الفلسفة السياسية، والاخلاق والميتافيزيقيا، وعلوم الوجود والمنطق، وعلوم الاحياء والبلاغة، وعلم الجمال. وكذلك تناوله الفلسفة اليونانية القضايا الإنسانية والروحية والأخلاقية كثيرا، وهذا يدلل باعتقادي ان لتلك العلوم الفلسفية قد يكون لها جذور معرفيه من وحي الرسالات السماوية التي سبقتها، واعتقادي هذا ناتج عن أن تلك الفلسفات يشع فيها شيء من بصيص البصيرة والتي عادة ما تقدها الرسل السماوية. إلا أن هذا التوجه الفكري غاب عند فلاسفة العصور الوسطى، وذلك للبعد الفكري والاعتقادي في تلك الفترة الزمنية عن تعاليم الرسالات السماوية، وبانقطاع ذلك النور عن القلب أظلمت تلك العقول، فلم يبق من تعاليم المسيح عليه السلام في عالم الغرب شيء. فصارت رؤيتهم الفلسفية تدور في منطق فارغ من معاني الحياة الحقيقية، وتدور في ظلام دامس عن الحقيقة الضائعة فيه.

فبعد أن أشرق نور الرسالة الخاتمة في سماء الغرب، أس تشربت وأنيره عقولهم بذلك النور هربا من ظلمات الكنيسة، وتفتحت مداركهم في ظل ذلك النور، فطوروا حياتهم المادية وتوسعت مداركهم العلمية، فبنوا وطوروا بذلك العلم حياتهم المادية.

لكن ذلك النور لم يجد منفذا الى قلوبهم ليفتح باب المعارف الربانية، وليلتقي نور الرسالة المحمدية بنور العهد الرباني في قلوبهم.

لقد أحدث النور القادم من الشرق ثوره فكريه في الغرب أطلقوا عليها مصطلح الحداثة، وسمي ذلك العصر بعصر الحداثة او التنوير، لآنه أحدث فيهم الفكر والنظر وابتعدوا عن الرتابة والجمود، وتبعية الفكر الكنيسي المحتضر. **فتغيرت نظرتهم للحياة من خلال نور العلم والمعرفة الذي جاء به المسلمين.**  فتخلصت عقول مفكريهم وفلاسفتهم من سلطه الكنيسة، التي سجنت تلك العقول في زنازين الخرافات والاساطير، ومنعت العقل من التفكر والتدبر وتقدير الأمور والاحداث، لقد كان المجتمع الاوربي جميعه يعيش كقطيع من العبيد يقدم الطاعة العمياء للكنيسة، من غير سؤال او تدبر بما يؤمر به او يسمعه، الى ان شع نور العلم والمعرفة فيهم فتحررت تلك العقول من تلك الرتابة، وأشعلت فيها ثورة على الجمود والخضوع لسلطة الكنيسة.

إلا أن تلك الثورة المندفعة من تحرر العقل، والخارجة من سجن الخرفات الكنسية، لم يصحبها نور القلب والمعارف الربانية، مما اوقعها في نتائج سلبيه لتلك الثورة العلمية، التي امنت بالعقل بما ملك وبما انتج من منافع شتى في كثير من مجالات حياتهم اليومية، وبما اكسبهم من حريه فكريه، انطلق عنانها في الفكر العقلي المادي من غير التفكير البصير الذي ينيره نور عين القلب، فطار العقل بما ملك وعلا , فملك قلوبهم وأستعبدها , فقدسوا العقل وعبدوه وقدسوه, ونسوا الله وعهده في قلوبهم, التي ماتت في ظلمتها, فنسوا الله فأنساهم أنفسهم.

غير أن هذه الأزمات النفسية والمشاكل الاجتماعية التي اصابتهم في عصر الثورة الصناعية، والتي أنتجن الصراع بين الروح التي تبحث عن علم الله وطاعته وبين النفس المتمردة والتي شطت وسبحت في الانفلات العقلي الذي لبى لها كل رغباتها.

إن هذا الصراع الذي نغص عليهم حياتهم، وجعل السعادة والاطمئنان يهربان من قلوبهم، مما جعلهم يدركوا ويوقنوا أن العقل غير قادر وحده عن تلبية متطلبات وخلجات النفس الحائرة، التي أفقدتهم السعادة الروحية والاطمئنان النفسي. فقد أدركوا أنهم قد سجنوا أنفسهم في اهواء فارغه لا روح فيها ولا معنى، وأن هذه الاهواء لا تروي عطش اللهاث الروحي، ولا تجيب تساؤلات النفس الحائرة، ولا تقدر ان تهدئ من روعها، فتملئت نفوسهم خوفا وقلقا من المجهول القادم، فلم تعد انفسهم تدرك معنى وحقيقة الحياة التي تعيشونها ولا حقيقة مصيرها بعد الموت.

إن هذا اللهاث والعطش المعرفي لا يرتوي إلا بنور رباني سماوي يطمئن النفس والروح بعلم يطابق فطرتها التي فطرة عليها.

إن تيارات "ما بعد الحداثة" ما هي إلا تيارات عبثيه مقوضه لكل المرجعيات. ومندفعة وراء الرغبات والشهوات الحيوانية وما تهوى الأنفس. فأغرقتهم في بحر لم يجدوا فيه ساحل يحطوا فيه من تعب العوم المفرط، بحثا عن ساحل قواعد الحياة وثوابتها وسننها.

غير أن الفكر الاسلامي قد استقر على ثوابت راسخه لها جذور في نفسه ومنسجمه مع فطرته، وهي تفترق عن تيارات "ما بعد الحداثة “بإيمانه اليقيني والمطلق بوجود الله واعتقاده بالقرآن مصدرًا دينياً أوحي به إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأن العقيدة الإسلامية تشكل مرجعيته الإيمانية وغايته والقيمة الكبرى التي تحملها رسالته.

وأن الاسلام هو دين البشرية جمعاء , وهو ما جاءت به الرسل من ابينا ادم الى اخر انبياء الله محمد صلى الله عليه وسلم , وأن هذا التسليم والاسلام هو فطرة الانسان التي فطر عليها , وهو فطرة جميع المخلوقات , يقول تعالى ( إن الدين عند الله الاسلام ) اي أن كل الرسالات السماوية جاءت بدين واحد وهو الاسلام , فليس دين عند الله غير الاسلام ,وهذا الاعتقاد ينافي ويخالف الفكر العبثي والعبثية التي تدعوا اليه تيارات ما بعد الحداثة , فلأسلم والتسليم يعني أننا نؤمن بأننا نسلم الامر لعليم حكيم تطمئن لهو قلوبنا وعقولنا على أنه أعلم منا في تسيير هذه الحياة لإنه خالقها ومكونها وهو القادر عليها , وهو الذي يعلم مستقرها ومستودعا, وان المسلم يوقن ويعلم أن لهذه الحياة دورة تعيده فيها الى خالقه الذي خلقه , فردا منفردا عما حوله, منسلخا عن مجتمعه وعن كل ما ملكه , كما جاء الى هذه الدنيا فردا منفردا , لقول تعالى ( وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فرادى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ) الانعام 94 .

ومن غرائب هذا العقل الضال في فكر عصر ما بعد الحداثة، أن تلك العقول عندما وجدت انها صغيرة في تكوينها وحجمها وكينونتها في هذا الخلق العظيم، الذي رأت عظيم شأنه احتقرت خلقها واعتقدت انها لا شيء وأنها مخلوق عبثا في هذه الحياة، بدل من ان يستدلها عقلها من عظيم خلق ما حولها ان لهذا الكون خالق عظيم وانه لا يخلق شيئا عبثا وان لكل خلق في هذا الكون شأن وأمر خلق لأجله. إن هذا يدلل على مدى الانغلاق والابتعاد بين العقل والروح والضمير الانساني الذي ضمر الله فيه علم الربوبية.

فلعدم معرفة مغزى هذه الحياة، وعدم علمه بأنها ما هي إلا معبر لعالم اخر اكبر وأعظم من هذا العالم، فظن أن وجوده فيها عبثا لا قيمة له فيها، وأنه لا يقدم ولا يؤخر شيئا في هذا الوجود , ولم يدرك أن الله رغم صغر الإنسان وكينونته جعله سيدا على هذه الارض وأن كل شيء فيها مسخر له ,وأن هذا الخلق العظيم بكل ما يحمل من العظمة في التكوين والقدر والحجم يعيش به وفيه الإنسان حرا طليقا متحكما , فلو كان في قلبه وعقله نور من نور البصيرة لأدرك أنه عظيم بذاته وخلقه كهذا الخلق العظيم .

**إن عظمة الانسان تظهر في مقدار فهمه لنفسه، وفهم معنى ومقصد هذه الحياة، وإدراك قيمتها وعظمتها في تحديد حياة العالم الأخر الأبدية، وإدراكه أن هذه الحياة ما هي إلا جسر ومعبر الى الحياة الأبدية.**

إن القرءان الكريم يؤكد حقيقة ان لا عبثيه في خلق الانسان ولا في خلق السموات والارض , يقول تعالى {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنّا إن كنا فاعلين} (191) ، *وقال تعالى :[وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار}(192 ) ،فالله يؤكد لنا في هذه الآية انه ليس هناك عبثيه في الخلق , وان لله حكمة في خلقه يدركها من استنارت عقولهم وقلوبهم بنور الله ,* وان كل شيء عنده بميزان , وان كل انسان ملزم ومسؤول عما يقول ويعمل , وأن كل منا يخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشوراً , ليقول له ,إقراء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .

**العصر الاسلامي عصر النضوج الفكري:**

لقد اكتمل النضوج الفكري الإنساني ,عندما استضاء العقل البشري من " نور بصيرته " , والتي هي عين "عقل القلب" الخازن والمتلقي للمعارف الموحات والملهمة من خالق الإنسان والتي هي كالحبل السري للطفل في بطن امه , فالإنسان ما دام هو في معية الله فهو يتلقى معارفه وارشاداته القلبية من ذلك الحبل المتصل بالله ,يقول تعالى ( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا , وذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم , فأصبحتم بنعمت الله إخوان ,وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ) ( 193) , هذه هو الحبل الذي غير الإنسانية , وغير القوم من اعداء متفرقين يقتل بعضهم بعضا , لقد كانوا في صراع وعذاب وخوف في الحياة الدنيا ومأل خزي وخسران في يوم الميزان يوم العرض على رب الانام . لقد أنقذ الله البشرية بهذا الحبل النوراني، فصار لمن تمسك به نورا يشع على من حوله، وهكذا ساد وانتشر النور، ونضج الفكر الانساني، وانفتحت العقول والاذهان فكان منها ما كان من تطور ومعرفة لما حولها وبصيرة رأت فيه الخلائق خالقها بعين القلب لا بعيون العميان، لتكتمل دورة المعارف عند الانسان.

يستنير "الفكر الإنساني"، الراسم لثقافة وحضارة الإنسان. والمستنير من عين بصيرة الإنسان الكامل، بمحتواه العقلي والفطري والذي يستطيع ان يري حقيقة ما يدور حوله من احداث ويتلمس محدثات ما حوله. بهذا النضوج فقط يبلغ الانسان انسانيته الحقيقية التي يستطيع من خلالها اعمار الارض وإزهارها.

بهذا النضوج الفكري يستطيع الإنسان التوصل الى العلوم والمكتسبات العقلية المستنارة بالمعارف الفطرية لتلتقي معها وتنسجم في بوتقة القلب، لتعطي للعقل الناتج الفكري الذي يستطيع ان يجيب على تساؤلاته، ويرشد حيرته فيما غمض وعصي على العقل من ادراكه، **لقد كان العقل عاجزا عن تفسير كثير من ما يدور حوله قبل فتح قناة التلاقي بين العقل والقلب والمكنون الفطري** .

إن هذا الانسجام الفطري، اراح النفس البشرية من الارتباك والصراع الفكري والنفسي، فسكنت حيرتها، وهدئت، وتصالحت مع ما حولها، لإنها أدركت حقيقته، فأنست واستأنست به. فصار الإنسان في اعلى مراتب ادراكه , المنسجم مع نفسه , وفطرته , ومع ما يحيط به من مخلوقات وموجودات , إن هذا التوافق والانسجام جاء من الإقرار والتسليم بأن لهذا الكون رب وخالق واحد , مهيمن ومسيطر على كل حركاتها ومطلع على أمرها, ومهيمن عليه , فأسلم وسلم الانسان أمره الى ربه فَسَبَحَ مع تيار التسليم والتسبيح للخالق مع كل المخلوقات التي تحيط به , فتطمئنت النفس بهذا التسليم لخالقها , التي عرفت قدرته عليها , فسبحته وقدسته , فانسجم الجميع في نغم جميل تطيب له النفس وترتاح له الروح ويطرب له القلب ويرتاح به العقل . لتصبح النفس مطمئنة راضيه، في سعادة لا مثيل لها ولا تضاهيها او تشابهها اي سعادة. فهي في هذا التسليم تكون قد وصلت في سعادتها ورضها الى جنة حياة الدنيا، والتي هي مفتاح وبوابة جنة الحياة الاخرى. وقد قال العارفون، أنه من لم يدخل جنة الحياة الدنيا لا يدخل جنة حياة الأخرة. إن هذا الاطمئنان والتسليم هو جنة الحياة الدنيا الذي يسعى اليه الانسان وما تتمناه الإنسانية المتحضرة.

ومما تقدم تتبين العله في سبب ارتباك الغرب وضياعه في متهات وتطلعات هجائية ونظريات وفلسفات سفسطائية خاليه وبعيده عن الواقع , فلآن الانسان الغربي يشعر بالوحشة والغربة والخوف من ما حوله ومن المجهول كل مأخذ , لا يعلم حقيقته وجوده في هذا العالم , تأخذ به الظنون والمخاوف الى هلوسات وتهيأت , **فلإنسان الذي يجد نفسه في مكان غريب لا يعلم عنه شيء ولا يعلم ما الذي جاء به الى هذا المكان , فمثله كمثل أنسان صح فوجد نفسه في غابة كبيرة عظيمة لا يدرك مداها وبعدها واتجاهاتها وما فيها وما عليها وما يدور حوله, فلا بد ان يهرع ويخاف ويشعر بعدم الأمان والاطمئنان** .

أما الإنسان إذا ما ادرك موقعه وموضعه وسبب وجوده وموجده في هذا الحياة، وادرك حقيقتها وحقيقة كل ما حوله، استأمنها وطاب له العيش بها واطمأن لها, لإنه قد علم سننها وطريقة العيش فيها , فتصالح وتفاهم معها ومع ما حوله , لإنه أدرك أن كل ما حوله محكوم بحكم واحد وحاكم واحد , وسنة واحده , فسلم وستسلم واطمئن .

إلا أن في مسالك وطرق مراحل تهذيب النفس وتطويعها للوصول بها الى بر الأمان والاطمئنان والتسليم لخالقها، عوارض وأزمات نفسيه، من نفس أمارة بالسوء ومما يحيط بها من مغريات واهواء ووساوس، ونزعات شيطانيه ومحيطيه، تتطلب مد وعون فطري من فطرة سليمه، ومن ارشاد سماوي من رسالات الله. لتصل بالنفس الى طريق التسليم الكامل. وهو منتهى ما يصبوا له الانسان، وهو غاية ورجاء العاملين في تزكية النفس من شوائب الهوى والوساوس والشهوات، للتخلص من الخوف والفزع والقلق والارتباك والصراع النفسي.

فسالكي هذا طريق يتفاوتون في درجات التسليم، لأنه طريق مجاهدة النفس، ففيه صراع مع النفس والهوى، وكل رغبات النفس الامارة بالسوء، ووساوس شياطين الانس والجن. وفي هذه المعركة والصراع، يتدرج العاملين في تزكية النفس الى ان يصلوا الى درجة الاولياء لله، ثم يتم الصفاء والتسليم.

**فالتسليم المطلق هو الاسلام الحقيقي** , وهو حقيقة دين الله "الاسلام" الذي اختاره الله منهاجا وطريقا وسبيلا لحياة الإنسان على هذه الارض, وسماهم بهذا المنهاج "المسلمين" , قال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم ,هو سماكم المسلمين من قبل ,وفي هذا ليكون الرسول شهيد عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم المصير )(194) , فالله جل وعلا يدعوا الى مجاهدة النفس حق المجاهدة , اي بكل جهد تملكه النفس , وضرب لنا مثلا في هذه المجاهدة نبيه ابراهيم عليه السلام , والذي ابتلي بمجهدات وابتلاءات اوصلته الى مقام أن يكون للناس امام وقدوة , يقول جلى وعلا ( وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما \* قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ) (195 ) , إن التسليم الذي وصل اليه نبي الله ابراهيم عليه السلام لا يناله من اتبع هواه وشهواته فظالم نفسه وغيره ذلك التسليم الذي يُرِيدُنا الله ان نسعى ونصبوا اليه , لنكون حقا مسلمين نسعى الى التسليم والتفويض والتوكل على الله في امرنا كله . وقد أرشدنا الله الى سبل هذا التسلم بثلاث امور موصلات وهن حبل الله المتين الذي أردنا الله ان نتمسك به لننال ذلك الإجتباء وأولهن الصلاة وهي الصلة بالله الدائمة من خلال الصلاة الركوع والسجود والدعاء، والثانية الصلة بالناس من خلال الزكاة والتي توصل الى التراحم والمولدة والألفة بين الناس، والصلة الثالثة هي الاعتصام بالله وهي ان نعمل في هذه الحياة بين الناس بما امر الله من غير خوف او وجل معتصمين به معتمدين على نصره وتأييده وعونه لا نخاف في الله لومة لائم. فمن استمسك بهذه الصلات الثالثة استحق دلك اللقب العظيم "الإسلام" الذي اخترانا الله به عن سائر الأمم التي سبقتنا لنقود الإنسانية الى يوم القيامة الى طريق الحق والرشاد ونعمرها بالأمن والأمان، لنكون شهداء عليهم يوم الدين إذا ما أسلمنا لله حق التسليم.

إن حاملي هذا المنهج هم شهداء الله على الناس وعلى البشرية جمعاء لإنهم حاملي مشعل الحق والنور والإصلاح والإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد كانت دعوة التسليم لله والايمان المطلق به، هي وصية الله وانبيائه ورسله للناس جميعا. يقول عز وجل ( يأيها الذين امنوا أتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون )(196) ,ووصى الله بها ابراهيم ,( إذ قال له ربه أسلم قال اسلمت لرب العالمين )( 197), وقد وصى بها ابراهيم ويعقوب أبنائهم , في قوله ( ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنا إلا واتنم مسلمين \* أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله أباءك إبراهيم وإسمعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون) (198) , ,وقد دع يوسف ربه لنيلها وان لا يموت إلا وقد نالها , أي وهو مسلم مستسلم لله حق التسليم , يقول جل وعلا عن يوسف في دعائه (" ربي قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت ولي في الدنيا والاخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ") (199) , وكذلك حواري عيسى عليه السلام ,قد اقروا بهذا التسليم ( وإذ اوحيت الى الحواريين أن أمنوا بي وبرسولي قالوا أمنا واشهد بأننا مسلمون ) (200) .

إن التسليم الحق لله يأتي على قدر معرفة حقيقة عظمة الله وقدره وجلاله , وعظيم سلطانه, فالتسليم يكون على قدر الثقة واليقين بقدرة الله وعظمته وعظيم صنعه , **فمقام معرفة الله هي مقام التسليم وهي درجة الاسلام** ,والناس تتفاوت في اسلامها وتسليمها لربها , فمن اسلام الاعراب الذي كان فارغ من الايمان والتسليم, كما هو حال كثير من المسلمين في ايامنا هذه , فهو إسلام وتسليم لما يدين له الاباء والاجداد , إن الاسلام اليقيني هو الذي اوصى به ابراهيم ويعقوب بنيه , وهو الاسلام الذي تمنى يوسف ان يموت عليه , وهو الذي امرنا الله ان لا نموت إلا وقد وصلنا اليه , وهو التسليم والتفويض الكامل والحقيقي لله جل وعلا , فالمسلم يترقى في درجات ايمانه حتى يصل الى الايمان اليقيني , ثم يترقى فيصل الى ايمان عين اليقين , كرأي العين من غير اي شائبه او تشويه او شك في حقيقته , يقول تعالى ( يأيها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون )(201) , إننا نجد من هذه الآية ان طريق الوصول الى الاسلام والتسليم الحقيقي واليقيني هو تقوى الله حق تقاته, فمراقبة الله في السر والعلن , تعني ان القلب متعلق بالله , ويعلم علم اليقين ان الله يراقب كل خطواته وهفواته وهمساته , فبهذا يكون التسليم لله, وهو حقيقة التقوى ان تجعل الله في قلبك وعقلك وفي كل جوارحك ,وهو شغلك الشاغل الذي لا يمكن ان يمر عمل او قول او خاطر يخطر ببالك إلا من خلال مروره بمصفاة التقوى والورع والتحسب لله في كل شاردة ووارده صغيرة كانت ام كبيره , وفي كل نية او قرار تقرره في نفسك او تعمل به يدك , فهذا هو طريق الاسلام الحقيقي والتسليم الحقيقي لله جلا وعلا ,وهو الذي يريدنا الله ان لا نموت إلا وقد وصلت قلوبنا اليه واعتادت جوارحنا عليه . إن هذا ما يجعل الإنسان في عمل دؤوب طوال حياته في مسعى للوصل والترقي في درجات الإيمان ليصل الى ايمان عين اليقين، ومنهاج المحسنين.

ويقول في هذا الشيخ الجليل عصام الحساوي حفظه الله " اعلم أن اليقين هو العلم الذي لا شك معه ولا تردد، وحقيقته رؤية العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان اي مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب، فتبدأ الاسرار بمخاطبة الافكار، واليقين عند اهل السلوك يبدأ بالعلم وهو ما يحصل عن الفكر والنظر ويسمى بعلم اليقين، ثم يترقى فيصير بالعيان والمشاهدة القلبية ويسمى بعين اليقين، ثم يصير حقيقة عند اجتماعهما ويسمى بحق اليقين. واعلم ان اليقين موهبة من الله فمن حرك الإرادة في طلب الحق تعالى وجعله مقصودة رزق باليقين وجاءته المعرفة وصار مقامه التصديق وصار مقام التصديق، ثم الاخلاص، ثم الشهادة، ثم الطاعة فصارة المعرفة اول الوجبات وقد ذكر الله تعالى اهل اليقين في قوله وفي الارض آيات للموقنين وقال تعالى وبالأخرة هم يوقنون وقول النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا، فصار اليقين كالشجرة ثمارها التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد، والتوكل، والمحبة، والرضى. “ويعني بمشاهدة الغيوب رؤية آيات الله في عظيم خلقه وعجائب صنعه التي لا يراها إلا الذين صفة قلوبهم بقربها من الله واصبحت ترى بنور الله بدائع صنعه، الغائبة عن الذين لاهية قلوبهم عن ذكر الله وأياته.

وقد وجدنا ترقي انبياء الله وأصفيائه في هذا التسليم، حتى وصلوا الى التسليم المطلق اليقيني لله رب العالمين، فنرى مثلا موسى عليه السلام عندما كلمه ربه في الوادي المقدس طوى ولى هاربا ولم يعقب لما رأى عصاه اصبحت حية تسعى، وبعد ان تسلم الرسالة وترقى في الايمان، نجد كيف أن الايمان ثبته عندما وجد في نفسه خيفة من سحر سحرة فرعون ولم يهرب كما فعل في الاولى، ولكنه ثبت وأمتثل لآمر الله وألقى عصاه فالتقفت ما صنعوا من السحر وابطلته. وقد ترقى هذا الايمان اليقيني، وأصبح في صورة اليقين الكامل، عندما لحق به فرعون وجيشه ليبيده وقومه، فلم يخف من شيء ولم يرتجف من فرعون وجنوده، قيد أنمله، بل ثبت وثبت قومه الخائفين، وقال لهم لا تخافوا إنا معي ربي سيهدين، فهذا هو التسليم اليقيني، الذي رأى فيه نصر الله ومعيته رأي العين، من عين اليقين .

ووجدنا المصطفى المختار محمد صلى الله عليه وسلم قد وصل الى عين اليقين في ايمانه وتسليمه لله , في وقت مبكر جدا من استلام رسالة ربه فنراه وقد عرض عليه عمه أبو طالب , ما عرضت عليه قريش من جاه ومال وكل ما يشتهيه من الدنيا , او العداء والموت , فرد بأيمان عين اليقين , بالثبات على امره , وهو في ضعف بين قومه لا حول له ولا قوة من بطشهم وتجبرهم , إلا حول الله وقوته ,فكان ايمانه بحول الله وقوته ايمانا يقينا , وقال قولته المشهور " والله يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر, ما تركته , حتى اهلك دونه " , وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يوم الطائف , ثابت العزم والشكيمة في ذلك الامتحان الصعب , يومها وقد فقد اعز الناس الى قلبه زوجته خديجه ام المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها , وفقد عمه سنده وعزوته بين قومه , ليواجه بعدها ذلك الكره والشر والعدوان والرفض من اهل الطائف , لقد وجدنا التسليم اليقيني لله مولاه في دعائه الذي ناجى به ربه , حيث قال "**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك " (202)** , لقد كان همه فقط في تلك المناجاة ان لا يكون سبب ما أصابه هو غضب وسخط من الله , فقال **إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي** , اي لا يهمه في الامر كله إلا رضى الله , فجائه جبريل يطمئنه ويقول له ,ان اردت ان يخسف الله عليهم هذان الجبلان فيهلكهم جميعا ,فقال لا عسى ان يخرج الله من نسل هذه القرية من يعبده ,فكان على ايمان يقيني ان دعوته سوف تصل الى كل الناس , فهو مؤمن بنصر الله ولم يهتز ايمانه مهما قست عليه الاحداث , وقد كان في كل مواقفه كذلك . فعند خروجه من مكة وهو في الغار وقريش تبحث عنه وتريد قتله رأينا فيه ذلك اليقين والتسليم الراسخ بنصر الله ومعيته، فقال لصاحبه أبو بكر الصديق رصي الله عنه وهو خائف عليه، لا تخف إنا الله معنا.

وكذلك وجدنا صاحبه هذا ابو بكر الصديق يترقى في هذا الإيمان, فقد رأيناه خائف في الغار من أن يكتشف اعدائهم مخبئهم وأرتعب, كيف ترقى به الايمان واليقين ليقف وقفته المشهورة تلك التي كانت سببا لاستدامة شعلة الاسلام وانتشار دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العالمين من بعده , فعندما اهتزت الدنيا بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم , وارتدت الاعراب واعلنت الروم الحرب على المسلمين ,وأوشكت ان تنفلت دولة الاسلام التي بناها رسول الله , وارتبكت الصحابة بموت رسول الله وارتجف الكثير منهم لصعوبة الموقف , وخافوا على دولة الاسلام , واشاروا عليه بأن يرجع الجيش الذي جهزه رسول الله لقتال الروم , ليحمي المدينة من المرتدين, وأن يهادن الذين امتنعوا عن اعطاء الزكاة, حتى تهدئ الامور . ففي ذلك الموقف العصيب، يمتحن به قوة الايمان والتسليم واليقين بمشيئة الله وقدره الذي قدره، فلا خوف ولا فزع بل تسليم مطلق، فقد دشن خليفة رسول الله قيادته للأمه , بهذا اليقين والتسليم , وقال لأصحابه لا تخافوا وتجبنوا فالله ناصر دينه , فلم يتنازل قيد أنمله او يتراجع عن ما كان عليه صاحبه رسول الله , فبعث الجيش لقتال الروم وحارب المرتدين في وقت واحد, ولم يتنازل عن عقال بعير كانوا قد التزموا به لرسول الله , فهذا الثبات الراسخ في هذه المواقف الصعبة تدل على مدى رسوخ الايمان والتسليم لله جلا وعلا .

وقد وجدنا خليفته عمر ابن الخطاب , الذي خاف وترجف عند وفاة رسول الله وطلب من صاحبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه بإرجاع الجيش عن مقاتلة الروم , خوفا من المرتدين , كيف أنه ترقى به إيمانه وتسليمه لله بعد ذلك, لقد شاهدنا مواقفه الإيمانية في عهد حكمه , تتجلى بثقته بالنصر من الله , فقد كان يوصي جنوده بتقوى الله والاعتماد والاتكال على الله , لا على اسلحتهم وعتادهم , وقد عزل القائد المغوار, قاهر اعداء المسلمين , سيف الله المسلول خالد ابن الوليد رضي الله عنه وأرضاه , عندما سمع ان المسلمين الذين يقاتلون تحت قيادته , يظنون ان جيش خالد لا يهزم لشجاعة خالد وحنكته وبأسه في الحرب , فعزله خوفا من ان جند المسلمين قد يظنوا ان النصر قادم من بسبب بسالة خالد وحنكته لا من عند الله , فيقل ايمانهم وتوكلهم على الله . فعزله غير مكترث ولا قلق ولا خائف، لإنه كان واثقا ان النصر من عند الله وحده.

ومن النظريات الإسلامية التي تدعوا العالم الغربي الى التعرف اليها والاستماع لها والتي تدعوا من خلالها التقارب والتواصل المعرفي والحضاري هي نظرية الدكتور والأستاذ الكبير الدكتور طه عبد الرحمن، وقد أحببت ان اعرضها في كتابي هذا لكونها تصب في نفس ما يحمل كتابي هذا في دعوته.

**نظرية الدكتور طه عبد الرحمن “الائتمانية": -**

وقد تكلم الدكتور طه عبد الرحمن عن دور المسلمين والاسلام في الاصلاح ومعالجة المشاكل الاجتماعية والعقائدية والفلسفية في نظريته الائتمانية التي طرحها في كتابه "العدالة العالمية والاخلاق الائتمانية “.

فبين ما في الحداثة الغربية من قصور، وأعطى الحلول لها من تراثه الفكري الذي يغديه الدين، كفيلسوف عربي مسلم. فهو لا يقول إن الإسلام وحده هو الحل، بل يقول إن الديانات السماوية كلها قادرة على ذلك، ولكنه أعطي التميز للإسلام كمكمل لهذه الأديان.

فيقول إن التأويل الأخلاقي لروح الإسلام قادر على المساهمة في الحوار العالمي حول مستقبل الإنسان عامة، وليس مستقبل المسلم أو العربي وحده. فقد طرح الأستاذ طه نطرته الائتمانية كالمفكر إنساني، يهمه الإنسان أولا، وليس العربي أو الذات المسلمة في العالم الإسلامي فقط .

فقد انتقد طه عبد الرحمن النصوص الحداثية الكبرى في الفلسفة الغربية لتركيزها على تسيد الإنسان في العالم، انطلاقا من واقع الحداثة الحالية، وهو واقع شرس يظهر بموقع المدافع عن الإنسان وفي نفس الوقت يأكل جوهر الإنسان. (214).

1. وفي محاضره لفي تاريخ 4-25 2019 في اكاديمية المملكة المغربية قدم شرح لنطرتيه الائتمانية والتي أكد فيها على مسلمة منهجيه اساسيه وهي ان الايمان يعقل كما ان العلم يعقل والفرق بين العقلين ان علم العقل ينطر في الظواهر بينما علم الايمان ينظر في الآيات , والفرق بين الظاهرة والآية هو ان الآية اصل والظاهر فرع, فيقول إن الآية هي ظاهر الشيء متصل بأفقه الاصلي من المعاني والقيم , او باختصار بأفقه المعنوي من المعاني والقيم او بإفاقه المعنوي , بينما الظاهرة هي ظاهر الشيء منفصل عن افقه المعنوي الاصلي , ويتخذ هذا الفصل إحدى الصورتين إما ان يحذف الافق المعنوي الاصلي بالمرة وكأنه في اصله غير موجود وأما ان ينقل الى لغة الظاهر كأنه في اصله ظاهر , ومعلوم ان ظاهر الشيء هو كل ما يقبل منه **التحيز والتحديد والتملك , والنظر في الظواهر يسمى تفكيرا بينما النظر في الآيات يسمى تفكُراً**, اما عملية الفصل الافقي المعنوي الاصلي التي تجري على الآية حذفا او نقلا فلنصطلح على تسميتها بالتظهير اذ تأول الى اخراج الآية في صورة الظاهرة. (واحب ان استجلب صورة لنظرية الاستاذ طه عبد الرحمن بأية من سور الرحمن تصور لنا معنى التفكير والتفكر, يقول تعالى( وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ) (215) .

فالله العليم القدير يخاطب في هذه الآية العقل ليعقل اية الليل والنهار والشمس والقمر الظاهرون للعيان والمدركون بالتبيان الظاهر **تفكيرا** , ليستجلب الايمان **تفكرا** وتأملا بعظيم هذا الخلق فيعقل الايمان بأن لهن خالق عظيم , فإذا عقلها الايمان فلا بد ان يدرك أن من خلقها وصورها هو أعظم منها , فيسجد ويسبح ويعظم من خلقهن لا عظيم خلقهن وينسى خالقهن .

,ثم لنعود الى محاضرة الاستاذ طه حيث يستدرك ويقول " وتجدر الإشارة الى ان التظهير أعم مما يسمى بالعلمنة فكل علمنة تظهير لكن ليس كل تظهير علمنه , اذ العلمنة تفيد اساس المعنيين احدهما اعم من الاخر فقد تفيد اخراج الآية في صورة الظاهرة الدنيوية تعلقا حصريا بالحياة الدنيا كما تفيد اخراج الآية في صورة الظاهرة السياسية طلبا للتدبير السياسي بينما التظهير لا يوجب تعلقا دنيويا ولا قصدا سياسيا , وبنائنا على هذه المسلمات المنهجية وما يترتب عليه من الفروق المفهومية فإنما يميز **النظري الائتمانية** من غيرها من النظريات الأخلاقية المعاصرة هو انها تتوسل **بالتفكر** باعتباره **تفكيرا** وزياده , اذ أن هذه النظرية تأخذ بأسباب الظاهرة كما يأخذ بها التفكير ولكنها تتجاوز هذه الاسباب الى ما ورائها من المعاني والقيم الأصلية على اساس ان هذه المعاني الأصلية تعطي المشروعية الكيانية لهذه الاسباب الظاهرة كما ان القيم الأصلية تعطي المشروعية العملية لتأثير هذه الاسباب , بينما النظريات الاخلاقية المعاصرة تتوسل بالتفكير ممارسة التظهير حيثما وجدت الافاق المعنوية الأصلية اذا تحذفها او تستبدل بها لغة الظاهر وتفعل ذلك بدعوى وجود التعارض بين الايمان والعقل وهو ما تنفيه اصلا النظرية الائتمانية ويبدو ان احدث نموذج لهذا التظهير في المجال الاخلاقي هو موضوع العدالة العالمية الذي شرع المنظرون الاخلاقيون يشتغلون به منذ التسعينيات من القرن الماضي, والمراد بالعدالة العالمية , العدلة التي يتعدى سلطانها مجال الدولة الواحدة او الوطن الواحد , الا انها هي ليست نوعا واحدا وإنما هي انواع عده اشتهر منها ثلاثة : - وهي العدالة الدولية , والعدالة العولمية فالعدالة الدولية التي تعتبر حدود الدول , والعدالة العولميه التي لا تعتبر هذه الحدود . والقصد من هذا العرض هو بيان كيف ان النظرية الائتمانية تقوم على مبادئ اختلاقيه تستلزم وجود عدالة اوسع من هذه الانواع الثلاثة وندعوها بالعدالة الكونية، ثم نبين كيف ان النظريات الأخلاقية المعاصرة التي تأخذ بهذه الانواع الاخرى من العدالة العالمية تتعاطى تظهير الافاق المعنوية الأصلية التي تتأسس عليها مبادئ النظرية الائتمانية اذ تقوم بإضافة اوصاف العقلانية التفكيرية عليها حاجبتاً حقيقتها التفكرية.

وتستخلص النظرية الائتمانية مبدئها من مواثيق كبرى اخذت من الانسان وتشترك فيها الاديان المنزلة بل تشترط فيها الاديان كلها حتى تلك التي لم يثبت نزولها اذ الراجح ان الاديان الغير منزله تكون قد قلدت الاديان المنزلة في العمل بهذه المواثيق بوجه من الوجوه بحيث يصح ان نقول ان كل دين كان ما كان هو ذو طبيعة ميثاقيه وليست هذه المواثيق المشتركة بين الاديان تعهدات افتراضية في عالم التفكير وإنما هي تعهدات حقيقيه في عالم التفكر , فالحالة الميثاقية حالة تفكرية عابره للأديان كلها , اما في صورة مباشره في حالة الاديان المنزلة او بصورة غير مباشره في حالة الاديان المقلدة و نحصي من هذه المواثيق العالمية الثلاثة , ثلاثة هي باصطلاح النظرية الائتمانية هي **ميثاق الاشهاد ,** **وميثاق الأتمان ,** **وميثاق الإنزال** وقد استنبطت هذه النظرية مبادئها الأخلاقية من هذه المواثيق الثلاثة , وهذه المبادئ هي على التوالي :- مبدئ الفطرة , إذ إن الاساس التفكري لمبدئ الفطرة هو ميثاق الاشهاد في قوله تعالى ( وإذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلا شهدنا ..)(2) ويمكن ان نستنبط من هذا الميثاق الاول النتائج الأتية :-

ان هذه الميثاق لم يؤخذ من الانسانية على وجه الجملة وانما اخذ من افرادها واحدا واحدا بحيث لا يغني فيه احد عن احد 2 - ان كل فرد سأل عن الربوبية شهد بها عن معرفة يقينيه 3\_ ان هذه المعرفة اليقينية متعلقة بالضرورة بصفات وكمالات الإلهية التي دلت على هذه الربوبية

4\_ ان تجلي هذه الصفات والكمالات الإلهية لكل فرد خلفت بالضرورة اثار ايمانيه في نفسه

5- ان هذه الاثار الإيمانية اتخذه صورة معاني روحيه وقيم اختلاقيه بدت في فطرته 6- ان لزوم الفطرة لكل فرد يقطع عنه كل حجة وعذر في ترك الوفائي بالمقتضى الاشهادي لهذا الميثاق.

ثم يقول تأسيسا على هذه الفوائد الشهادية نصوغ مبدئ الفطري من مبادئ النظرية الائتمانية على الوجه التي: -

إن فطرة الانسان تحمل المعاني والقيم التي يكون بها صلاح حياته، يلزم من مضمون هذه المبدأ، أن الفطرة غير الغريزة، اذ الغريزة هي جملة الدوافع الحيوية التي تحمل الانسان على طلب البقاء، بينما الفطرة هي جملة الضوابط الأخلاقية والروحية التي توجه هذه الدوافع بما يهذبها ويصلحها , يترتب على هذه ان العدالة الائتمانية توجب اجمالا حفظ الضوابط الفطرية في سلوك الانسان عملا وتعاملا .

المبدئ الثاني: مبدأ الأمانة، إن الاساس التفكري لمبدئ الأمانة هو ميثاق الائتمان ( إنا عرضنا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا )(5) . . ويمكن ان نستنبط من هذا الميثاق الثاني النتائج الأتية:

1\_ ان دخول الانسان في العلاقة الميثاقية اوجب عليه كمال التجرد من الاسباب والاغراض الخاصة.

2- ان الانسان استوى مع الكائنات الاخرى في تعاطي هذا التجرد الميثاقي.

3 انه تلقى كما تلقت هذه الكائنات العرض الإله بعرض الأمانة.

4- انه اشترط عليه في حملها كما اشترط عليها كمال العقلي وكمال العدل.

5- انه تمتع كما تمتعت بالاختياري بالقبول بحمل الامانة او رفض حملها.

6 - أنه اختص من دون سائر الكائنات بأراده حمل الأمانة حتى ولو لم يدرك كمال العقل ولا كمال العدل.

7- انه صار بموجب هذه الارادة الاولى مسؤول عن كل شيء في العالم، حتى عن الكائنات التي اعرضه عن الأمانة اشفاقا منها. وتأسيسا على هذه الفوائد المتضمنة في ميثاق الإتمان نصوغ مبدأ الأمانة من مبادئ النظرية الائتمانية كالتالي: -

إن الانسان مؤتمننا على ما به صلاح الحياة في العالم. ووضح ان ما تصلح به الحياة بالذات المعاني والقيم التي تحملها الفطرة الموروثة عن ميثاق الاشهاد , واول هذه المعاني والقيم بعد الايمان هو الاختيار . اذ تمتع به يوم عرضة عليه الأمانة. والقيمة الثانية هي الاستواء اذ تحقق بينه وبين الكائنات الاخرى في ذلك اليوم الاستواء، وأوضح ايضا ان مبدأ الأمانة يزيد مفهوم العدالة الائتمانية تفصيلا اذ يتبين ان هذه العدالة تركز على قيمتين اساسيتين: هما الحرية والمساوات وهكذا فإن هذه العدالة تقضي اول ما تقضي بجلب الحرية وجلب المساوات باتفاقهما كما يتبين ان هذه العدالة لا تحصر هذا الجذب في ميثاق الانسان، بل تعممه على سائر الكائنات. فلكل واحد منهم طريقته الخاصة في ان يكون حرا في نفسه بدليل تمتعه بالاختيار الاول، وان يكون مساويا لغيره بدليل استواء الموجودات في هذا الاختيار. يترتب على هذا ان العدالة الائتمانية وعدالة كونيه، توجب ان تكون الكائنات جميعا حر ومستقله.

المبدأ الثالث: مبدأ التزكية، إن الاساس التفكري لمبدئ التزكية هو ما اسميه بميثاق الانزال، والشاهد عليه من القرءان (وإذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم..)(217) , ويمكن ان نستخرج من هذا الميثاق النتائج الأتية :-

1- ان التزكية تقضي بإخراج الانسان من الشعور بامتلاك الاشياء الى الشعور بالائتمان عليها.

2- ان هذا الاخراج الشعوري يتم على وفق المعاني الروحية والقيم الأخلاقية التي تحملها فطرة الانسان.

3 - ان التزكية تقلبت عبر تاريخ الانسان بأطوار اختلاقيه جعلت تاليها يطور سابقها ويكمله حتى اخر الاطوار.

ا4- ان لكل طور من هذه الاطوار الأخلاقية مراتب متفاوتة اذ كل مرتبة أفضل من سابقتها في التحقق بشعور الائتمان.

5 إذا كان الناس يتساوون باعتبار الإنسانية فإنهم يتفاوتون باعتبار التزكية.

6- ان الناس لا يسئلون عن انسانيتهم لإنها اعطيت لهم ابتدأً. بينما يسئلون عن تزكيتهم في أنفسهم وفي غيرهم لإن كسبها اعطي لهم.

وثم يستخلص من ذلك فيقول: تأسيسا على هذه الفوائد التي يتضمنها ميثاق الانزال، نصوغ مبدأ التزكية من مبادئ النظرية الائتمانية كالاتي: **- ان حياة الانسان تصلح على قدر اجتهاده الائتماني لا الامتلاكي مع العالم .**

لا يخفى ان الانسان في اجتهاده بالتحقق بهذه المعاملة الائتمانية يتوسد بالمعاني والقيم التي تنطوي عليها فطرته، والتي استمدها من معرفته بالكمالات الإلاهية، اذ ان تحصيل هذه المعرفة يجعله يقر بأن مالكية كل شيء لربه وحده، فيتبين ان مبدأ التزكية يزيد العدالة الائتمانية تفصيلا على التمثيل السابق، اذ يصل حد العدالة الائتمانية، هو انها عدالة كونيه، تجعل الانسان يستبدل بعلاقته بالعالم علاقه ائتمانية تتحرر بفضلها الكائنات سلوكا وتتساوى فيما بينها وجودا .

وبعد ان بينا ملخص نظرية الائتمانية للإستاد طه عبد الرحمن , وطلعنا على مضمونها من خلال محاضرته تلك ونتمنى ان يسعفنا الحض لقرأت كتابه "العدالة العالمية والاخلاق الائتمانية “ الذي فصل هذه النظرية, يتبين لنا أننا ندور في نفس الفلك ونغترف نفس المعاني والفهم لإننا نستسقي ونغرف من نفس ماعون النور والمشكاة الإلهية , وعليه فإن هذا التوافق يدلل على صفاء المشكاة التي نتلقى منها هذه المعارف , فهي في وضوح ليس فيه التباس , إذا ما استقرأ الإنسان فطرته بنور مسترشد من النور المنزل على المرسلين , فكل انسان يستطيع ان يستشعر تلك المواثيق الربانية اذا ما استطاع ان يتخلص من التشويش المحيطي الضال, فكل انسان عنده شعور واندفاع داخلي بواجبه في الاصلاح , وفي فعل الخير , وتجنب الشر , وكل انسان يشعر بالمراقبة الدائمة له من عليم خبير مهما كان دينه ولكن بتفاوت , وكل هذه المشاعر تزيد وتنقص بمقدار ما تخلصت النفس من المؤثرات الخارجية الضالة .

ونؤكد كما بينا من قبل ما توصل اليه الدكتور طه عبد الرحمن هو ان صلاح الإنسان والرقي بالإنسانية لا يصلح عن طريق التقاتل والتدافع في امتلاك المادة والقوة من والحديد، ولكن يصلح العالم عندما يكون الإنسان ذاكرا وحافظا للعهد الفطري كما اصطلح عليه الاستاذ طه ب " العهد الائتماني" الذي يدعوه المسؤولية المشترك والواجبة على كل إنسان.

فنحن نؤمن كمسلمين أن الإنسان المسيّد والحر على هذه الارض، وأن هذه الحرية الموهوبة له من خالقه تعطيه الحرية في الحركة والتدبير والتفكير والعمل، فينشأ من تلك الحرية الاختلاف في التوجه والعمل لاختلاف الأهواء والتطلعات البشرية بين الاقوام والملل والمعتقدات. مما ينتج عنه تلك الصراعات بين الدول والمؤسسات والشعوب والاقوام والافراد، كل منهم يسعى ان يحقق ما يربوا اليه ويختار لحياته، وكل يسعى على ان ويجعل الناس تحت ظل شريعته ومذهبه ومعتقده، والناس بين هذا وذاك تتلاقفهم الدعوات وهم يتمايلون مع هذا او ذاك حسب اهوائهم وميولهم وعلى قدر النور الذي في صدورهم، والله هو الهادي الى الصرط المستقيم.

فالساحة اصبحت مفتوحة على مصراعيها أكثر وأكبر في عالم اليوم بفضل التطور في عالم التواصل الذي جعل الكل منفتح على الكل، وكل يستطيع ان يصل ويتواصل مع العالم من غرفة نومه ويستطيع أن يرى العالم من نافذة التلفاز او الكمبيوتر ومشتقاته وتطبيقاته، فالاطلاع على الفكر الاخر أصبح سهل وميسر، وأن نشر الافكار والمعتقدات أصبح امر يسير، ولذلك اصبحت المعركة الفكرية على أشدها، واصبحت من اشد الأسلحة الفتاكة والتي فاقت وتغلبت على كل الأسلحة الاخرى، وقد استطاعة أن تسخر كل الأسلحة الأخرة من اجلها.

لقد وجدنا من خلال هذا الانفتاح الحر ما يقوم به بعض المفكرين الملحدين الغربيين والذين يختبئون ويعملون تحت عباءة الفكر السياسي الصهيوني الماسوني الملحد والذي يسعى لتفكيك وتخريب فكرة الاديان جميعا , وليس الاسلام فقط, فهو يحارب كل معتقد ديني يدعوا الى العلاقات الإنسانية الأخلاقية التي تؤمن بأن كل الماديات يجب أن تكون مسخرة لبناء إنسانية الانسان , وليس العكس , كما تعمل تلك المؤسسات , وما يسعى اليه الفكر السياسي الملحد المادي , الذي يحاول ان يجعل من نفسه إله على العالم والبشرية , يسيره كيفما شاء لمصالحه وأهواه , بعد أن يجعله فارغا من محتواه الانساني الفطري الذي خلقه الله وسواه عليه , ليستخدمه كألة لأغراضه المادية المصلحية الضيقة .

فتلك المؤسسات تريد تفريغ الانسان من كل القيم الإنسانية والعقائد الدينية، لتجعل الإنسان يعيش فقط في المحيط المادي الملموس بعيدا عن الايمان بالأمور الغيبية والروحانية، وتعتبر كل ذلك هوس وجنون، لإنه لا ينسجم مع العقيدة المادية.

فقد برعت تلك المؤسسات في نشر فكرها المعادي للأديان عن طريق الماكنة الإعلامية التي امتلكتها، من خلال التلفاز والكتب والنشرات والندوات وقنوات التواصل الاجتماعي، للتشكيك في كل معتقد ودين إلا دين المادية، وقد نشروا العديد من الكتب الإلحادية التي تدعوا الى نبذ الاديان. فنجد في كتاب بعنوان " الإله يكرهك فكرهه" و" عيسى كذاب وما هو إلا بشر". للكاتب

بعنوان C.J Werlemen

وكتاب GOD HEAT YOU HEAT HIM BACK

JESUS LIED HE WAS ONLY **HU**MAN

ونجد ايضا كتابا بعنوان" الغرض المحرك للحياة " ل ريجارد دوكن , والذي بيع منه 30 مليون نسخه من خلال الاعلام والانترنيت , وهذا الكتاب يتهكم على الاديان , ويعتبرها خدعه وهوس , وأنها تدفعه ليعيش في عالم خيالي غير واقعي في سراب الهوس الشهواني بعيد عن المرتكز العلمي , حتى يهدم كل المعتقدات والثوابت الدينية , كمقولة مؤسس المذهب الشيوعي ماركس "الدين افيون الشعوب" .

إن مساعي هؤلاء في الدعوى للبعد عن الدين وما يحمله من اخلاقيات وأفكار , والدعوى الى الإلحاد والمادية , هي محاولات يبدئ غرسها في عقول النشء منذ الصغر , فيقول العالم الملحد دانيل دينيت يجب عزل الأجيال الناشئة من الأطفال والشباب عن المحيط والتأثير الديني للآباء , وهو يعتبر ان هذا التشرب والتأثير الديني والأخلاقي من الاباء الى الابناء هو استعباد وحجر فكري لذلك النشء , فهو يسعى الى الانقضاض على ذلك النشء الفارغ او الضعيف في المعتقد , بمعزل عن فكر الاباء والاجداد , وبعيد عن اي تأسيس ديني او اخلاقي , لينشئ فيه دعواته الأحادية التفكيكية المسمومة , لكي يسهل الانقضاض عليه , وبث سمومه فيه , فدانيل وأمثاله يعملون بكل السبل الى الوصول الى هذا الجيل الناشئ للتشويش عليه من خلال التلفاز والافلام والمسلسلات والمدارس وكل ملتقيات وتجمعات هذا النسئ لبث الافكار المسمومة ولبناء جيل ملحد , لا يؤمن ولا يعبد إلا المادة والمصلحة الانيه والمتع واللهو. فهو يعتقد " ان الناس افضل واحسن من غير الاله “ .

ففي محاضرة له في مدينة كوبام في كندا ,يقول " انه اذا اردت ان تغير فكر وعقول الناس فلا تذهب الى المتدينين ولكن اذهب الى الذين هم خارج المحيط الديني , والذين يقفون متفرجين في مساحه بعيده عن الدين والتدين , فهؤلاء هم الصيد السهل والسمين " ثم يبشر ويقول للحضور بأن الالحاد اصبح اكثر انتشارا في العالم وان المنافس الوحيد له هو الدين الاسلامي وان هذا الدين يزداد وينتشر كما يزعم فقط عن طريق الولادات , ولذلك يدعوا الى عزل الجيل الناشئ عن فكر ودين الآباء , ثم يستطرق مبشرا الحاضرين بأن فقط 4% من اولاد الديانة الكاثوليكية يعتقدون بالإنجيل ككتاب مقدس , وانه يستطيع هدم فكر ابناء الديانة المسيحية في عشرين دقيقه , وبهذا يهدم ما بناه ابائهم فيهم خلال عشرين عام في تعليمهم الدينه المسيحية في عشرين دقيقه .

ومن نصائحه الشيطانية الخبيثة لمستمعيه، يقول لهم ما عليكم إلا ان تضعوا بذرة الشك في عقول مستمعيكم من المتدينين، ولا تندفعوا في دفعهم عن دينهم فسوف تأتي هذه البذرة من الشك ثمارها بعد حين. إن هذا المنهج الخبيث ينشر ويبث سمومه من خلال قنوات الاعلام والتوصل الاجتماعي والقنوات الترفيهية، وذلك عن طريق التهجم على الدين والاستخفاف بشرائعه وتعليماته والاستهزاء بالقيم التي جاء بها. من اجل بذر حبة فاسده تعلق في منظومة فكر الناس لتفسد وتهز كل القيم والمنظومة الأخلاقية والعقدية عند الناس ولو بعد حين.

ويقول جارلي براون وهو ايضا من دعاة واعلام الالحاد الكبار في كتابه المعنون:

SHURLY ALARM

"الإنذار الحقيقي " ففي هذا الكتاب دعوا الى التشكيك بكل حقيقه متفق عليها أو معلومة بين الناس , فهو يدعو للتشكيك والكفر بالحقائق المتعارف عليها والدعوة الى مذهب الشك بكل شيء ,فيدعوا الى هدم كل ما اتفق عليه الناس , لدفعهم الى عدم الايمان بأي شيء سمعوه او علموه, او توارثوا صحته , او قد ايقنوا بحقيقته , ليصل بهم في هذا المذهب الى بحر الظلال والظلمات , والكفر وعدم الايمان بأي شيء , ولإخراجهم من دائرة الايمان التي تنظم حياة الانسان ,وتأطر وتقنن طريق حياته , من خلال الدائرة الإنسانية الفطرية التي تجعل الإنسان يأنس لجنسه وتؤمن هواجس الخوف عنده, ومن خلال الركائز الدينية والعقائدية التي تدعوه الى التراحم والتواد والتعاون والبعد عن الأنانية والأنا والتفرد وحب الذات وعبادة المادة والمتعة المؤقتة التي يدعوه اليها هذا المذهب الذي يقلب موازين الإنسان , ويجعل الطبع المادي الحيواني يغلب على الطبع الإنساني الذي ميزه الله به عن باقي المخلوقات ,وذلك بعد اي يجعلوه يوقف التفكر والتدبر , ليجري وراء الشهوة والمتع المؤقتة , من غير بصيره في ظلمات هذا المذهب الاعمى , وإبعاده عن التعمق والتفكير في البعد الثالث للصورة وهو حقيقتها ومعناها الحقيقي , ويريدوا منه ان يفكر بسطحية تافه, والجري وراء المظاهر الكاذبة والفضفاضة التي لا معنى لها ولا أساس فكري, والتي تجعل الإنسان يعيش ليومه فقط وان ليس للغد او للمستقبل أو للغيب مكان في تفكيره , ليحيا ويعيش كالبهائم , تأكل وتتمتع. إن هذا هو الهدف حقيقي لما تسعى اليه تلك المؤسسات والشركات والهيئات والتي تدير الدول وتسيطر على الاقتصاد العالمي والتي تريد من الانسان ان يعيش كألة يستخدم لزيادة مواردها الاقتصادية.

إن الفكر الالحادي المادي المسيطر على الاقتصاد العالمي يعلم ان عدوه الأول في دعوته تلك هو الدين والمتدينون، وان أعظم هؤلاء الاعداء وأكثرهم خطر عليه هو الاسلام، ولذلك يعمل بكل جد ومثابرة على محاربة الفكر الاسلامي، وفلسفته ونطرته للحياة.

فحربه ضد الفكر الإسلامي بلا هوادة، فهو مستعد ان يتقبل اي فكر وحضارة وديانه اخرى مثل البوذية والهندوسية والمسيحية واليهودية او اي معتقد اخر مهما بعد عن فكره ونظرته للحياة إلا الاسلام، لان الافكار والمعتقدات والديانات الاخرى لا تعطي الحلول والعلاجات لمشاكل المجتمع الغربي على الخصوص والعالمي على العموم، وهي الوحيدة الذي يستطيع ان يحارب توجهاتها ودعواتها الضالة المظلة، أم الأديان والمعتقدات الأخرة ففيها من المشاكل ما تربك عليه حياته أيضا ولاتستطيع أن تداوي جراحاته.

لقد نشرة مؤسسة ريجرد داوكين كتاب على الانترنت موجه للعالم الاسلامي بعنوان "أوهام الآله". والذي يقول عنه ريجاد داوكين انه قد نشر منه ثلاثة عشر مليون نسخه استنسخ منه مواطني المملكة العربية السعودية ثلاثة ملايين نسخه حسب ادعائه، وثلاثة ملايين نسخه اخرى أستنسخ منه مواطني ايران، ويظن ريجارد جاكوين وأمثاله أنه بهذه النتيجة قد وصل الى مراده في بذر بذرة الشك وعدم اليقين في مسلمي العالم الاسلامي.

إن هذه الحرب الشرسة على الاديان، لا بد ان يتصدى لها كل الأمم والأديان والملل لإنها داء قاتل يأخذ بالإنسان والإنسانية الى الحضيض والضياع والاستعباد من قبل هؤلاء الدعاة الى محاربة الأديان والقيم الإنسانية لأفرغ الإنسان والسيطرة عليه واستخدامه في أهدافهم الدنيئة. فلتتكاتف ضدها جميع الاديان المؤمنة بالله الواحد، لكسر جماحها واطماعها ووقف سمومها الموجه الى الشباب الناشئ والى الناس البعيدين عن المحيط الديني.

إن الأديان هي السبيل الوحيد لإصلاح الإنسانية والاخذ بيدها الى السلم والسلام والامن والعيش السعيد والعدالة الاجتماعية والصفاء الروحي. لآنها جميعها تسعى لبث روح التعاون والمحبة بين الناس، ولذلك يجب ان تتكاتف الاديان ضد التيار الإلحادي عدو الإنسانية. فالأديان مع اختلاف معتقداتها تستطيع ان تتعايش مع بعضها البعض إذا ما خلصت نية العاملين فيها، وابتعدت عن التيارات السياسية واهوائها التسلطية، ووقفت بوجه تلك الهيئات والمؤسسات النفعية الإمبريالية التسلطية التي تنظر بمنظار المصلحة الضيقة والمنفعة الشخصية، والتي تريد ان تسحق وتستعبد الاخرين من اجل مصالحها الخاصة.

لقد وعد الله المسلمين بالنصر على هؤلاء الذين يسعون في الارض فساد ويحاربون معتقدات الناس ويسعون الى هدم كل القيم الإنسانية تحت ذريعة الحرية، والتي تدعوا الى هدم كل موروث اخلاقي، لتستبدلها باندفاعات الشهوة، والجريان وراء المتع من غير انضباط اخلاقي او قيمي، ولذلك فهي تسعي لهدم وتخريب مراكز تلك الأديان وبيوت عباداتهم ومعتقداتهم، ليجعلوهم عبادا لهم من دون الله، كما جاء في سورة الحج الآية 39-40 (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير \* الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز\* الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ) . إن هذه الآية الكريمة تبين حقيقة الصراع الفاصل بين الحق والباطل، وتبين ان الله بجانب من يحارب الذين يحاربون الاديان ويخربون بيوتهم ومرتكزات عباداتهم. وأن الله ناصر ومؤيد من يحافظ ويحترم دور عبادة الناس، ويحترم افكارهم وأرئهم، ويقدر حرية الانسان وإنسانيته وتفكيره وخياراته، وأن من صفات هؤلاء الناس الذين وعدهم الله بالنصر، أنهم إذا تمكنوا في الأرض سعوا الى اصلاحها والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة من اموال الاغنياء من الناس الى فقرائها. فهذا هو الدين الذي وعد الله أصحابه بنصرهم على الذين يسعون في الارض الفساد. وهؤلاء هم من يبني الحضارة الإنسانية الراقية التي تجلب السعادة والخير للناس وتشيد جدرانها.

فعلى كل الاديان التي تدعوا الى الفضيلة والاخلاق السامية، والتي تؤمن بأن لهذا الكون خالق واحد مقدر ومدبر ومسير امر خلقه، وأنهم سوء ومتساوون في عين الله وحكمه. أن يتكاتفوا ويتعاضدوا بما اتفقوا عليه من هذه المبادئ السامية، ضد تيار التفكك والإلحاد والهمجية والعشوائية والحيوانية البهيمة، التي تجعل من الانسان حيوان ناطق، لا يفهم من حياته ووجوده إلا المتع المؤقتة، وليس له دستور وموجه ألا الاعلانات والدعوات الى النزوات والشهوات. فلتتحد تلك الجهود لإخراج الناس من عبودية الشهوى والانفلات الى عبادة رب العباد.

إن الدين الإسلامي يدعوا الى التقارب والتعاون مع الاديان السماوية الأخرى والعمل معها لصد هذا العدو المشترك , من اجل خير الإنسانية ومحاربة الظلم والطغيان , ويدعوا الى التحرر من عبودية الانسان لغير الله , ويدعو لإن يكون الانسان حرا لا يخضع ولا يركع إلا لله الواحد الذي خلقه , يقول تعالى ( قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فأن تولوا فقولوا اشهدوا بأن مسلمون )(218) , إن هذه الدعوة الى العمل المشترك ونبذ الخلاف والخصومة , على أساس مبادئ مشتركه , لا نختلف عليها اذا كانت النيات مخلصه لله وأن العمل هو لخير الإنسانية ورفاهيتها , وهي أن لا نعبد إلا الله وان لا نشرك به شيئا وأن لا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله , اي ان لا يستعبد بعضنا بعض ويقهر بعضنا بعض.

فمن لم يرد ان يشاركنا في هذا العمل فليتيقن بأننا ماضون على عهد الله الذي وعدنا اياه، في العمل على اصلاح الأرض ورفاهية الناس والعدل بينهم، وألا نلتفت الى الذين يخالفوننا. وأننا نعلنها بكل صراحة بأننا نؤمن أن لهذا العالم والكون اله واحد خلقنا وأمرنا بالإصلاح في الأرض ومحاربة الظلم والظالمين وأننا نشهد كما أمرنا " اشهدوا بأن مسلمون " ، أي لا نسلم امرنا إلا لله الخالق ولا نقبل عبودية لأحد علينا إلا لله ,مهما حاولتم وسعيتم بإرهابنا وقتالنا ومحاولة اخراجنا من ارضنا واخذ اموالنا , ومحاربتنا فكريا , فكل هذا لا يغير معتقدنا وديننا الذي امرنا الله ان ندين به ونصلح به بين الناس.

إن الدين الاسلامي يدعوا المسلم الى التعايش السلمي مع الاخرين , وأن ولا اكراه في الدين , فهو يدعوا الى حرية الاديان والمعتقدات, يقول تعالى (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ولو شاء الله لجعلكم امة واحده وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ )(219) , فالإسلام يعترف بتعدد الاديان , ويحترم دين الاخرين , ويكره الاعتداء على الاخرين بسبب الدين , ويدعوا الى احترام المؤسسات الدينية للأديان الاخرى .

والتاريخ الإسلامي يشهد بذلك، لقد كان قادة جيوش المسلمون أيام الخلافة الإسلامية الراشدة على الارض يأمرون جندهم في الحروب بأن لا يعتدوا على المعابد، وان من دخلها كان أمِناً. فالإسلام يدعوا المسلمين الى محاربة أعداء الإنسانية فقط الذين يقاتلون الناس بغير حق ويخرجونهم من ديارهم وأموالهم بغير الحق، والذين يدعون الى استعباد الناس، فالإسلام لا يدعوا لقتال أحد إلا الذين يقاتلونهم، ثم يقول لهم وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله، فمبدأ الحرب والتقاتل في الاسلام محرم إلا على هؤلاء المعتدين.

ونحن نعتقد كمسلمين أن الصراع بين الحق والباطل سوف يبقى، لأنه جزء من مادة الامتحان الذي نمتحن به، فمن انحاز الى الحق ضد الباطل فقد فاز في هذه الحياة، وليلقى جزاء ذلك نعيم مقيم في الحياة الأخرة. فالله اعطى للنفس حرية الاختيار وارادها ان تختار ما تحب وترضى.

فهذا التقاتل والتصارع بين الحق والباطل وجد بين الناس منذ وجودهم الاول على الارض , وأنه لم يخفت ولم ينتهي ابدا في اي عصر او زمان , لإنه مادة امتحان هذه الارض , ولذلك نجد أن الله يخبرنا في كتابه العزيز بقول تعالى ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون )(220) , فهذه الآية تبين مشيئة الله في أن يجعل مع كل نبي يرسله في زمانه وقومه , شياطين من الإنس والجن تعمل سويا لمحاربة ما جاء به ذلك النبي من الحق من ربه ,ليجعل من ذلك التصارع مادة للامتحان, , فهذا الجعل من الله في حكم التصارع بين الحق والباطل ابدي ومن مشيئة الله ولو شاء الله ما فعلوه , وما هو إلا اختبار وفتنة في كل زمان ومكان بين الناس الى أن تقوم الساعة . ولذلك يبقى الإنسان في هذا الصراع والتنافس في الاختيار بين الخير والشر، بين شهواته واندفاعاته وبين القيم والاخلاق الإنسانية المفطور عليها والتي دعمت ركائزها رسالات الله وتعاليمه عن طريق الرسل.

فلإنسان في هذا الصراع والتصارع يجاهد هوى نفسه والمحيط الفاسد الذي يحيط به، لينتصر ويتغلب على شهواته المندفعة والغير منضبطة بالقانون الإله، وليخلص النفس من الأنانية والانا التي هي من فخاخ الشيطان ليوقع الانسان في ظلم أخاه الإنسان فيبخس حقه.

إن الأنانية وألانا التي عشعشت وسيطرت على عقول وقلوب حكام العالم وقادته وأمرائه وطغاته، هي التي تحارب العدالة الاجتماعية، التي يدعوا اليها الاسلام وكل الاديان السماوية الاخرى. وأساس تلك ألافه’ هو معتقد “**أنا خير منه** **“,** تلك الجرثومة التي يسعى ابليس أن ينشرها بين بني ادم ليغويهم وليوقعهم بما وقع فيه. لقد اصيب بها فرعون عندما رفض دعوة موسى عليه السلام بأن يعدل بين بني إسرائيل وقومه، وكذلك فعلت تلك الافه بالأولين، حينما تكبروا على ضعفاهم وفقراهم وقالوا لرسلهم " لن نتبعكم وقد اتبعكم الارذلون " استكبارا واستعلاءان.

وتلك هي الأفة الني اصابة العالم الغربي، الذي ظن انه خير من بقية الامم والاقوام لأنه استطاع ان يبني المصانع ويقيم الجسور ويصنع السلاح الفتاك الذي يمكنه من قهر الاخرين والسيطرة والاستلاء على ارضهم وما يملكون. إن هذه الافه جعلت حكام الغرب تنظر لأهل الشرق او كما يدعوهم العالم الثالث تصغيرا واحتقارا، بدونيه واحتقار لإنسانيتهم وما يعبدون ويعتقدون، وهذا اهم اسباب التصارع والتصادم الفكري وما يسمونه “بصراع الحضارات"، والذي نشأ عنه الصراع الفكري، الذي باعد بين الرؤى والتصورات بين الفريقين في امور كثير، وبثت روح الكراهية ونظرة الاستخفاف والسخرية والخوف من الفكر الاخر. إن هذه الدعوة للكراهية والخوف والاستخفاف، هي التي وسعت الهوه في التفكير بين الامم، وجعلت من الإنسان الغربي الذي لم يطلع على حقيقة الفكر الاخر إلا من خلال الدعاية المظللة يحتقر ما يدين به الاخرين وما يعتقدون، فلا يلتفت وينصت إليهم استكبارا وأنفة، وضنا منه انهم ليسوا سواء، فيقع في افة "أنا خير منه"، ويرفض كل ما يعتقد به الاخرين حتى وأن تقبله عقله، تأنفه كبرياءه، فيقول في نفسه على المليء كما قال الأولون "أنه لا يؤمن بما أمن به الارذلون".

إن المفهوم الإنساني المعافى من الأمراض النفسية يتفهم أن الحضارات لا تتصارع اذا كان معناها هو الرقي والجمال في حياة الانسان، بل يبني بعضها بعضا، لآن هذا ما فطر وطبع عليه الانسان السليم، فقد خلق الله الانسان في احسن تقويم، اي يحمل احسن القيم وأجملها، فقد منحه ربه من بعض صفاته العليا، الرحمة والكرم وحب الخير وكثير من صفاته العليا.

لقد احب الله خلقه فأحسن تقويمهم , إلا ان الانسان ينزل بهذا التقويم الى اسفل سافلين , بأتباع هوى الشيطان ونزغاته, كما أنبأنا العليم الخبير في سورة التين بقوله ( والتين والزيتون وطور سنيين وهذا البلد الامين \* لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم \* ثم رددناه أسفل سافلين \* إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) (221) , يقول تعالى انه خلق الإنسان في أحسن تقويم غير أن الإنسان يأخذ بنفسه الى اسفل سافلين بإتباع هواه ونزواته فتنزله الى الهاوية في الخٌلق فيكون اسفل في خٌلق من الحيوانات التي يكون منضبط تصرفها وانفعالاتها وخٌلٌقها من فطرتها التي فطرة عليها. لقد نجى من ذلك الانزلاق والردة، الذين حافظوا على عهد الله في انفسهم ولم يتبعوا شهواتهم، الذين أمنوا بما انزل الله واتبعوا الهدى وعملوا به , وتواصوا بالحق فتبعوه ودعوا اليه, وصبروا على مغريات الهوى ومكائد الشيطان وثبتوا على الحق ولم ينزلقوا الى الباطل , ودعوا الناس الى الصلاح والثبات على الحق ومع الحق . **فهذه الآية تبين ان الانسان في هلاك وضياع ما لم يلتزم العهد مع الله ويعمل به.**

**سبل التلاقي الحضاري: -**

إن عوامل **التلاقي الحضاري** موجودة في الإنسان السوي والسليم، ولذي لم يصب بمرض التكبر ويلتهب فكره بمقولة "أنا خير منه “. فالتلاقي الحضاري الإنساني ما هو إلا مجر نهر للأخلاق والطبائع البشرية، التي تتجمع من جميع المنابع وعيون العقول والاذهان البشرية، لتلتقي في مصب انسانية الانسان، لتستقي منه البشرية جمعاء وليرتوي به النبت الحضاري للأسنان، ويجدد حيوية تربة الحضارة الإنسانية مما يترسب عليها من طمي وديان حضارات الأمم الأخرى ومن كل المنابع والسهول والوديان التي تمر بها، ليزهر ذلك النبت الحضاري بأحلى الصور والالوان. إن هذه المكتسبات الحضارية للأقوام المختلفة والتي تعيش في اجواء وظروف مختلفة تصقل فيها طباعها وتطلعاتها، إذا التقت جميعها وصهرت في بودقة إنسانية الإنسان، فإنها سوف تأتي بنبت حضاري جميل بألوانه واشكاله المختلفة، أما إذا تعكر ماء صفاء الفطرة البشرية فيستحيل التجانس بينهم ولاختلاط، فيحصل الانفصام الشخصي والحضاري. أما إذا كان منبع الاخلاق والطبائع البشرية ينبع من بئر ماء الفطرة، فلا يتأثر بالمحيط، بل يكتسب منه ويطبعه بطباعه الإنسانية، وأن هذا الاختلاف المحيطي يكون عامل ازدهار ودافع للنمو الحصاري كما تضيف مواد السماد لتنعش النبات.

فالإنسان الشرقي في حاجه الى أن يأخذ النظرة الواقعية من الحضارة الغربية، ويتعامل مع الواقع الملموس بواقعيه وموضوعيه أكثر، ويكتسب من الخبر والتجارب التي مر بها الغرب ووصلت به الى ما وصل اليه من التقدم العلمي والتقني والنظام الإداري، والجدية والمثابرة في العمل. وكذلك الانسان الغربي في حاجه الى تفهم الفكر الشرقي على العموم والاسلامي على الخصوص الذي فيه دواء وشفاء للقلق والخوف الذي يعيشه الانسان الغربي، ومن الحيرة في تفهم الكثير من المعضلات الحياتية والاجتماعية ولإنسانيه، التي جعلته يتخبط في نظريات لم يجد فيها اي حل لمشاكله الاجتماعية والنفسية والإيمانية، فعاش في دوامة الشك وعدم اليقين في كل شيء.

فإذا ما تلقحت ولتقت وتزاوجت، الجدية والانضباط في العمل في الحضارة الغربية مع اسباب وعوامل الراحة النفسية التي يمتلكها ويعيشها المسلم المؤمن بقضاء ربه وقدره. فسوف يصل الإنسان بهذا التمازج والالتقاء الحضاري الى ثمره حضارية زاهيه، تقود التقدم العلمي والتقني الى منفعة الانسان لا الى قتله والاعتداء على حريته وتقييده.

إن السبيل للوصول بالحضارة الإنسانية الى **الأمد الاقصى** في هذا التلاحم والتلاقي الحضاري، للوصول بالإنسان الى العيش السعيد الرغيد في امن وامان وطمأنينة وراحة وارتياح في النفس، وانسجام وتفاهم وتقبل للأخرين ولما يحيط به من مخلوقات على هذه الارض. فلا بد له أن يدرك غاية خلقه وحقيقته على هذه الارض، ليدرك من خلال ذلك حقيقة كل ما حوله ليرى من خلال ذلك حقيقة الأشياء والاحداث لا أن يرى فقط ظاهرها، ليدرك من خلال تلك المعارف عظمة خالقه وعظمة ما يحيط به من مخلوقات، ويدرك تجانسها وانسجامها، وتوحد هدفها وانتظام عملها.

إن تعرف الإنسان على نفسه وعلى حقيقته ومعرفة سبب وجوده على هذه الأرض وما دوره فيها والى اين منتهاه منها، هي التي تعطي للإنسان القدرة على تقدير الاشياء ومعرفة ماهيتها وسبب وجودها، عندها يعلم كيف التعامل معها ومقدار الاخذ منها وعدم التفريط والافراط، وإعطاء كل شيء حقه وقدره، عندها ينتصب ميزان الحق. فيعطى لكل ذي حق حقه، وتكون الفرص متوفرة ومتساوية للجميع في الاخذ بالأشياء واسبابها، فلا تنافس وتنافر وتباغض اعمى، وجشع يجعل الانسان يقتل نفسه بجشعة وطمعه وهو يحسب انه يحسن صنعا.

إن المعرفة الحقيقية للأشياء هي التي تمكنك من التعامل الجيد والمفيد معها، لتحصل منها على أحسن النتائج. وكذلك معرفتك بنفسك معرفه حقيقيه، هي التي تمكنك من تسيرها لخير إنسانيتها وخير الإنسانية من حولها، ومعرفتك لخالقك وقدرته وعظمته وجبروته وعزته، هي التي تدعوك الى اطاعة امره ومخافة معصيته والطمع في رحمته والعمل على رضوانه والسعي الى دخول جنته.

إن الامد الاقصى ومنتهى المنا والرجاء للعيش الرغيد والحياة السعيدة في هذه الحياة، ولنيل منتهى الرقي والحضارة والتقدم والتطور فيها، والطموح في نيل الجزاء الوافر والفوز بالجنان في الحياة الأخرة، لا يدرك إلا إذا تبع الانسان تعاليم خالقه وموجده ومصوره. كما إنك لا يمكن ان تحصل على أحسن نتيجة لاي جهاز إذا لم تتبع تعاليم صانع ذلك الجهاز، فعدم اتباع تعاليم المصنع قد يعطي ذلك الجهاز نتائج عكسيه، وكذلك الانسان اذ لم يتبع تعاليم خالقه وصانعه وصانع كل ما حوله من الاشياء، فأن نتائج عمله ستكون عكسيه، ضاره غير نافعه وقد تؤدي الى تحطيمه او إلحاق الاذى به وبمن حوله.

إن أتباع الإنسان هواه وما تشتهيه الأنفس من غير بوصلة بصيرة مبصرة حقيقة ما حولها, تأخذه الى شطحات الهوى والتخبط في الظلمات , ليصطدم في العقبة تلو العقبة , فأينما يتوجه في ظلمته تلك لا يأتي بخير, كما ضرب الله لنا مثلا في كتابه الكريم ( وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌ على مولاه أينما يوجهه لا يأتي بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) (222) ,فنرى ان المولى يعلمنا ان من لا يمتلك نور الفطرة المستناره من نور السماء , لا يمكن ان يكون مصلح في الارض, او نافعا لنفسه او لغيره , فكلما حاول عمل الخير يصطدم بهواه, الذي يسوقه الى الشر والأنانية. فانعدام الرؤية الحقيقة للأشياء، يجعل استحالة الحكم عليها ومعرفة ماهيتها، فينعدم ميزان العدل عنده فلا يستطيع ان يأمر بالعدل او ان يكون عادل في حكمه، أو مقسط في عمله، فلا يمكن في هذه الظلمة ان يصل الى الاستقامة. فهو ليس كالذي يسير على هدى من الله، وبصيرة يرى فيها حقيقة ما حوله، فيسير على صراط مستقيم، يرى فيه الحق فيأمر بالعدل، ويدعو الى طريق الصلاح والإصلاح بين الناس.

إن السبيل للوصول الى هذا التقارب الحضاري الذي يوصل الانسان الى الرقي الاخلاقي والعيش السعيد، ويبعده عن التصادم والتصارع وسوء الفهم وعدم تقبل للراي الاخر؟ يتأتى من خلال إدراك شيئين: -

الأولى :- إدراك الإنسان لماهيته ,فإذا ما ادرك أن اصله ووجوده وتكوينه من منشئ وخالق واحد وهو الذي خلق كل شيء يحيط به, وأن مرده ومرد كل ما حوله الى ذلك الخالق , يدرك عندها التناسق والتوافق مع ما حوله من بني جنسه ومع سائر المخلوقات والكائنات التي حوله , ليدرك عندها وينتبه الى أن سبب الخلاف والاختلاف الحاصل مع الاخرين في الرؤى هو اختلاف البيئة المحيطة والتي يختلف فيها طرق الوصول الى متطلبات واحتياجات الإنسان والتي قد تفرض شروط وقيود والتزامات مختلفة , نفرض على المجتمع فهم خاص في التعامل مع الاحداث والأمور, يختلف ان مفهوم واعتقاد لمجتمعات في محيطات أخرى مختلفة, ومنها ينشئ الخلاف الفكري الناشئ من اختلاف المحيط ,الذي يولد التزامات مختلفة ومتطلبات مختلفة . ليتبين من خلال ذلك أنه كلما كانت المؤثرات الخارجية واحده، كان الناتج المكون للشخصية واحد، ومثال على ذلك ان افراد العائلة الواحدة أكثر تقارب من الاخرين وأبناء القرية الواحدة أكثر تقارب من القرى الاخرى والبلد الواحد والاقليم والقارة وووو، وهكذا كلما صغرت الدائرة، وتشابه المحيط، كلما زاد التقارب، والعكس صحصح كلما كبرت الدائرة كلما زاد الاختلاف والتفارق في الشخصية الفردية والمجتمعية، لاختلاف مؤثرات المحيط الخارجي عليها.

ولعلاج هذا الاختلاف ولجعله عامل إيجابي في بناء الحضارة الإنسانية بدل من أن يكون عامل تباعد وتنافر وتقاتل، هو أن نقوم بمحاولة تصغير تلك الدائرة (وذلك من خلال العمل على التقارب الفكري، والذي لا يتأتى إلا من خلال الاستماع والانصات بعقل وقلب منفتح يتقبل الرأي لأخر، ان الفكر المتقبل للأخر هو الذي يصنع الانسان الامثل، الذي يحترم اخيه الإنسان، ويجعل الانسان يأمن اخيه الإنسان ويأنس به ويسعد. إن الفكر المنفتح الواعي لما حوله والمدرك بمحيطه، والذي يؤمن بمقولة وحكمة الإمام الشافعي رحمه الله **" إن رأي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب "**,هو مفتاح التقارب والتعارف والتعاون البشري لحياة افضل واسعد للجميع، تجعل البشرية تعيش كأخوة متحابين وليس كأعداء متحاربين، فالتقارب الفكري هو الحل الامثل للعيش بسلام وأمان.

أما الفكر الروماني القديم والذي يتبناه العالم الغربي اليوم، والذي يقول **" أن السلام يأتي من النصر "** إن هذا المبدئ القهري للبشر لا يؤدي إلا الى سلام مؤقت، لإنه سلام قهري، يولد احقاد وكراهية وتباعد وتنافر ويولد بركانا من الغضب والغيض، ينفجر بوجه مكبليه، فالقهر لا يمكن ان يقنع الاخرين بفكرك ومعتقدك، ولكن القهر يولد فكر متطرف عدائي انتقامي، بعيد عن الواقعية وبعيد عن فكر الواقع. فالسلام الذي يأتي بالقوة، ويعمل على فرض رأيه وفكره على الاخرين، هو عمل قهري، ليس فيه سلام ولا سلامة للناس، وراحة للروح وانبساط وتقبل في الفكر، بل هو فرض استسلام، ترفضه الروح ويرفضه الفكر الحر، وتأبه النفوس العزيزة.

إن هذا المبدأ القهري المتبع من القوى الغربية الكبرى لاستعباد وقهر الأخرين لينصاعوا الى سلام زائف تفرضه القوة والجبروت لا يدوم ابدا ولا يبني تعايش سلمي عالمي أو تفاهم فكري يولد حضارة عالميه راقيه يأمن بها ويتبناها العالم. إن استخدام القوة لفرض مفهوم فكري معين او لقبول معتقدات وفرضها، ما ينتج عنه إلا كرها، وبعدا، وتطرفا، وعداء. وقد شاهدنا نتائج احتلال امريكا لأفغانستان والعراق، وما خلفته من دمار وتشريد وتمزيق للنسيج الاجتماعي لتلك الدول، ودمار وتحطيم للبنية الاجتماعية والعمرانية، وانتشار الفساد والانحلال الاخلاقي، بحجة الدعوة الكاذبة المبطنة ب "نشر الديمقراطية"، والتي كان المراد منها نشر الفكر الغربي والمعتقد الغربي بالقوة وفرض الاستسلام الذي تريد ان تسميه سلام حسب النظرية والفكر الرمانية، واخراج الناس من دينهم وفكرهم ومعتقدهم بالقوة.

لقد رأينا نتائج تلك السياسة وما نتج عنها من تطرف حاد مدمر ومن تذمر وغضب وثورة وغليان، جعل من الإنسان الذي كان مسالما يفجر نفسه رفضا لذلك الواقع المزرى، لقد أنتج هذا السلام المصطنع المفروض بقوة السلاح ردا عنيفا مدمرا ومتزلزلا، لم تستطع اي قوى ان تقف في وجهه، لقد انسحبت امريكا من العراق وافغانستان فلم تستطع أن تقف في وجه ذلك الغضب والرافض الجازم لتقبل معتقد الغير بالقوة، بعد ان تركت تلك البلاد في خرابا ووبالا.

لقد كان العراق قبل احتلاله، وقبل ان تبدأ الهجمة الهمجية الغربية عليه، بلد متطور حضاري نسبة الأمية فيه معدومة، والصحة والتعليم في أعلى درجات التقنية، وفيه الامن والامان. لقد كان في طريقه ليصل الى مصاف الدول المتقدمة الاولى في كل المجالات. إلا أن الأطماع الشيطانية غير الإنسانية الأنانية التي لا تريد الخير للغير، لم تكن لتدع العراق وأمثاله ليأخذ نصيبه من التطور والتقدم، لرفاهية شعبه. لقد كان ذنب العراق الوحيد هو أنه حاول أن يتحرر من قيود أطماع العالم الغربي ذو الفكر الاستعماري فحاول بناء نظام صناعي وزراعي وتعليمي وتقني ودفاعي ليبني سور له يحميه من أطماع الجشعين الذين يسعون للاستيلاء على ثروات العالم جميعا ويستعبدون شعوبهم ويسرقوا أموالهم، لقد غاظهم واخافهم ما يقوم به العراق فأجمعوا أمرهم على تدميره وتحطيم تجربته قبل أن تكتمل، وحتى لا يكون نموذج مغري يدفع الأخرين باقتدائه والعمل على بناء دول واقتصاد مستقل للتخلص من بلطجة هؤلاء الطامعين .

إن الأنانية والطمع والجشع لا يولد سلاما، بل خرابا وحروبا واقتتالا، فقهر الاخرين بالقوة لا يأتي بالسلام والخير.

ومثال اخر على فشل هذا الفكر الروماني الغربي الذي يقول **" أن السلام يأتي من النصر "** هو ما قامت به الدول الاستعمارية الغربية مثل بريطانية وفرنسا وغيرها في القرن الثامن والتاسع عشر , بعد ان حصلت على القوه , كيف كانت نتائج تلك العقيدة الرومانية المدمرة التي اعتنقها الغرب, وما فعلته بالعالم , فقد غزة واحتلت العالم الفقير والضعيف , وعملت على قهره وتجويعه وقتل ابنائه لفرض فكرها ومعتقدتها بالقوة , وسرقة ونهبت اموالهم وخيراتهم , بحجة نشر خضارتها وتقدمها الفكري والتقني والديني ونشر السلام العالمي , لقد جعلت من تلك البلاد الأمنه والتي كان ينعم كثير منها بالخير والتقدم والامان والسلم الاجتماعي والنظام مثل الجزائر ومالي وغيرهما الى مجازر وخراب , وجعلتها قواعد لتجارب السلاح النووي والقتل .

لقد حاولت فرنسا ان تحول الجزائر الى جزء من فرنسا وتغير فكرها ولغتها ومعتقدها عن طريق القوة والقمع لأكثر من 132سنه، فكانت النتيجة فشل ذريع، ولد كره وعداء لفرنسا وفكرها ومعتقدها، فخرجت خائبة حاسر تجر ذيول الخيبة بعد ان تركت تلك البلاد خراب. فلم تنجح بعد هذا الزمن الطويل ان تغير معتقد جزائري واحد، إلا أنه عندما ذهب أبن الجزائر الى فرنسا والغرب للعيش بها بسلام استطاع ان يجذب الى معتقده ودينه وفكره ملايين من شعوب فرنسا وكل أوروبا مما جعل حكام أوروبا تخاف على شعوبها من الفكر القادم من تلك الشعوب التي غزتها من قبل بالقوة ولم تستطع ان تفرض عليها فكرها ومعتقدها, لقد استطاع المسلمين القادمين من المغرب العربي ومشرقه أن يجذب اليه ملايين من شعوب أوروبا الى فكره ومعتقده بالنقاش الحضاري المعتمد على مذهب امامهم الشافعي الذي يؤمن بأن رأي صحيح ويحتمل الخطء وراي غير خطئ ويحتمل الصواب.

إن الفكر الاسلامي الذي يؤمن بأن لا إكراه في الدين والفكر والعقيدة، يجذب اليه كل الشعوب الذي مر عليها، فاعتنق فكره ومذهبه في الحياة واسلمت لهذا الفكر أمما كثيرا، لإنه يتبع اسلوب حضاري انساني تألفه النفوس والعقول وتتفاعل معه فأمنوا به وحملوا رايته. وهذا ما **دفع زيغرد هونكه ان يدعوا العالم الغربي ان يرفع الظلم عن الاسلام ويعترف بحقه ومكانته في ودوره في تقدم الحضارة الإنسانية، فيقول في كتابه " الله ليس كذلك يقول " (" فأن الوقت قد حان أخيرا لطي عنا غرورنا وكبريائنا الزائغ، وأن نحطم ذلك السد الحائل المخزي الذي أقامته الصدمة النفسية المتغلغلة فينا، نتيجة الفخر الكاذب والاجحاف الظالم بعد تسعمائة عام من ذلك النداء البابوي الوخيم المشؤوم الى النصارى بأنهم (شعب الله المختار) (223). إن الاسلام هو بلا شك اعظم ديانة على ظهر الارض سماحة وإنصاف، ونقولها بلا تميز ودون أن نسمح للأحكام الظالمة بأن تلطخه بالسواد إذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الأثمة في حقه والجهل المطبق، وإن علينا أن نقبل هذا الشريك والصديق مع ضمان الحق في أن يكون كما هو.).**

وفي كتاب الاسلام والعرب ل **روم لاند** يصف لنا حقيقة التسامح الاسلامي مع الشعوب التي حكمها فيقول ( لقد استسلمت مدن كثيره حالما تلقت وعودا بأن تعامل في تسامح, ورحب اليهود الذين اضطهدوا اقسى الاضطهاد في ظل القوط بالفاتحين المسلمين واعتبروهم مخلصين . ووضعت المدن المفتوحة قرطبة وملقه وغرناظه واشبيليه وطلطيليه , تحت إدارة السكان اليهود , لقد منحت حريه دينيه كامله ولم يطلب اليها إلا دفع جزية على الرؤوس ومقدارها دينارا ذهبي واحد , ولم يتبنى النصارى في بادئ الامر العادات العربية , بل احتفظوا بلغتهم الرومانية وتمتعوا باستقلال كامل تمثل في احتفاظهم بكنائسهم الخاصة وقوانينهم الخاصة ودور قضائهم الخاصة وقضاتهم واساقفتهم ..(ونبلاهم ) المخصوصين , وكرة اخرى أظهر المسلمون تسامحهم نحو اهل الكتاب )(226)

ويصف لنا في المقابل **زيغريد هونكه** ما فعله الغرب عندما دخل بلاد الاندلس، من فضائع يندى لها الجبين الانساني فيقول ( لقد اجبرت الشعوب افواجا على التعمد واعتناق المسيحية كرها , أما الالاف المؤلفة التي ابت التنصير فقد ذبحت ذبحا ولم يهتم احد بهذا الخرق الوحشي لحقوق الإنسان , وما تم من اغتصابات نفسيه وجسديه لمحو الدينات الذاتية الحيه من رؤوس السكان الاصليين وغرس ديانة غريبه عنهم بدلا من ديانتهم التي شبوا عليها ).(223) .

ثم يعرج في كتابه **"الله ليس كذلك"** الى ما قام به قادة وعظماء الملوك المسيحيين في المسلمين\_ في فلسطين ابان الحروب الصليبية \_ بعد ان اعطوهم الامان , فيقول ( هنا كان ينبغي أن نقرع الناقوس وأن نتجاوب لرنين نواقيس أخرى , فإذا كان عربي قد قدم مثل هذا البرهان على السمو والمروءة المتناهية , فإن ذلك ليس بدعا او حدثا فرديا , فثمة شواهد اخرى في هذا الصدد , ونذكر هنا الملك الانكليزي **ريتشارد قلب الاسد** , الذي نشأ في الغرب تنشئة الملوك الشرفاء , فقد مرغ تلك السمعة الطيبة في العار ودأب على تلويثها بشكل مخزي دئما ابدا , فبينما أقسم بشرفه لثلاثة الاف اسير عربي أن حياتهم أمنه , إذا هو فجأة منقلب المزاج فيأمر بذبحهم جميعا , ويحذوا قائد الجيش الفرنسي حذوه سريعا , . وهكذا لطخ بفعلته النكراء وبسفكه تلك الدماء سمعته الى الابد، وضيع ثمرة انتصاره في أذيال الخزي والهوان ..... وعلى العكس من هذا عرفنا صلاح الدين الايوبي الذي أخذ قواد الجيوش النصارى فلم ينتقم قط من اسراهم النصارى الذين كانوا تحت رحمته، ردا على خيانتهم وغدرهم وفظاعاتهم الوحشية التي ليس لها حد). (227) .

إن هذه المقارنات التاريخية تعطينا الواقع التاريخي لحقيقة الاسلام، بأنه دين سلم وسلام, ويؤكد ذلك المؤرخ **كارين أرمسترنج في كتابه** "سيرة النبي محمد (ص)" فيقول ( لم يكن النبي يريد الشروع في اعمال ثأر دموية ولم يفرض على احد قبول الاسلام , بل لم يشعر احد انه يتعرض لأي ضغط حتى يدخل في الاسلام , كان محمد لا يريد إرغام الناس بل مصلحتهم ). (228)

فيجب ان نعلم وندرك أن الإنسان اعطاه الله عقل وقلب، فلكي يقبل الانسان اي شيء لا بد ان يقبله بكلاهما. فالعقل يريد التحاور والمناظرة والتشاور، والقلب يريد التواد والشعور بالأمان والراحة مع المتحاور معه. وهذا لا تجده إلا في الفكر الإسلامي، الذي يقول "وجادلهم بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم". (229) , ويقول للذين يختلف معهم " لكم دينكم ولي دين,(230) , ويوصي ويعتقد بأنه "لا إكراه في الدين"(231) .

وقد بين لنا التاريخ ذلك التأخي والتعايش السلمي والحضاري بين مختلف الاديان والعقائد في ظل الدولة والحكم الاسلامي. فالتاريخ الغربي والشرقي يشهد بحضارة ورقي الدولة الإسلامية في الأندلس وفي كل بقعة حكمها، كيف كان التأليف والتأخي والتجانس بين الملل والاديان المختلفة.

لقد كانت الإطلالة الاقرب للعالم الغربي على الاسلام هي من ارض الاندلس، التي انارة لهم ظلمات التخلف والتعصب الديني والفكري، فأقبلوا عليه بشغف الباحث عن الحقيقة. ووجدوا ضالتهم في هذا النور. يقول المصلح والاديب الروسي **تولستوي** الذي كان يعيش صراعا مريرا مع الكنيسة التي اتهمته بأنه عدو لها ومتحالف مع قيصر ضد الشعب حين قال “لقد استولى حب السلطة على قلوب رجال الكنيسة “، لقد وجد هذا الرجل الذي كان يريد الاصلاح لإمته , ضالته في الاسلام .

لقد اعجب تولستي بالإسلام وبنبيه فقال عنه " إن مما لا ريب فيه أن النبي محمد من اعظم المصلحين الذين خدموا المجتمع خدمة جليله , رجل اثر حياة الزهد , وفسح لقومه سبيل الرقي والمدنية" وقال " وهو لعمري عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي من قوه ورجل جدير بالاحترام والتقدير والاكرام " ( 224) , ولقد ذكر في كتابه **"حكم النبي"** في سنة 1908 مجموعه من الاحاديث النبوية والآيات القرآنية , التي اوردها في كتابه ودعا الناس الى التفكر والتأمل بها وقال عنها انها تمثل روح الاسلام وجوهره , ومنها حديث ( لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وحديث ( زين الله السماء بثلاث الشمس والقمر والكواكب , وزين الارض بثلاث العلماء والمطر وسلطان عادل ) , لقد رأى في هذه الاحاديث السبيل والحل الامثل لحلول مشاكلهم ولإخراجهم من ظلماتهم , لقد رأى في الاسلام منتهى العدالة الاجتماعية والطريق الامثل للوصول الى الفضيلة والتخلص من انانية النفس وحب الذات المفرط ,الذي يهضم ويظلم حقوق الاخرين ويعمي البصر والبصير. وقال عن نبي هذا الدين محمد صلى الله عليه وسلم (يكفي محمد فخرا انه خلص امة ذليلة دموية من مخالب العادات الدميمة، وفتح في وجهها طريق الرقي والتقدم،

"**وان شريعة محمد سادة العالم لانسجامها مع العقل والحكمة").**

وقد ويرسم لنا صورة تأثير هذا الفكر المنفتح في بلاد الاندلس **السير تماس** في نفس كتابه **"الدعوة الى الاسلام ,**بقوله ( ولما كان أشهر رجال الدين قد تأثروا تأثرًا عميقًا من جراء اتصالهم بالمسلمين ، جاز لنا أن نحكم بأن تأثير الإسلام في مسيحي أوربا كان عظيمًا. وليس أدل على صحة هذا القول من التفكير في عقد ذلك المجمع بمدينة طليطلة سنة 936 م للبحث في أحسن الوسائل التي تحول دون أن تفسد هذه العلاقات من صفاء الدين المسيحي ونقائه "(225)

ويقول **السير توماس ارنولد** في **"كتابه الدعوه الى الاسلام** “ ( نستطيع أن ندرك بسهوله كيف كان عوامل التأثير في الآراء وإقامة الشعائر الإسلامية "في الاندلس" قد أدت الى ما هو أكثر من مجرد التقارب والاتصال , كما أنها عملت على زيادة الداخلين في الاسلام , حتى أن ذريتهم أطلق عليهم أسم الموالين \_ ذلك الفظ يدل على الاشخاص الذين لم يكونوا من دم عربي )(225) .

ولو قارنا ما قام به الأوربيين عندما اخذوا الأندلس بأهلها من المسلمين، ونقارنه بما قام به المسلمين عندما دخلوا مصر أو عندما دخلوا القارة الهندية، لوجدنا الفارق الكبير والمثال الواضح والصارخ في معتقد المسلمين بعدم الاكراه وتقبل الرأي الاخر وبين مذهب الغرب بأن القوة هي التي تصنع السلام. لقد اعطى الاسلام الحرية الفكرية الكاملة لأهلها فلم يجبر أحد على اعتناق مذهبه وفكره، فلم يجبر الهنود في القارة الهندية الى اعتناق الاسلام كما فعلت اسبانيه في اهل الأندلس وارغمت جميع من فيها على دخول ديانتها او الموت.

لقد ترك المسلمون حكم الهند والهندوس و90% منهم لايزالون على ديانتهم، لإنهم لم يجبروا أحد على تغيير ديانته عندما كانوا يحكمونها. لكننا نرى الهندوس في يومنا هذا بعد ان صار إليهم حكم الهند، كيف أنهم يسومون العذاب بالمسلمين الذين بقوا بين ظهرانيهم وتحت حكمهم.

ثم يلخص لنا المستشرق البريطاني (1957 -1872) **دي لاسي أوليري** في كتابه "**الاسلام في مفترق الطرق**" الذي درس التاريخ الاسلامي، يقول **" أوضح التاريخ أن الأسطورة القائلة باجتياح المسلمين المتعصبين للعالم وفرضهم الاسلام على الاجناس المقهورة تحت تهديد السلاح، هي إحدى أكبر الاساطير أو الخرفات الخيالية التي رددها في اي وقت المؤرخون , سخافة ومنافاة للعقل "(**232) .

ويستشهد المستشرق البريطاني **أندرسون** على الفكر الاسلامي المتحضر والراقي كيف اثر في الشعوب التي مر عليها بقوله

( لقد تطورت ملاحظة الأثار العميقة التي أحدثها الاسلام في حياة الزنوج في افريقيا وفي ثقافتهم , وهكذا يذهب "ميك " الى حد القول : أنه "يعني الاسلام " لم يؤدي الى تغيرات عميقة في التركيب الجنسي لهذه الشعوب فحسب , وإنما أتى معه بحضارة جديده , أعطت الأجناس الزنجية المولدة الطابع الثقافي المميز ومازال مسيطر على حياتهم السياسية ومؤسساتهم الاجتماعية ..إن الاسلام جاء بالحضارة الى القبائل البربرية ( الهمجية ) وحول جماعات منفصله من الوثنيين إلى أمم , إنه جعل الحظوة مع العالم الخارجي ممكنه , **إنه وسع النظر , ورفع مستوى المعيشة بإنشائه جوا اجتماعيا راقيا , وأسبغ على أتباعه الوقار , واحترام النفس , واحترام الناس** , إن الاسلام أدخل فن القراءة والكتابة وبفضله تم تحريم تعاطي المسكرات .. والثأر والعادات البربرية الآخرة وجعل من الزنجي السوداني مواطنا عالميا “) (233).

إن معتقد لا إكراه في الدين، هو التعامل الحضاري الامثل، الذي يجعل الفكر ينفتح على الفكر الاخر بعقل منفتح ليس فيه كراهية واحقاد، لإن الكراهية والاحقاد تغلق باب القلب عن تقبل اي فكر بالإكراه , والعقل يأبى أن يتقبل الفكر الاخر بالقوة , فيولد فكرا متطرفا عصبيا حانقا شاذا بعيد عن انسانية الإنسان, كما أخبرنا الله في القرءان بأن الاعتداء بالقول والتهكم واحتقار فكر الأخر تدفع المقابل بأن "تأخذه العزة في الأثم", أي يصر على خطئه حتى ولو علم بخطئه تعندا.

ويشهد ويعترف متعجبا المستشرق البريطاني من هذا الفكر النير الحضاري **السير توماس أرنولد** في كتابه **" الدعوة الى الاسلام** " بقوله " فهناك حالتان تاريخيتان كبيرتان وطئ فيها الكفار من البربرين بأقدامهم أعناق المسلمين أتباع الرسول أولئك الأتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر , والمغول في القرن الثالث عشر , وفي كلتا الحالتين نرى الفاتحين يعتنقون ديانة المغلوبين , وقد حمل دعاة المسلمين الذين كانوا قد خلوا من اي مظهر من مظاهر السلطان الزمني , عقيدتهم الى افريقيا الوسطى والصين والجزائر والهند الشرقية وتمددت العقيدة الإسلامية اليوم من مراكش والى سيبيريا والصين ومن الليوث الى غينيا الجديدة ) . (234).

إن الفكر المنفتح هو الذي يؤدي الى التقارب الفكري العقائدي لأنه سوف يؤدي الى **تصاغر دورة المحيط،** فتتقارب الافكار والمفاهيم، وهذا لا يعني الوصول الى مذهب ومعتقد واحد، ولكن يؤدي الى اعتناق مذهب تفاهم وتقبل رأي الاخرين وهو مذهب الامام الشافعي **" رأي صواب يقبل الخطء ورأي غيري خطئ يقبل الصواب ".** كتقارب افكار ومفاهيم العائلة الواحدة التي تسعى جميعها الى مصلحه واحده وهي بناء ذلك البيت وتقويمه بشكل صحيح ومتين ليعيش الجميع بأمن وامان واطمئنان. فكلما صار التقارب والتداخل بين الاقوام اكثر عن طريق التواصل الاجتماعي والثقافي والعلمي والتجاري ,وسهولة التنقل بين الامم. فهذا يؤدي الى التقارب والالتقاء بين الشرق والغرب والشمال بالجنوب، ليصبح العالم وطن واحد , اي عندما تتقارب الشعوب مع بعضها البعض وتتعارف فيأخذ هذا من ذاك وذاك من هذا , ويصبح العالم في حقيقته قريه عصريه صغيره, ويسود بينهم مذهب الشافعي رحمه الله في التعامل مع الغير **, عندها تتوحد المشارب التي تروى من الفطرة , فيكون الناتج الاخلاقي الانساني متقارب ومتشابه , لان البذرة البشرية واحده .**

**ثانيا:** عامل الأخر الذي يعمل على تقارب المفاهيم والأفكار والاعتقادات والتألف الاجتماعي والفكري، هو التقارب المعيشي، اي انه كلما كان مستوى المعيشي للأفراد متقارب بين بني البشر، كلما انعدم التعالي والتكبر بينهم، وانحسرت الفروقات والاختلافات الفكرية ولتوجهيه، مما يؤدي الى التفاهم والتعايش السلمي.

فوجود شعوب فقيره معدومة وشعوب غنيه غناء فاحش. أو مجتمعات في رفاهية من العيش المترف، ومجتمعات لا تجد لقمة الخبز، يولد احقاد وتنافر وتكبر وتعالي، وعدم انسجام فكري، ويولد نظره مختلفة وفكر مختلف للحياة، وطريقة العيش، ولأوليات الامور، وللاهتمامات. مما ينتج عنه :-

أ -اختلاف اوليات واهتمامات الناس المعيشية والاجتماعية، فتختلف نظرتهم للأشياء وقيمتها وتقييمها، مما يولد توجهات مختلفة ومتضاربة، وتقييم وقيم مختلفة.

ب-: إن هذا الفارق المعيشي يؤدي الى التباغض والتباعد والفكري.

فالتباغض والتباعد الفكري, لا يولدون حضارة انسانية سليمة او راقيه، بل يولد تشاحن وتشاجر وتنافر وانعدام التفاهم. لذا كان من الضروري ان يهتم العالم الغني بالعالم الفقير ويحاول تقريب الفارق المعيشي بينهم، بتقديم المساعدات المالية واعطاء وخلق فرص للعمل، بدل من بث روح العداء وسياسة فرق تسد لنشر التقاتل بين الناس، لترويج وازدهار بيع السلاح بين المتخاصمين، ولأضعاف الاخرين والاستيلاء على ثروات بلادهم، فالجشع والطمع وعدم الرضى والاكتفاء بما انعم الله على الغني، والطمع بما في يد الفقير، هي التي خلقت البغضاء والتباعد والتنافر بين الامم. فالفارق الطبقي الكبير يؤدي الى ان يصبح كل الفريقين له نظره مختلفة كليا عن الاخر في الحكم على الاشياء، فلو تصرف الانسان الغني بإنسانية خالصه من غير هوى الشيطان ومكائده، لاستطاعة ان يقرب الفجوة بينهما عن طريق الاستثمار في البلاد الفقيرة وبناء مصانع ومعامل انتاجيه تدر عليه بالربح وبنفس الوقت تنعش اقتصاد الدول الفقيرة وتكثر من فرص العمل. فهذا التعاون المخلص هو طريق التقارب بين الشعوب ويعمل على التقارب الفكري والحضاري بين الامم، لا سياسة بيع السلاح والسموم للأخر لجني المال عن طريق نشر العداوة والبغضاء والجهل بين الناس.

والحالة كذلك في المجتمع والدولة الواحدة : فأن الانسجام المجتمعي ينتج من التقارب الطبقي , فلا بد من أن يعين الغني الفقير ولابد من ان توفر الدولة فرص العمل الكافي للجميع , لكي تنعدم الفوارق الاجتماعية والطبقية , ولذا نجد ان الدول الناجحة والمستقرة هي التي تستطيع ان تقارب التفاوت الطبقي وتجعل النسبة الكبيرة من الشعب هي من الفئه المتوسطة , وهذا يجعل ابناء الشعب الوحد متقاربين في الفكر والتطلع , فيجعل منهم مجتمع متماسكا صلبا, فالكل يشعر بانتمائه لهذا البلد وأنه قد اخذ حظه ونصيبه منه , مما يجعل منه مواطنا صالحا يعمل لرفعة بلده ونصرته ويفتديه بماله ونفسه عند الشدائد , فلا يكون كالذي يبيع بلده وأهله بأرخص الاثمان , نتيجة شعوره انه مغبون من اهله وفي بلده , فالاختلاف الطبقي يؤدي الى الاختلاف الفكري والعقائدي .

ثالثا: التجارة والتعاملات والسوق المشتركة تعمل كذلك على تقارب دوائر المعرفة والألفة، فالاحتكاك اليومي يزيل الخوف والريبة، اي انه في مواصفات هذه القرية العصرية العالمية يستطيع الانسان ان يتفهم اخيه الانسان في مواقع جغرافية مختلفة نتيجة التعاملات التجارية والثقافية والرياضية والفنية وحتى من خلال غرف المحادثة في الانترنيت , فكل وسائل ووسائط التواصل تعين على التفاهم والتقارب الفكري وإزالة الخوف والريبة من الغير .

رابعا : إتاحة فرص الحياة للجميع بالتساوي يزيل التباغض والاحقاد بين الناس وتزيل الحسد والكراهية والعداوة , واقصد هنا في توفر مستلزمات الحياة اليومية والترفيهية وكل وسائط العيش الاخرى , حيث ان وسائط العيش تؤثر في نظرة الانسان للأشياء ,فأن اختلاف وسائط العيش يجعل سلم الاوليات مختلف, وهذا يؤدي الى اختلاف الاهتمامات عند الناس , واختلاف الشخصية , وليس هنا المقصود ان يكون الناس كلهم في مستوى معيشي واحد وهذا لا يمكن , لأنه مخالف لسنة الحياة التي اسنها الله العلي القدير , فهو الذي قدر الارزاق والاحوال ليتخذ بعضنا بعضا سخريا , اي ليسخر بعضنا بعض لتكتمل دائرة مستلزمات الحياة اليومية , فلو اغتنى الجميع من سيقوم بجملة الاعمال اليدوية المختلفة من زراعه وبناء وترميم وتنظيف وتربيه وتعليم وإلى اخره , ولكن المقصود هنا في توفير الخدمات الأساسية للجميع بالتساوي , مثل التعليم والصحة وغيرها من الاشياء التي تجعل الانسان سويا جسديا وذهنيا , ليتساوى الجميع في فرص الحياة من الرقي والتقدم , ولذا فنحن نعارض ان يكون مجال الصحة والتعليم مخصص في شركات اهليه خاصه , بل نمتنا من كل دول العالم ان تجعل تلك المجالات عامه في يد الدولة لينال الجميع حصته منها بالتساوي.

**العوامل الداخلية:** وبما أن الإنسان خلق من مادة واحده وأن خالقه واحد وخلقه واحد, فهذا يجعل أسسه ومقدرته التفكيرية واحدة, ولكن يبدئ الاختلاف عندما يختلف الهوى والميول باختلاف المكتسبات الخارجية, فبما اعطي الإنسان من حرية كامله في الاختيار والتصرف, فتميل النفس الى ما تشاء وتختار مع مكونها النفسي الملهم في سلوك الفجور والاندفاع في الشهوة او الإمساك والترقب والحذر والتوقي من التقوى , وذلك بما الهم الله النفس البشرية واعطها من القابلية على الفجور والتقوى , لقوله تعالى **( ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقوها )**, فترتسم الانفس وتختلف بما مالت اليه واختارته , فتتقارب او تتنافر بما حملته كل نفس وارتسمت وصبغت به , فلأنفس تميل وتتقارب لما تشابهها من الانفس الاخرى , فكما تقول العرب **شبيه الشيء منجذب اليه** , **والطيور على اشكالها تقع** , اي تتلاقى, وامثال مشابهة لهذا المعنى عند الامم الاخرى لان هذه صفه انسانيه عند كل البشر.

فالإنسان يحب ويميل الى اخيه الانسان المشابه له في الطبع والتطبع وما جبل عليه واحبته نفسه , فنرى ان محبي الخير والعطاء ينجذب بعضهم الى بعض ومحبي الشر يلتقوا مع بعضهم البعض , وهكذا قد تنطبع النفس على حب اشياء بعينها وتكره أشياء اخرى , مثلا قد يسهل التألف بين محبي الرياضة مع بعض او محبي الحيوانات او اي هواية من الهوايات او اي عادة من العادات ,فأن عوامل التقارب والتباعد كثيره ومختلفة , وقد تجمع اشياء وتفرق اشياء اخرى عند شخصين معينين , فليس هناك مخلوقان على وجه البسيطة , تتطابق اهوائهم وتطلعاتهم وعاداتهم مئة في المائة , لان مبدع الخلق جعل لكل انسان شخصية خاصة به, كاختلاف بصمات اصابعهم , فبصمة شخصية اي انسان كطابع اصابعه , لها بصمتها المختلفة والمميزة الخاصة بها, إلا أن هذا الاختلاف يجمعه عامل التوافق على حب الخير او المصالح المشتركة, فعوامل الجذب والتوافق تكون عامل تشجيع كبير على الانفتاح على الفكر الأخر, وهذه تؤدي الى التقارب الحضاري والفكري بين بني البشر, فالاختلاف الفكري المنفتح يطعم العقول والافكار بالجديد ,والذي ينتج عنه الافضل للجميع. .

فالله الخالق جلا وعلا أنزل الانسان على هذه الارض , ثم نشره فيها وجعله شعوبا وقبائل مختلفة في الالوان والاشكال واللغات, فاختلفت طبائعهم باختلاف مشاربهم البيئية, ثم جعل فيهم حب التعارف والالتقاء ليألف بعضهم بعض ويأنس بعضهم ببعض ولذلك سمي الانسان انسانا , وسميت الوحوش لتوحشها ,ثم اعلمهم انهم سواء عنده , فهو العادل في خلقه ,وسخر لهم نعمه بالسواء ,وأن كل من يعمل يحصل على مقدار ما عمل , فأن عمل لدنياه وأن كان كافر بربه وجاحدا نعمه ووجوده فأنه يعطيه مقدار سعيه وعمله ودأبه في تحصيل ذلك الشيء في دنياه التي عمل لها , وإن عمل للأخرة وسعى لها سعيها فسوف يجاز خيرا في الأخرة لما عمل له وكذلك يعطيه من الدنيا ما يشاء , فالله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون, ويقول العلي القدير في كتابه العزيز مخاطب الناس كافه ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم ) اي ان الله يريد منكم **ان تتعارفوا وتتلاقوا حضاريا اي يريد الالتقاء الحضارات وليس صراع حضارات** , وان هذا الالتقاء يجب ان يكون للأفضل , اي يكون للنقاء " والتقى والصفاء " من التقوى , وهو هدف يجب أن يسعى الناس أن يلتقوا عليه , أي أن تكون الأفضلية للتقوى , اي للأنفس النقية التي تنقت فطرتها من الدنس وما دس فيها من السوء , والتي انتيرت نور فطرتها بنور السماء فأصبحت في نقاء وصفاء وتنقيّه ومتّقيه من ان يصيبها شيء من الرجس والظلام , فهذه هي الأنفس التي فضلها الله عنده وأكرمها. أذا فالالتقاء الحضاري واجب، على ان يكون هذا الالتقاء يسموا ويسعى الى السمات الحضارية التي تحمل الانقى والاتقى من الصفات البشرية الخالية من الأنانية وداء الأنا , وأن الأنفس الاكثر انسانيه هي الاكثر نقاء في فطرتها الإنسانية , فمن صفات وسمات صفاء الفطرة ونقائها هي ان تكون متقيه حذرة من ان تقع في الخطأ , فهي لوامة ومحذِرة لصاحبها اذا ما اخطأ , ومطمئنة راضية بالخير لصاحبها , ومعاتبة لوامة اذا ما وقع صاحبها في سوء او شر, فهذه هي النفس التقيه التي فضلها الله حين قال إن أكرمكم عند الله اتقاكم . وهذه هي الانفس التي تبني الحضارة والرقي الحقيقي، وهي البذرة الحقيقة للحضارة الإنسانية الراقية التي يسعى الإنسان ان يصل بها الى مدها واقصاها.

هذا هو الفاصل في تعريف الحضارة الحقيقية والرقي الإنساني. فهذا هو النبع الذي يجب ان يغرف منه الإنسان ليصل به الى منتهاه الحضاري الإنساني الجميل. وليس المعايير الخاطئة التي تشمئز منها الفطرة الإنسانية النقية السليمة، فليست الحضارة في ان تتعرى المرأة وتنزع عنها الحياء والعفة، وليست الحضارة في ان يفقد الانسان غيرته وحشمته وعفته فلا يغار على اهل بيته إن تحرش بهم أحد او نظر إليهم أحد نظرة سوء، وليست الحضارة في منظر مزيف من لبس وفعل يظهر قبح النفس، او في طريقة معينة في المشي والملبس ليس لها صلة بتهذيب النفس وتنقيتها. او الاتيان بالسيئ من العمل والعادات لأنه شاع الاتيان به بين بعض الاغنياء وذو السلطان والاعيان من الناس، كشرب الخمر ولعب القمار أو التكبر والتمايز في معاملة الناس. وكذلك ليس من الإنسانية الأنانية وحب الذات والنظر الى المنافع الشخصية وعدم الاكتراث بمصالح الناس ومنافعها. وليس من الإنسانية ادارة ظهورنا للغير وعدم الاكتراث بمشاكلهم وحاجاتهم.

لذلك يجب ان نعلم أن تمايزنا وتموضعنا في هذه الحياة الدنيا هو لاختبار كل منا في موضعه وما اتاه الله في هذه الحياة. يقول جل وعلا في ذلك (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)". فسنة الله في الاختلاف هي للامتحان وتمحيص تصرف كل انسان فيما اعطي ومنع من متاع الدنيا، وفي تعامله مع اخيه الإنسان.

فكل أحوال الإنسان هي حالة من حالات الابتلاء والامتحان لينظر ماذا سيعمل بها. يقول تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون). فمع اختلاف مادة الامتحان من خير أو شر، إلا أن المطلوب من الكل أن يتصرف ويخرج من هذا الامتحان، بإنسانية عالية تراقب وترع الغير في كل ما تعمل، وألا تجعله مادة امتحانه يحقد او يتعدى او يحسد ويكره الغير إن ابتليه في نقص من الخيرات، او أن تجعله يتكبر ويتعالى ويظلم إن اوتي الخير او السلطان. لإن نجاحه فيما ابتلي به واعطي له هو في الحفاظ على إنسانيته العالية ليكون من الفائزين. ولذا امر الله الجميع في التسابق في الخيرات كل من موقعه، وبما ملك من امكانيات ومواقع ومواهب.

فالأمم الأكثر حضارية وإنسانيه، هي الامه التي تسارع في عمل الخير، وتعمل وتأمر بالمعروف وتشجعه وتنهى عن عمل المنكر وتنتهي عنه. لقد كانت تلك صفة صحابة الرسول محمد (ص) حين وصفهم ربهم بالقرءن الكريم بالخيرية، فقال لهم (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله).

لقد جاءت الرسالة الخاتمة للأديان لتعلم الإنسان كيف يتعايش مع أخيه الإنسان ومع فكره ومعتقده وكيفية الحوار بينهم والعمل على خير الإنسان أينما كان, لا تتصارع وتتقاتل مع الاديان السابقة والملل, ولكن جاءت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة بالإيمان بالله الواحد القاهر , ولتتسابق مع امم والأديان التي سبقتها في عمل الخير ودفع الشر عن الناس , يقول تعالى لخاتم مرسليه في سورة المائدة 48 ( وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ **فاستبقوا الخيرات** إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)(219) فإسلام يعترف بكل الشرائع والاديان والملل ويتعاون ويتسابق معها في فعل الخير. فالأفضلية في هذا السباق الحضاري هو في عمل الخير، فخيرنا من **يسبق** بعمل الخير للإنسانية، ويقدم لها ما يفيدها ويمنع عنها ما يضرها.

**فاستبقوا الخيرات** : هذا ما يريده الخالق من خلقه على هذه الارض, التسابق الحضاري الحقيقي في فعل الخير. فقد غضب الله على بني إسرائيل لإنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، فعاقب اصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر، ونال الذين لم ينهوا عن فعل المنكر نفس عقاب الذين كانوا يعملون المنكر من العقاب، وأنج الله فقط الذين ينهون عن السوء، فقال تعالى عنهم (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) (235).

وفي المقابل نجد ان الله العلي القدير يمتدح امة محمد صلى الله عليه وسلم ويصفهم بخير امة اخرجت للناس، وذلك لآنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات ويؤمنون بالله، فقد نالوا الخيرية ليس بكثرة صلاتهم وصيامهم، ولكن نالوها لتسارعهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي عمل الخير، فابنوا حضارة عظيمه وقدموا للبشرية الكثير من الخيرات وقفزوا بالبشرية ودفعوا بنهضتها شوطا كبيرا.

إن كل ما ينعم به الانسان في وقتنا الحاضر من علوم وتقدم تقني وفكري ونمط حياة اجتماعي إنساني راقي، كان بفضل تلك الامه ونمطها الحضاري الذي انار للناس طريق الخير وحارب الشر وأهله. وقد بينا هذا الفضل عندما تحدثنا عن فضل الحداثة الحقيقية للإنسان، والتي انطلقت من امر العزيز الحكيم لنبيه الكريم أن "إقراء", ذلك الامر الذي أشعل الثورة العلمية والفكرية في عقول البشرية.

نحن نؤمن أن هذا هو مراد الخالق في خلقه ان يتسابقوا في عمل الخير، فكل يقدم ما أنعم الله به عليه وسخره له وعلمه إياه، فكل إنسان يستطيع ان يقدم الخير لآخية الانسان من فكر او جهد او ماده، فكل واحد اعطاه الله شيء يمكن ان ينفع به البشرية، فالله لم يخلق شيء عبثا، فكل عطاء، او موهبه، او قابليه، او فكر اعطي لمخلوق من مخلوقات الله يستطيع أن يسهم به في الخير للإنسانية ولرفاهية البشر. فمن لم يعط الإرادة من غير بني البشر والجن، سيرته فطرته ومواهبه لفعل ما خلق له، وأما من اعطي الحرية والخيار في تصرفاته، فهو محاسب على عمله.

**مصير البشرية إذا ما تهاونت او تخلت عما كلفت به: -**

إن الله جل وعلا خلق الإنسان في احسن تقويم خلقا وخُلقا ليعيش على الأرض ويستعمرها بالخير ولينظم حياته فيها في أمن وأمان وقد سخر الله له فيها كل ما عليها , وأن كل ذلك ليجتاز مادة الامتحان على هذه الأرض من خير ونعم وعذاب وابتلاءات فإن اجتاز ذلك والامتحان ونجح فيه نال خير الدنيا والأخرة وإن فشل خسر كليهما, وقد خلقه الله في أحسن تقويم ليعينه على ذلك الاختبار وقد أمده الله بسلاح من صفات الخير ومن بعض صفات خالقه العظيم ليصلح في الأرض ويعمر فيها الخير والأمان , ثم بعث له إرشادات وتوجيهات تدله على الطريق الذي ينال به خير الدنيا ونعيم الأخرة , ثم انذره اذا لم يتبع ما كلف به خسر الدنيا والاخرة ,يقول تعالى في سورة التين ( والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين ).فالله الخالق العظيم يؤكد للإنسان أنه خلق عظيم وفي أحسن تقويم, ولكنه سوف يرد الى اسفل سافلين, وأن لا نجات من ذلك الهلاك والانزلاق في تلك الهاوية إلا المصلحين في الأرض الذين أمنوا بأن الله خلقهم ليصلحوا في الأرض ويعمروها بالعدل بين الناس.

ثم يبين لنا ويؤكد في سورة أخرى على هلاك ذلك الإنسان الذي يبلغ مبلغ من الرشد والإدراك من العمر ولا ينصلح أمره ويسعى في الإصلاح والصلاح بين الناس, وثم يجاهد ويصبر ويصابر على فعل الخير والامتناع عن الشر، فإن لم يلحق ما فاته من العمر فسوف يقع في ذلك الخسران العظيم الذي يخسره خير الدنيا والأخرة، ونقول خير الدنيا أيضا لإن الذي يسعى للخير في الدنيا يناله من خيرها ومن يسعى في الشر في الدنيا يناله من شرها، وتلك سنة الله في الأرض, يقول تعالى في سورة العصر (والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر))236). إن سورة العصر تبين حقيقة خلقيه فطريه، بأن الإنسان من طبعه الخطء والنسيان وأن نفسه أمارة بالسوء، وأن الإنسان عليه أن ينصلح ويصلح أمره ويتعلم من تجاربه ومما حوله من خلق الله وآياته في الكون والله تعالى يقول سيروا في الأرض وتفكروا واعتبروا يا أولي الألباب، وهذه السورة تبين أن من لم يدرك ويعتبر ويرجع الى والحق والصلح بعد أن يصل من العمر نضوجه واختمار عقله بما شاهد ورأى من عمره الفائت في شبابه، فإنه سوف يكون من الخاسرين. فالعصر من زمان النهار، هو الوقت الذي يأتي قبل نهايته، وبداية زوال الشمس، وبداية انتهاء النهار، وانقضاء عمر ذلك النهار. وهو وقت عصر الاشياء، أي عند اكتمال نضوجها، واخراج ما بها من شراب طيب. فالمولى أقسم في وقت العصر من عمر الانسان وهو عمر النضوج والكمال العقلي، ليبين له انه إذا ما خسر ما تبقى من عمره في غير ما أمر الله به، فذاك هو الخسران المبين. ففي هذا الزمن من العمر (عمر الادراك الكامل والنضوج) *يجب على الانسان أن يجد، ويعطي عصارة جهده في عمل الخير قبل نفاد العمر لآن بعدها الخسران المبين، فمن اضاع عصارة عمره في اللعب واللهو فهو من الخاسرين،* فالإنسان لفي خسر، اي متجه ومنتهي الى الخسران مع انقضاء سنين عمره، فعربة الزمن تأخذه الى الخسران إذا لم يستفد في هذه الرحلة الحياتية من عصارة عمره في عمل الخير والصبر والمجاهدة في هذا العمل، والنصح والتناصح في عمله، والصبر ومجاهدة النفس ودفعها اليه، ومنعها وزجرها عن عمل السوء. والثبات في هذه الرحلة العمرية والمجاهدة فيها على عمل الخير والامتناع عن الشر.

إن مراتب الصلاح تبينها مراتب العمل، ومراتب الايمان تبرزها طبيعة العمل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فأن لم يستطع فبلسانه فأن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان " فالأيمان يصدقه العمل. فمواقف الانسان من الاحداث وتفاعله معها تبين مراتب ودرجات الإيمان بدعوة الله.

إن هذا البناء الانساني الراقي هو ما يدعوا اليه الاسلام الحنيف، يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، راشدا الى سبيل العيش والصلاح وناصحا اتباعه (لا يؤمن احدكم حتى يحب لآخية ما يحب لنفسه ")، إن هذه الدعوة الى الحب والتألف بين الناس هي التي تبني المجتمعات الراقية والحضارة الزاهية وهي من اسس الايمان في دين الاسلام كما وضح رسوله. ويؤكد هذا المعنى في قوله “المسلم من سلم جاره بوائقه" ويقول " المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده " فهذه صفات المسلم ان يكون مئمنا بوائقه اي فيما يأتي به من عمل، اي مأمون الجار والصحبة، مسالم لا يؤذي أحد مستأنسا خلوقا يأنسه الناس وتستأمنه، ويبين رسول الله منزلة هذا المسلم عنده في قوله “اقربكم مني مجلسا يوم القيامة احسنكم اخلاقا " إن هذا يبين حقيقة الدعوة التي جاء بها هذا الرسول حسن الأخلق وحسن التعامل مع الناس فمن تبعه في هذا الفعل والعمل كان مصاحب له يوم القيامة، يوم الجزاء على العمل.

الإسلامافوبيا (التخوف من الإسلام): -

فإذا كان هذا هو الاسلام وهذا ما يدعو اليه فمن اين جاءت الاسلام فوبيا. فالاساموفوبيا هي ليست كما يدعون الخوف من الاسلام وإرهابه، ولكن معناها الحقيقي، هو خوف المفسدون في الارض من الاسلام من ان ينور قلوب الناس ويهديهم الى طريق الصواب، وينقذهم من الضلال والظلام الذي أدخلوهم فيه المفسدون ليستعبدوهم. فالإسلام يدعوا الى العدالة الاجتماعية والى الحق والمساواة في فرص العيش الكريم واعطاء كل ذي حق حقه، انه ضد الظلم وسياسة التجبر والتكبر والاستعلاء وهضم حقوق الضعفاء والاستعلاء عليهم، وسلب ثرواتهم ونهب خيراتهم، انه دين الحق والعدل، ولهذا يخافون منه لآنه يعارض مصالحهم واطماعهم، ويقف في وجه سياستهم الاستعمارية التسلطية، تلك السياسة التي تدعي ان الحق للقوي فقط وليس للضعيف اي حق او نصيب في الحياة الكريمة. إن هذا النظام الظالم الذي يريدونه ان يحكم العالم ويسيره على حسب مصالحهم، فيزيف الحقائق، ويجعل الحق باطل والباطل حقا، فيسمي محاولة استرجاع الحق من الظالم ارهابا، وسلب اموال الضعفاء والفقراء واستعبادهم اصلاح واعادة اعمار وديمقراطية ونشر السلام العالمي. فهو يعتقد أنه هو صاحب الحق الاوحد في تسمية الافعال وتقديرها , ووحده من يمتلك معجم وفهرس الاعمال والافعال , يٌعرفها على هواه وما تتطلبه مصالحه , هو بذلك يهيمن على الماكنة الإعلامية بكل اصنافها , فيصف الاحداث ويرسمها ويحكي قصصها بما يحلو له , وبما يشتهي ويهوى, فيطمس الحقائق ويضلل العقول, فصوته هو المسموع فقط , وعلى العالم ان يسمع ويطيع ويصدق ويصفق , وإلا فهو متمرد ارهابي متخلف خارج عن دائرة الحضارة والديمقراطية وعدوا لهما ويجب ازاحته او ارجاعه الى حضيرة الديمقراطية بالقوة , كما فعلوا في أفغانستان والعراق, من قتل وتدمير وتخريب وتهجير لأهلها باسم الديمقراطية .

إن العالم الغربي يقول للعالم بكل وقاحه وصلف لقد جاءنا للإرساء مبدأ الديمقراطية والعدل والمساوات والحرية الشخصية والتقدم والرقي ونشر السلام في العالم , كل تلك المسميات الزائفة يطلقونها من غير خجل او خوف او استحياء , لإنهم يملكون القوى المادية والوسائل الإعلامية والدعائية , فمن يخرج عن هواهم او يخالف ما يدّعون فهو من المغضوب عليه ارهابي , لإنه يرهب ويزعج ادعاءاتهم الباطلة.

فكل البلاد التي دخلوها باسم ارساء الديمقراطية ونشر مبادئ الحضارة والرقي، مزقوا نسيجها الاجتماعي، وجعلوا اهلها شيعا يقتل بعضهم بعضا. فهدمت المدن ويتمت الاطفال وترملت النساء وخربت البيوت، وانتشرت الفوضى والتخلف. وأقبح من هذا أنهم أطلقوا على افعالهم الشنيعة تلك أسم "الفوضى الخلاقة". وقد طبلوا لهذه الفوضة الخلاقة على انها من انواع الممارسات الديمقراطية والعمل الصائب الذي يجب ان يفعله الناس لإنه يعبر عن حريتهم التي نالوها. وعلى العالم أن يجب ان يتقبلها ويؤمن بها، فهي الحرية الحقيقية، لآنها من انتاج ديمقراطيتهم، فكل شيء يكون خلاق ومبدع وجميل وحق وعدل إذا خرج من تحت مضلة مصالحهم. بهذا المنهج المعوج تسير ركب حضارتهم، هذه الحضارة التي يفاخرون الامم بها والتي يدعوننا الى الانضمام تحت مضلتها.

ولقد انتقد كثير من المنصفين والذين ابت فطرتهم السليمة ان تستسلم لهذا المنطق الاعوج من ابناء جلدتهم. فنجد الفيلسوف والمفكر المعروف الامريكي نعوم تشومسكي، يصف الاعيبهم وكذبهم وتحريف وتزوير معاني الحقائق ب أل " البروباغاندا"، فقال (إن البروباغاندا " اي الدعاية الكاذبة والتزوير للحقائق" تمثل للديمقراطية ما تمثله الهراة للدكتاتوريات) (190). ويقول عن جرائمهم وتعريفهم للجريمة فيقول (بالنسبة للأقوياء الجرائم فقط هي التي يرتكبها غيرهم) (190).

فالبشرية تعيش اليوم في تمييز طبقي مجحف، عالم الاسياد والعبيد، كأزمان القرون المظلمة من تاريخ البشرية، ولكنهم يحاولون تجميله واطمس قبحه بغشاوة وسائل الاعلام والكذب والتضليل، ففي عالم اليوم القوي لا يكذب وهو صاحب الحق دائما ,وأنه هو وحده من يستطيع أن يميز الحق من الباطل . إن أجمل من وصف هذه القباحة قول الشاعر (قتل أمرئِ في غابة جريمة لا تغتفر ..... وقتل شعب أمن مسألة فيها نظر) فالحق ما احقوه والباطل ما ابطلوه، وما على الاخرين إلا السمع والطاعة.

إن هذا السياسة هي التي تدعوا الى قتل انسانية الإنسان، وتجعل العالم وحشي متمرد يبحث عن مصالحه الشخصية بكل الطرق من غير اكتراث بمصالح الاخرين وحقوقهم، فتنتشر الأنانية، والمنافسة الغير شريفه والكراهية والأحقاد بين الامم والاقوام والافراد، فيصبح العالم غابة لا أمان فيها. وقد حذرنا نبي الرحمة محمد (ص) من هذه السياسة المظلمة والظالمة، عندما جائه قوم يتوسطوا عنده في امرأة من قوم ذو سلطة وجاه سرقت، ليعفو عنها ويسامحها، فأحمر وجهه وقال (والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ) , ثم قال لهم "إن هذا ما اهلك الاقوام من قبلكم , فكانوا اذا سرق الغني تركوه واذا سرق الفقير اقاموا عليه الحد" )(237). . وهذا ما حذرت منه سورتي التين والعصر، من عاقبة الهلاك إذا ما ساد الفساد.

هذا هي الحضارة الإسلامية الحقيقية وما تدعو اليه لتقيم العدل للجميع، والتي بنت مجتمعا حضاريا راقيا يشهد له التاريخ، والتي بفضلها انتشرت كل وسائل العلم والتقدم وعاش الجميع تحت ظلها بأمن وأمان، اسعدت الإنسانية جميعا، لقد اغترف الجميع من ذلك المعين الحضاري الإسلامي، وأن عالم اليوم يبني كل تقدمه وحضارته الجيدة من ذلك المصدر والمعين. لقد طبق صحابة هذا النبي العدل في المجتمع , وقد ذكر لنا التاريخ عدالة هؤلاء الصحابة والذين جاءوا من بعدهم والذين ارتوا من معين تلك التعاليم الحضارية السماوية , فهذا الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب الذي اقام الحد والعقوبة بكل شده وقسوة على ابنه لشربه الخمر بيده خوفا من ان يقصر غيره في اقامة الحد عليه , وهذا الخليفة الرابع على ابن ابي طالب يقف امام احد قضاته ليحكم بينه وبين يهودي سرق درعه فيحكم القاضي لليهودي لإن علي لم تكن عنده البينة على ان الدرع يعود له , وقد اعترف اليهودي بعد خروجه من المحكمة ان الدرع لعلي , وأنه فعل ذلك لاختبار عدالة القضاء الاسلامي , وليعتنق هذا الدين العادل , وهذا احد الخلفاء يهدم مسجدا لآنه اقيم على ارض رجل غير مسلم رفض ان يبيع ارضه لإقامة المسجد عليها, وهناك القصص الكثيرة الموثوقة في تاريخ المسلمين على عدالة ذلك المجتمع, وأن العدالة للجميع مع الجميع.

نحن نذكر هذه القصص من تاريخ العدل الاسلامي، لكي لا يقول احد اننا ننطلق من فراغ عندما نتكلم عن الظلم والجور الذي تعيشه الإنسانية في وقتنا الحاضر , او قد يظن احد ان هذه هي سنة الحياة وليس هناك شيء اسمه العدل للجميع لأنه لم يعايشه او يسمع به من قبل , وذلك لأننا نعيش في زمن ازدواجيه النظر الى الحق , حيث الحق والحقوق تختلف في عصرنا حسب موقع الداعي والمدعى عليه.

فعالم اليوم هو عالم القوه وان الحق دائما مع القوي ولا حق للضعيف، وهكذا كانت الحالة في كل الأزمان التي يختفي فيها العدل الرباني , لقد جاءت كل الرسالات السماوية تدعوا الى العدل بين بني البشر ومحاربة الظلم والظالمين , وتدعوا الى البعد عن الكبر والتكبر والاستعلاء على الاخرين , لان الكبرياء لله جميعا , له لوحده لا لاحد غيره فيه نصيب , يقول رسول الله" لا يدخل جنة من كان في قلبه ذرة من كبر" .

فأفة الكبر والاستكبار العالمي الذي نعيشه الان , هو من هوس الشيطان ونفحه في جوف ابن ادم ليجعله يتكبر على اخيه الانسان , فعالم يوم مقسم بين اهل الشمال الذي ينظر الى اهل الجنوب بكل استكبار واستعلاء , وبين الدول الغنية والدول الفقيرة , ودول متقدمة ودول العالم الثالث , وهكذا من تلك المسميات التي تقسم العالم الى طبقيه ينظر فيها عالم الغني المتقدم من دول الشمال الى عالم الفقر من دول الجنوب بنظرة تكبر واستعلاء , تجعله يعتقد ان اهل دول الجنوب ليسوا بشر مثله , وليس لهم نفس الشعور والاحساس ,فتراه يتأثر لجوع او سوء معاملة الكلاب والقطط وبقية الحيوانات اكثر من تأثره على الانسان الذي يعيش في دول العالم الثالث, فهو لا يتألم لجوعهم ولا يهتم بمصائبهم وسلب حقوقهم , كما يهتم ويتأثر وينفعل اذا اصاب اذا او مكروه لاحد من ابناء الشمال ,لإنه قد تربى على ذلك ولا يرى عيب او ضيم في هذا شعوره , لقد نشئ على هذا منذ نعومة اضافره , من قصص وافلام واساطير في كتب للصغار والكبار, فكل ما يبث في التلفاز والمسارح واللعاب الفيديو ,يدعوهم الى هذه العقيدة , فتزرع فيهم فكرة انهم هم افضل من غيرهم من الاقوام. فكل ما نراه في عصرنا هذا يدل على ما ذكرنا , رغم الادعاءات الكاذبة التي يطلقها عالم الغرب من انه عالم متحضر وانساني ويعمل على العدالة وحماية حقوق الانسان في كل بقاع الارض , إلا ان هذه الدعوة يبطلها الواقع والوقائع, وأكبر دليل على مل نقول هو ما حاصل الان, هناك دولتان محتلة أراضيهم تقاتلان المحتل وهما فسطين و أوكرانيا ضد كل من اليهود الصهاينة التي تحتل كل فلسطين, وضد الروس الذين يحتلون جزء من أوكرانيا غير أننا نجد أن دول الغرب مجتمعتا وامريكا تساعد وتدعم اوكرانيا بالمال والسلاح وحتى الرجال لمساندة أوكرانيا ضد الروسي المحتل , ولكنهم يقفون مع المحتل اليهودي الصهيوني المغتصب لأرض فلسطين كلها ضد أبناء الأرض الفلسطينيين الذين يناضلون بما لديهم من سلاح بسيط ضد المحتل الصهيوني, ولكن دول عالم الغرب وامريكا المتحضرين والذين يدعون الدفاع عن حقوق الإنسان أينما كان نراهم يقفوا مع المحتل الغازي ويمدونه بكل الأسلحة الفتاك القتلة المبيدة للبشر والحجر ويقتلون بها النساء والأطفال والشيوخ ويهدموا المستشفيات وكل مقومات الحياة ويمنعون عنهم الماء والاكل والدواء, ويريدون لمن تبقى منهم ان يخرجوا من ديارهم الى الشتات والضياع ليعيشوا في الخيم والعراء . فأي عدالة هذه وأي ميزان يزينون به، والفلسطينيين لم يؤذونهم بشيء.

إن هذه السياسة البشعة والكراهية للغير والاعتداء عليه وسلب ماله وخيراته من موارد طبيعية والعمل على ان تستأثر بها بكل الطرق المشروعة والغير مشروعه , وتعتبرها ملك طبيعي لها , حتى وإن لم تكن وجدت في ارضها , وذلك للعقيدة التي تربوا عليها, وهي ان كل الخير والرفاهية هي ملك طبيعي لهم , وليس من حق العالم الثالث الجائع شيء إلا الجوع, فهذا هو نصيبهم في هذه الحياة, الجوع والحرمان , وان الرفاهية وسعت العيش هي للرجل الابيض ذو الدم الازرق ابن الشمال ¸حتى ان احدهم ضجر من ربه وعاتبه قائلا "لما يا رب وضعت ثروتنا النفطية في رمال العرب" إن من قال هذا ليس من جهال القوم بل هو من مثقفيهم ومفكريهم وكتابهم الكبار . فمن هذا المنطلق وذلك المعتقد والتفكير، أصبح دم شعوب العالم الثالث رخيص وليس له ثمن. ثم بعد هذا يتبجح علينا الغرب بأنه يمتلك حضارة عظيمه ويجب علينا اللحاق به وتتبع وتقفي اثار حضارته التي تزكم عفونتها الانوف. فهذه هي حقيقة صراع الحضارات في يومنا هذا، انه صراع المصالح وصراع لطمس الحق بالباطل والزيف لسلب حقوق الاخرين.

**أسس ومقومات الحضارة الإسلام: -**

إن الإسلام يمتلك حضارة وتعاليم مرسومة له لا خيار له غير اتباعها والسير عليها وإلا فهو غير مسلم حقيقي، بل يكون مدعي كاذب. إن خطوط وملامح هذه الحضارة تبينها سورة الانعام في قوله تعالى:

**"**

**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون**

**(151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152**

**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (238).**

فتلك دعوة الاسلام وتلك مبادئه ومادته الحضارية المستقات من تعاليم رب السماء والأرض.

فلنعلم أن الحضارات في معناها الحقيقي لن تتصارع، بل تتجاذب وتتكامل ويشد بعضها بعض، لتلتقي وتنتج أفضل القيم الحضارية، كما بينها الله في كتابه العزيز، حين قال "لتعارفوا \* اي ليتعرف بعضكم على بعض وليأخذ بعضكم من بعض ما يفيد الإنسانية جمعيا، وأن افضلكم من كان يمتلك حس وشعور انساني نقي غير ملوث بالأنانية والحقد والجشع. فهذه هي حقيقة التقاء الحضارات، فالحضارات والثقافات تتلاقى عند محبي الخير والسلام والعدل، أي الذين يمتلكون إنسانية حقيقية غير ملوثه او مطموسة بالطمع والجشع، لتلاقى مشاربهم واهوائهم وارواحهم في حب الخير للإنسانية جمعاء.

وكذلك لنعلم حقيقة أخرى وهي أن هذا الصراع سيبقى بين الحق والباطل الى ان تقوم الساعة , لان فيه التمحيص من الخالق لعباده ليميز به الخبيث من الطيب , وقد بين الله هذا لرسوله , بأن هذا الصراع والاختلاف باقي ولن يتوقف فقال جل وعلا (وإن كان كبر عليك اعراضهم فأن استطعت أن تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بأية\* ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) فالله يبين لرسوله أنك لن تستطيع أن تهدي الناس الى الخير جميعا حتى ولو صعدت الى أعالي السماء او نزلت الى أعماق الأرض فلن تستطيع أن تهدي الناس الجميع , لإن هذا الصراع هو سنة هذه الحياة, ومشيئة الله في الامتحان.

وقد اكد لنا العلي القدير ان نهاية هذا صراع بين الحق والباطل تكون الغلبة فيه للحق ولأهله، فالباطل يزهق لإنه سراب ليس فيه حقيقه , فهو زهوق , أي ليس فيه روح او جذور , بل هو زيغ وهوى وهوس من الشيطان , فهو كالسراب والسحر يزيغ العيون بهجة ورهبه , وما هو إلا دخان وطيف كاذب زائل, وقد بين الله جلا وعلا في كتابه الكريم هذا بقوله ( فأما الزبد فيذهب جفاءاً , وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض , كذلك يضرب الله الحق والباطل)(239). فالحق له جذور في النفس والخلق والارض، فهو حق من حقيقة، تعيش فيه وتنتعش به الانفس وتنمو وتعلو وتثمر، كالأرض تختزن الماء الصافي النقي وتترك الاوساخ طافيه على ظهرها لتتطاير بها الرياح.

إن مشيئة الله أرادة ان يمتحن ويمحص اهل الحق بزيغ أهل الباطل، ليحيا من حيا عن بينه وليهلك من هلك عن بينه. حتى لا يكون الحق رسم زائف عند الناس تتمظهر به، وتخدع الناس، وتخدع نفسها به، يقول تعالى (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (240). ويقول تعالى (أم حسبتم أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (241). فسنة الله في الارض هي التمحيص والابتلاء بالخير والشر.

ونحن نؤمن أن هذه الارض مسرح و قاعة امتحان وتمحيص، ولذا سيبقى هذا الصراع الى ان تشرق الارض بنور ربها ويجيئ بالكتاب والنبيين ويقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون، ولقد أخبرنا تاريخ عن احتدام هذا الصراع وتقلبه، فإذا ساد النور هرب الظلام واهله في جحور ضيقه كخفافيش الليل تبحث عن ظلمة الليل لتختبئ في جحور ظلامته . وهكذا يبقى النور مشعا إلا ان تغشي الظلمة قلوب الناس ويبتعد نور الحق عنها ثانية فتظلم بعضها بعض , فعندها يجد الباطل طريق بين الناس من جديد. ثم يعلو ويعلو شأن أهله , فيخرج الظالمون والمفسدون من جحورهم ومخابئهم ليسودوا ويصبحوا من اعالي القوم , فيعلوا الظلم بعلو شئنهم , ويسود الظلم بين الناس ,ويصبح دعاة الحق واهله أغراب ضعفاء مظلومين من اهل السطوة الظالمة , ويبقى ذلك الحال إلا ان تستوحش الضمائر والانفس وتختنق الفطرة من الغربة التي تعيشها وتكاد ان يقتلها العطش الى غذاء النور, الذي لا يمكن ان تعيش من غيره, عندها تتفجر الانفس بحثا عن انسانيتها فتبحث عن الحق واهله , وهنا يظهر دور الرسالة الخاتمة التي تبقى مصدرا مشعا تستسقي منه الروح العطشى لنور ربها وان هذه الرسالة ستبقى المصدر الذي لا ينضب ولا يتغير فكلما ضاقت الانفس من ظلم نفسها وظلم الناس وأرادت الخلاص وجدت النور والهداية في معين الرسالة الخالدة لتستضيء بها وتغترف من معينها الذي لا يشيبه اي ظلام او ضلال, حتى وإن ضل كثير من المسلمون في ذلك الزمان , لإنه محفوظ من رب العالمين ليضيء الطريق للباحثين عن الحق والحقيقة, وهكذا يدور الحكم والأحكام في تلك الدائرة بين الناس ويتغير بتغير الانفس يقوله جل وعلا ( لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم )(242) .

فإذا ما قام ونادى اهل الحق، اهل النور، اهل الضمائر الحيه، فسوف يجدوا اصحاب القلوب الحيه صاغيه لأقوالهم، فتفتح تلك القلوب ابوابها للنور، فيعلو الحق من جديد ويعلو شأن اهل الحق، ليجتمع الناس حولهم , ويهرب الباطل بأهله في جحور الظلمة من جديد, وهكذا تبقى هذه الدورة بين الظلمات والنور ما دار الليل والنهار وما دامت هناك حياة على هذه الارض, ارض التمحيص والتزود لليوم الاخر .

ونحن بهذا لا ندعي اننا الوحيدين الداعين الى الإصلاح في هذه الحياة، ولكن كل من في قلبه إنسانية حقيقة لم يشبها ويعكر صفوها الطمع والجشع فهو يشاركنا في هذه الدعوة.

فنحن كمسلمين نعمل للخير والصلاح ولإصلاح مع الجميع وللجميع نبتغي فيه خير الدنيا والاخرى، لإننا نؤمن انا كل ما نفعله مسجل لا يغيب عن الخالق، وأننا سوف نرى ونلمس ونقرأ ذلك السجل، ويقال لنا اقرئ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يرى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يرى. في ذلك اليوم تظهر فيه عدالة الله وعظمته وقدرته وحكمته وعلمه ورحمته، حيث توزن الاعمال الصالحة فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضيه ومن خفت موازينه من الخير والعمل الصالح فهو في عذاب مقيم.

إننا نجد عظمة الله وحكمته في موازين يوم الحساب، حيث ان الوزن يكون للأعمال الصالحة فإذا ثقلت ادخله الله جنات النعيم، وليس للأعمال السيئة، لإن من حكمته وبديع صنعه أنه يعلم ان الانسان يخطئ كثيرا ويقع في المعاصي. وأن الله يغفر الذنوب جميعا، وان الحسنات تمحوا السيئات، وأن الله يبدل السيئات بالحسنات للتائبين، وان الحسنة بعشر امثالها وان السيئة لا تجزى إلا بمثلها، وأن الله يمحوا السيئات للمؤمنين التائبين الأوابين بمصائب يصاب بها الانسان في الحياة الدنيا ليعتبر بها ويتعظ ولتتزكى بها نفسه عن المعاصي، يقول القرطبي رحمه الله في تفسير سورة الزلزلة (فمن يعمل مثقال ذرة خير يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (243). أن " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، وكان ابن عباس يقول: من يعمل من الكفار مثقال ذرة خيرا يره في الدنيا، ولا يثاب عليه في الآخرة، ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الآخرة، مع عقاب الشرك، ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا، ولا يعاقب عليه في الآخرة إذا مات، ويتجاوز عنه، وإن عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه، ويضاعف له في الآخرة."

فلا تجد اية في كتاب الله تقول ان الله يوزن سيأتينا، ولكن كل الآيات تتكلم عن وزن الحسنات، لإن الحسنات يذهبن السيئات، يقول تعالى فمن ثقلت موازينه من الخير فهو في عيشة راضيه ومن خفة موازينه من عمل الخير فأمه هاويه اي النار مأواه، فلا ذكر لوزن الشر والمعاصي، وهذا يعني ان الله يريد منا ان نعمل الخير ولا نجزع او نتثاقل او يصيبنا الاحباط إذا وقعنا في السيئة. فالله يحث الإنسان على العمل المتواصل الدؤوب في فعل الخير وألا توقفه الزلات والعثرات. فكل أبناء ادم خطاؤون وأن خير الخطائين التوابون، فالإنسان عليه العمل والسعي في الخير لإعمار الأرض، فالله يذهب السيئات بالحسنات، وكأنها لم تكن شيئا مذكورا، يقول تعالى “إن الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين".

فحياة الانسان على الارض هي حياة عمل وجهد، ومجاهدة الباطل، من النفس الأمارة بالسوء، ومن محاربة الباطل واهل الباطل، فلم يخلق الله الإنسان على هذه الارض عبثا. وأن سبيل وطريق العيش فيها، هو في المجاهدة في عمل الخير والسير فيه للوصول الى الحياة السعيدة الأبدية السرمدية في اليوم الاخر.

**وأن فطرة الانسان هي تلك البذرة الحضارية النقية، فإذا ارد الانسان ان ينميها ويسقيها من فعل الخير ويمنع عنها فعل الشر نمت وأينعت واعطت اجمل واطيب الثمار،وحسن منظرها وزهت , وأما اذا تركت تلك البذرة ولم يسقها ولم يحميها ويمنع عنها ما يفسدها, فسدة ولم تنبت إلا نكده وعشبا ضارا لا نفع فيه .**

وخلاصة القول: -

فحن نعتقد ان صلاح الانسان يكون من خلال الاديان السماوية السليمة التي لم يشوبها التغيير والتحريف , فهي الحل الامثل والاصلح للحياة على هذه الارض بسلام وامان ومحبه , وقد قال اهل العلم ان شرط التعرف على الحق هو **"من ناتج العقل الصريح مع النقل الصحيح "** ,فأن العقل العاقل الصريح اذا عرضت عليه معلومة خاطئة محرفه فأن تلك المعلومة سوف تضله لأنه اعتمد على معلومة ضاله , وكذلك اذا كان العقل غير صريح وسليم فأن المعلومة الصحيحة المنقولة اليه لا تستطيع ان ترشده فلا يعقل منها شيء , لان في عقله عله وتشوش في الإدراك لا يفرق بين الصحيح من القبيح , وهذا هو سبب ظلال علماء وفلاسفة الغرب وتشتت افكارهم وأراءهم , في فهم حقيقة هذه الحياة ومبتغاها , وذلك لانهم لم يتلقى عندهم العقل الصريح المتفتح ,مع النقل الصحيح للمعلومة من المصدر العلمي الصحيح , فالظلام لا يأتي بالنور ولكن النور هو الذي يهزم الظلام . فاذا توافق النقل الصحيح مع العقل الصريح الحر فسوف تلتقي الامم على نوافذ العلم والمعرفة وتتعرف على الحق من الباطل وتصبح امم تحيا على نور من ربها. ولهذا وصف الله الامم التي تتلقى النقل الصحيح من رب السماوات والارض بأنها أمة واحده لأن طريق التلقي ومصدر التلقي واحد، مما يجعل إدراكها منفتح على طريق من النور الرباني، فتصبح المفاهيم واحده، لتلتقي على منهج واحد. يقول تعالى (إن هذه امتكم امة واحده وانا ربكم فعبدون) اي ان امم الارض اذا تنقت فطرتها من شوائب وهوى النفس والشيطان وتنقى عقلها من وساوس وهلوسة الهوى وأتبعت الحق، تكون امة واحده لان المنهج واحد. فتكون نظرتهم للأشياء تنطلق من منظار واحد، وتفهمهم وادراكهم واحد. فهم أمة واحده، حتى وان كانوا من خلفيات مختلفة واقوام مختلفة ألا ان نظرتهم وتعاملاتهم مع الاشياء واحده، وقاعدتهم المعرفية واحده. فهذه الامم هي التي تتلاق حضارتها، لتكون أمه واحده، بمنهاج واحد.

**ما هي معايير قياس الصحيح من الخطأ، والحسن من السيئ، والجميل من القبيح؟**

ان الذوق والتذوق والتحسس والاحساس هو من نتاج الثقافة المكتسبة من تفاعل الانسان بمحيطه، ولذا فهي تختلف من قوم الى اخر باختلاف المحيط، فليس هناك ميزان متفق عليه يستطيع العالم ان يحكم على الاشياء من خلاله، لان موازين الناس في هذا المجال تختلف باختلاف مشاربهم الثقافية، فما تستسيغه ثقافة ما قد لا تستسيغه ثقافة اخرى، فقد يكون ما هو قبيح عندك , هو جميل عن قوم اخرين ,لان المقياس هو ما اعتاد عليه الناس وما تشربت به مفاهيمهم من خلال المجتمع الذي يعيشون فيه .

وبما أن الحس الفطري والذوق الانساني هو واحد عند كل البشر وأن التعريفات الذوقية والخلقية عنده واحده، من قبل ان يعكر صفوها المحيط. فالتذوق الانساني واحد كحب الزهور والعطور والحسن من الاشياء، ولكن المذاق يختلف، مثلا في لون الزهور او اي من العطور اطيب، أو أي من الطعام ألذ وأي الملابس اذوق. فكلنا يعلم ان الطيب من الشيء تألفه النفس وتستسيغه. غير أننا نجد الآن اللغط والخبط والتخبط في تحديد ماهية الطيب من الخبيث، والصح من الغلط، والقبيح من الجميل، وذلك لاختلاف مشارب الثقافة المحيطة بالإنسان. فما يكون لديك جميل، يكون لغريك قبيح، وما هو حق عندك، عند غيرك ليس كذلك. فاختلاف المحيط يعطي اذواق ونظرات مختلفة على الاشياء. فنرى اختلاف الاذواق في الملبس والمأكل والمشرب، وكذلك في الافعال والتصرفات، فقد يكون فعل ما جميل ومحبب عند قوم، يكون عند الاخرين غير ذلك وهكذا ...... , وقد يكون السلب والنهب والاعتداء على حقوق واموال الاخرين مقبول او حتى مدعاة للفخر والتفاخر , فإنه لا يكون كذلك عند الاخرين , بل يكون مدعاة ودلاله على الخسة والنذالة. أو قد يكون سبيل التجمل عند اقوام هو التعري وإظهار البدن والمفاتن، وأن كلما زاد التعري دل على الرقي والحضارة، بينما يعتقد اخرين أن الحشمة في الملبس وتغطية الجسم والعورات، هو دلالة الرقي والحضارة الفكرية، لأنها تظن أن الملبس يفرقها عن الحيوانات التي لا تستطيع التجمل وتغطية عورتها بالملبس. وهناك من يرى ان المرأة المتحررة والمثقفة هي التي تستطيع اظهار مفاتنها من غير خجل او حياء في الاسواق والمحلات العامة , وان التي تحجب جمالها ومفاتنها عن العامة هي متخلفة وجاهله ومعقده ولا تعرف معنى الحرية ومضطهدة فكريا , بينما يرى الاخرون عكس ذلك , وقد نجد اناس تعتقد ان الانفلات او انفصال الابناء عن العائلة في سن البلوغ والقدرة على العمل هو من دلالات الحرية الشخصية التي يجب ان يمتلكها الانسان ويسعى لها لنشأة المجتمع الحر المعتمد على نفسه من دون التقيد ولارتباط بالأخرين والاعتماد عليهم , واخرون يرون لزوم بقاء افراد العائلة مجتمعة في بيت واحد امر ضروري لتكاتف وتكافل العائلة, وأن هذا التكافل هو اللبنة وصمام الامان لبناء مجتمع مترابط متماسك, و و و هكذا.

فهذه الاختلافات في مقاييس القيم تؤدي الى التباعد والتنافر، لأنها تقطع روابط التآلف والمألوف بين الناس، وتربك موازين القيم الإنسانية واعرافه، مما يؤدي الى التباعد والصراع القيمي الحضاري بين تلك الامم، وذلك نتيجة لتنافر الاذواق، مما يؤدي الى التباغض والازدراء لما يحمله الاخرين من عادات واعراف لا يستسيغونها.

أما أذا كان هناك وحدة قياس واحدة، وميزان للتعريف الخلقي بين الجميل والقبيح، والطيب والفاسد، والحق من الباطل واحد، فعندها لن تختلف الناس وترتبك في التعريفات الأخلاقية والذوقية والآداب العامة. فتتألف الاذواق ويزال الاختلاف والتنافر والتباعد الفكري والعقائد في التعريف السلوكي الحضاري من الافعال والاقوال والثقافات. **فوحدة المفاهيم والاذواق والقواعد الأخلاقية هي من أهم عوامل التقارب والتلاقي الحضاري**.

ومرد كل ذلك هو أن هذه الثقافات المختلفة والمكتسبة من المحيط والناشئة من الظروف المحيطة، لو أنها دخلت في غربال الذوق الإنساني السليم من قبل أن تعميه فتنة المحيط (فتنة الحياة الدنيا) لخلصت تلك المكتسبات من الشوائب الشاذة، ولتنقه من الخبيث الذي فيها، وتقاربت اذواق الناس ومشاربهم. ولو حصل ذلك لما تباعدت وتفارقت وتنافرت الاذواق والموازين الخلقية.

ولذا نرى أن علاج ذلك هو ان يسترجع الانسان انسانيته برجوعه الى تعاليم ربه وخالقه، وأول ذلك هو الايمان بوجود الله الواحد الخالق القهار، فإذا أمن بذلك يستطيع قلبه أن يناجي الله من غير تشويش ووساوس المحيط، فعندها سوف يجد في قلبه نورا يهديه وينير له الحق ليميزه عن الباطل.

وهذا ليس رأينا ونظرنتا في الحل فقط، ولكن وجدنا من فلاسفة الغرب من توصل الى نفس الحل لإنقاذ العالم من الهلاك. فنجد أن العالم والفيلسوف البريطاني برتال راسل يرى ان الحل في ذلك المعضل والارتباك في تحديد معاير وثوابت الأخلاقيات والذوق السليم والسلوك القيم ¸ هو الإسلام وتعاليمه , فقد توصل في كتابه وبحثه **"هل للإنسان مستقبل**" الى نتيجة هي أن ( ان البشرية ستضطر الى اختيار نظام او مبدئ او عقيده ما تكون جامعه لبني البشر , وقد حدد سماتها كالضرورة وحاجه وليس كأيدلوجيا , وحدد سمات هذه العقيدة , فقال يجب ان تكون تنبذ الحرب والعنف , وتعترف بالأخر , ويتعايش فيها الناس اخوه , وتصون كواكب الارض , وعندها نوع من الايثار في مسألة الغذاء وقال " ان الإنسانية سوف تلجئ الى ابتكار نظام عالمي ليس بالمفهوم السياسي بل هو بالمفهوم الاجتماعي . وهذا النظام العالمي الذي يحمل سمات حددها هو، ستلجئ اليها البشرية مضطرة لتستمر، وقال ان ليس امامها سوى الشيوعية والاسلام. اما الشيوعية فقد أسقطها لأنها تصادر مساحة من الحرية عند الفرد، ولأسباب اخرى. وقال بقي الاسلام، **وقال إذا اخذنا مبادئ الاسلام او معانيها. وهذا ما قال: "فأنها تحمل نفس الشروط المطلوبة، ولكن ربما تلجئ البشرية الى اسلام مستعار. او تحت نظام يشبه الاسلام ".**) (244) .

أما الفيلسوف والشاعر والاديب الكبير الألماني يوهان غوته (1848- 1932) والذي كان ملهم باللغة والادب العربي وقرء الكثير عن الاسلام يلخص فكره عن الاسلام بمقولته (“**إذا كان هذا هو الإسلام، أفلا نكون جميعا مسلمين ؟").(**245) .

إن فلاسفة ومفكري الغرب يرون هذه المعضلة الأخلاقية، ويعتقدون ان لا سبيل لحلها إلا في اتحاد الرؤى والمعارف والمصادر المعرفية لتتوحد الاذواق وينظر الجميع بمنظار واحد حتى نستطيع ان نسمي الاشياء باسم واحد متفق عليه.

فنحن كمسلمين نعلم ان خير مصدر ومورد للمعارف والقيم هو المصدر المسائي من خالق الاكوان رب العلمين الذي خلق فقدر، لقد حار مفكري الغرب في البحث عن الحلول والنظريات للتخلص من الازمات الإنسانية والمعضلات الأخلاقية والنفسية والاجتماعية والسياسية والفكرية التي يعيشونها ,لقد جربوا الكثير من الحلول والنظريات , وكلها فشلة, وتاهوا في بحر من الظلمات والتخبطات التي زادة الطين بلى كما يقولون .

فلو تتبعنا بعض المفكرين في القرن العشرين , الذين يعتقدون أنهم قد وصلوا بفكرهم الى ذروة الحداثة والرقي والفكر الحر, في مجال حرية وحقوق الإنسان والديمقراطية والمساوات وحكم القانون , إلا أن تلك التطبيقات الفلسفية لم تمنع وقوع الحربين العالميتين والتي راح ضحيتها الملايين من البشر , والتي قسمت العالم الى احرار وعبيد , القوي هو الحر الذي عليه ان يحكم الضعيف والمقهور , وهو الذي يفرض الاحكام والقوانين والتعريفات الأخلاقية والمنهجية , وما على الاخرين إلى السمع والطاعة , وإلا فهم إرهابيون يرهبون العالم المتحضر . فنجد تعريفاتهم وفلسفاتهم تنطلق من منظور ضيق يحدده المحيط الذي يعيشه ذلك المفكر فمثلا نجد الفيلسوف **وليم جايمس** الذي عاش في القرن التاسع عشر وتوفي في القرن العشرين. والذي يعتبر الأب الروحي للفلسفة البراغماتية , يحدد مفهومه البراغماتية (فلسفة الذرائع أو العَمَلانِيَّه ) بأنها تتجه نحو العمل والأداء والممارسة , فهو يرى أن الحقيقة هي جوهر البراغماتية ,فيعرفها بقوله " ، «فالحقيقة صفة أو خاصية لبعض أفكارنا، فهي تعني اتفاقها مع الواقع تماماً مثلما يعني الباطل اختلافها معه "(246) . , فهو يعتقد ان البراغماتية هي وحدها التي تحدد طبيعة وحقيقة الاشياء , وأن البراغماتية ما هي إلا " «مجرد طريقة فحسب، مجرد منهاج فقط... إن الطريقة البراغماتية في محاولة لتفسير كل فكرة بتتبع واقتفاء أثر نتائجها العملية كل على حدة». إن هذا التوقيع والإسقاط المجحف للحقيقة بالاعتماد على تجاربهم وافكارهم التي تتبع اهوائهم وما يشتهون فقط من غير مرجعيه اختلاقيه سماوية ساميه ترشد وتدلل البشرية على الخيرية للجميع والعدالة الاجتماعية. إن هذا الفكر المنقطع الجذور هو الذي دفعهم الى قبول الفكر الاستعماري الاستعبادية للأمم الفقيرة والضعيفة وأعطى لهم الحق في التصرف في مصائرهم وخيراتهم، والذي جعلهم يعتقدون أن هذه هي طبيعة الحياة والبشرية وقوانينها، وأن هذه هي الحقيقة والحق المبين وما خالفه فهو الباطل وعمل الشيطان الرجيم، لقد وجدوا من براغما نيتهم "فلسفة الذرائع " ذريعة للاستحواذ على حقوق وممتلكات الاخرين بحجة انهم يحسنون التصرف بها خير من غيرهم , فستحوقها لأنفسهم .

فمن هذه النظرة المادية المنقطعة عن جذور الحقائق والمعارف يفسر البراغماتي نظريته في الاخلاق والدين على انهما **تجربه شخصيه فرديه** وأن جوهرها العاطفة الدينية لا الطقوس ,فيقول في نظريته في الأخلاق والدين، (اعتبر الدين تجربة فردية، وجوهرها العاطفة الدينية لا الطقوس، وأن الشعور الديني شعور باطني بالمشاركة في موجود أعظم، وهو شعور بالانسجام والسلام، وأن التجربة الدينية أكثر واقعية من التجربة العلمية لأنها تبدأ بالمجسم أي العاطفة والإحساس والفكر، والتجربة العلمية تبدأ بالمجرد، والعلم تجربة ولكن الدين واقعة حياة نعيشها، والله موجود لأن فرض وجوده نافع، والله في التجربة الدينية هو أنت، فهو منتهاه ولا يحيط بكل شيء، والله هو باطن الأشياء، فهو المثال، وهو ليس مسؤولاً عن الشر، بل على العكس هو شريكنا الأعظم في محاربة الشر، ولذلك يتدخل الله لتغيير مجرى الأحداث، فتحدث المعجزات في العالم ) .

إن هذا التفكير البراغماتي المنقطع عن الجذور يجعل لكل شخص دين خاص به يقتنيه ويتفنن في إخراجه من تجاربه الخاصة ومن أهواءه ونزواته الشخصية، وله استنتاجاته الخاصة، فلا قواعد ولا اسس ولا حدود تحد ذلك التفكير وتؤطره بقواعد وسنن سماوية وثوابت دينيه ايمانيه. إن هذا التفكير نعتبره شطحا وقدحا في المعايير الإنسانية السامية الفطرية والمقننة بقواعد سماوية. (247).

والشاهد على هذا الفكر المنحرف ما قاله الفيلسوف والمفكر الفرنسي " أن استعمار فرنسا لأفريقيا هو الحق والعدل الذي يجب ان يكون “. إن هذا النقص في التفكير المنهجي يعود لعدم فهم الطبيعة البشرية على حقيقتها، لإن ادراكهم ومفهومهم للطبيعة البشرية محصور ومنقوص لأنه مقطوع الجذور وناتج فقط عن تجاربهم الخاصة البراغماتية المحاطة بأجواء وعوامل تفسد نتائج تلك التجارب.

وكذلك نجد من هذه التجارب المنقوصة ما وصل اليه **المفكر إرنست رينان** 1823-1892) والذي ينطلق من تجربته الشخصية المنقطعة عن جذور التاريخ والحقيقة والتي رأى فيها تصاعد التوسع الأوربي في العالم في زمانه ليخلص لنا بنظريته التي تعتقد أن العرق الهندو أوربي هو حامل العقل ووريث الكونية التي صاغها الساميون (يقصد اليهود بالتحديد). وقد قاده هذا الاعتقاد سنة1848بوجوب زوال الاعراق الاخرى والتي يعتبرها الاعراق الدنيا، حيث كتب يقول “بما أن العرق الآري والعرق السّامي منذوران لغزو العالم وقيادة الجنس البشري إلى الوحدة، فإن البقيّة لا يمكن أن ينظر إليها العرقان إلا بوصفها عقبة أو مُلحَقة أو محل تجريب “. هذا هو ناتج الفكر المتعالي الناشئ من تفكير منقطع تدفع به الأهواء حيث تشاء. ثم تمخض فكره لاستعلائي ليقول "لقد بيّنت الفيلولوجيا (فقه اللغة) المقارنة بيقين كبير وحدة العرق الهندو أوروبي، بيد أن هذا العرق مدعوّ بطبيعة الحال إلى هضم بقية الأعراق الأخرى، فتوحيدها سيكون في عيون المستقبل توحيدًا للجنس البشري “فهو يصبوا الى اباده أثنيه للأعراق الاخرى كما فعل الاوربيين حين غزوا أمريكا. وبين هذا التطرف المزرى المريض في رسالته سنة 1870 التي بعث بها الى المؤرخ الألماني والمتخصص في علم اللاهوت د**يفد فريدريخ ستراوس** (1808-1874) كتب له يقول " نرفض المساواة بين الأفراد والمساواة بين الأعراق ونعتبرها خطأ جوهريّا " وكتب في مقدمة كتابه "حوارات وشذرات فلسفيه " عام1878 يقول " البشر ليسوا متساوين، والاعراق ليست متساوية “.

إن الفكر الغربي الذي يستلهم افكاره من وقائع تقع حوله في زمانه فيستقطعها من واقع الحياة والتاريخ بمقص الاهواء والشهوات والاماني الناشئة من التكبر والاستعلاء، فيصيغ منها نظريات ومقولات وافكار بعيدة كل البعد عن الاحساس الإنساني السليم الذي فطره الله عليه وهو حب الخير للجميع وكره الظلم والظلمات.

ثم نجد الفيلسوف والمفكر **ارنست كاسيرر**, والمعروف بفيلسوف "الأشكال الرمزية " , عندما يسأل "ما الانسان" ؟ فيجيب بجواب يدلل على أن الانسان ما هو إلا وعاء فارغ من محتواه البشري وجهاز مستقبل لما يتلقاه من محيطه الخارجي والبيئة التي يعيش فيها، يقول " «ما دام الإنسان قد خرج من العالم المادي، فإنه يعيش في عالم رمزي، وما اللغة والأسطورة والفن والدين إلا جزء من هذا العالم. فهذه هي الخيوط المتنوعة التي تحاك منها الشبكة الرمزية أعني النسيج المعقد للتجارب الإنسانية، وكل التقدم الإنساني في الفكر والتجربة يرهف من هذه الشبكة ويقويها» (248).، فهو يعتبر أن الاحاسيس والمشاعر الإنسانية ما هي إلا مكتسبات من عالم رمزي لا حقيقه له ولا مرتكز يوجهه، إلا تجارب الشخصية المكتسبة من ذلك العالم الرمزي، الذي تحكمه وتحيك نسيجه التجارب الشخصية من تلك الشبكة الرمزية من غير خطوط وماده بشريه تشكل ذلك النسيج وتحكم توجهه . **وذلك لإن ظنه المادي قد خرج من فكر مادي لا يعترف بروح او قلب او اتصال بخالق لذلك المخلوق**.

وهو نفس الاعتقاد الذي قال به **جان بول سارتر** حين قال (أن "**الإنسان غير قابل للتعريف**" ، وهي عبارة تعبر عن تصوره لماهية الإنسان ولحريته.

فالمبدأ العام الذي انطلق منه سارتر هو القول بأن الوجود سابق على الماهية، ومعنى هذا المبدأ أنه لا يمكن الحديث عن تعريف معين للإنسان قبل وجوده؛ فهو يوجد أولا ثم يحدد نفسه بنفسه فيما بعد، وأثناء وجوده الإنساني وليس قبل ذلك). (249) . وهذا الاعتقاد بأن الانسان منقطع الماضي قبل وجوده اي أنه قبل وجوده لا وجود لأي متعلق به اي وكأنه اوجد نفسه بنفسه ولذا هو الذي يحدد ذاته ونفسه، ولا يحكمه اي جود غير وجوده، ولا قانون إلا فكره وتفكره فيما حوله ومن تجاربه الخاصة به، من غير اي متعلق ايماني بغيبيات او اعتقادات غيبية او ايحائيات سماوية، حتى وإن تقبها العقل واستأنست بها النفس واستكانت لها الروح وطمئنت بها. لإن المبدأ الاول عندهم هو أن الانسان مخلوق مادي، فلا يؤمن إلا بالمادة وحدها.

أما نحن كمسلمين نؤمن ان الانسان "كالجسد" ما هو ألا وعاء يحوي انسانية الانسان المتجذرة بالمعرفة من خالقها حين نفخ فيها من روحه , وأن اصل الإنسان هو روحه ونفسه ,**فأصل الانسان لا يموت بموت الجسد او فنائه ,** بل أن نفسه وروحه تخرج من ذلك الجسد الميت المتعفن ,الى عالم اخر غير عالم هذا الجسد المادي , وأن في خروجه من مادية الارض الى عالم اعلى منه وأرقى في الوجود والحقيقة , لحياة ابديه لا يتعفن او يبلى فيها الجسد , ولا يتغير فيها طعم او لون ولا تفسد فيها المادة ولا تبلا . يقول تعالى وصفا تلك الحياة الأخرة (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وأنهار من لبن لم يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ) . (249).

**محاربة الاديان: -**

إن من أعظم المخاطر التي تعيشها الإنسانية الان هو الفكر السائد والحرب الشعواء التي لا هوادة فيها لمحاربة الاديان. لقد أنشأه مؤسسات وهيئات ومفكرين تدعمهم دول كبرى، هدفهم محاربة الاديان جميعها، والدعوى الى ألا دين وإنكار الإله، والتهرب من فكرة ان هناك رب يدير هذا العالم والكون، والدعوة الى الانفلات ولتفكيكية وعدم الارتباط بقواعد ثابته اصطلح عليها العقل وواقفة الدين ورضي بها الإنسان وارتاحت نفس الإنسان وقلبه لها.

إن السبب الاساسي لانتشار فكرة التهرب من الاديان ومحاربتها، هو الادعاء الباطل والاعتقاد الخاطئ والسائد بأن الدين قد فشل في التجاوب مع مستلزمات ومستجدات الحياة اليومية. وأنه قد فشل في الإجابة عن الكثير من المعضلات وأنه عاجز عن حل مشاكل الناس والمجتمع، وانه لم يعد يستطع ان يواكب أو يواجه المعضلات المستحدثة، وما يجد من مشاكل جديده كل يوم. لم يجدوا لها حل في معتقدهم الديني، فيزدادوا حيرة وبعدا عن الدين ويقل الايمان به. وهذا هو الذي شكل الصراع الفكري والعقيدي لكل من هو بعيد عن الدين الصحيح الذي لم تلوثه أفكار الناس وأهوائهم., فيجعلهم يهربون من الدين والبحث خارج ساحاته عمن يجيبهم عن تساؤلاتهم ويحل لهم معضلاتهم ويجيب حيرتهم التي ارهقت أنفسهم.

إن هذا المعضل سببه أمران أساسيان أولهما أن كثير من الأديان قد غيرتها وحرفتها أهواء ونزوات الإنسان، والسبب الثاني هو ابتعاد الإنسان عن الدين وتخاذ هواه إلهة ولاندفاعة وراء شهواته. إن الله أنزل الأديان لتواكب أفهام العقول لكي يتفهمها الإنسان وتستسيغها وتأنس اليها ضمائره وتتلقفها فطرته، وتدار به حياته وينظم به توجهه وهدفه في الحياة. غير أن كثير من الأديان اصبحت فارغه أو فرغت من محتواها الحقيقي الجوهري ولم يبق فيها إلا القشور والمسميات الفارغة، مما طرئ عليها من تغير وتحريف بدافع الاهواء، والشهوة، والمنافع الشخصية، والسياسية.

إن هذا النفور الكبير من الدين الذي يشهده الغرب وكثير من ابناء الشرق للفراغ الذي تركه الدين المحرف والمفرغ من حقيقته، فهجروا الدين وزهدوا عنه , وباعوه بثمن بخس , فتطايروا شرقا وغربا ليبحثوا عن ضالتهم , فمنهم من هداه الله الى دين الحق, ومنهم من استكان وعجز ورضي بواقعه المزرى ورضي بدين لا يؤمن به , واستسلموا الى ما وجدوا عليه ابائهم من غير اقتناع تصارعهم الأفكار وتقلقهم الحيرة والخوف من كل شيء . ومنهم من ثار على الاديان وغضب منها وترك الدين بالكلية الى ألا دين ولا معتقد، اعتقادا منه انه قد تحرر من قيود الدين الى ساحة الفضاء الواسع للإفلات الاديني. وبهذا أعتقد أنه حل مشكلته مع الدين وأزاح عن ظهره اثقال العجز الديني، الذي أصبح كاهل ثقيل على عاتق فكره فأراد التخلص منه.

غير أن حقيقة هذه الدعوى هو محاولة نزع إنسانية الإنسان، وجعله أله تساق وتعمل في ساقية العمل والإنتاج لتكديس الثروة في ايدي هؤلاء الجشعين من غير التفات وتوقف او تعثر ينتج من الالتزام الديني او الإحساس الإنساني. فهم يريدونهم الة تعمل من غير تفكر او تدبر إلا فيما ستأكل أو تتمتع به من حاصل عملهم.

وهذه هي حقيقة الحرب الدائرة بين من عرفوا الدين الحقيقي للإنسان من باحثين اجتماعيين وعلماء في مجالات شتى في علوم الحياة ممن عرفوا حقيقة الحياة الدنيا, والذين ايقنوا أن هذا العالم والكون العظيم لا بد أن يكون له رب ومدبر أعظم منه, بعد ما رأوا وبدى لهم من العلم الذي في ايديهم حقيقة عالمهم الذي يعيشون فيه , وعلموا أنه لابد ان يكون لهذا العالم العظيم خالق عظيم خلق كل شيء وهو اعلم به وبإدارته وتدبير امره , وكان لهؤلاء العلماء العارفين من الشرق ومن الغرب دور كبير في محاربه الدعوى الادينية , ومحاولة تنبيه قومهم من ما يحاك بهم , لإخراج قومهم من ظلمات التخلف والتخبط , والرجوع للتنور ولاستضاءة من نور الدين والسير على هديه. وبين من يريدوا أن يفرغوا الإنسان من أي معتقد يدرك به إنسانيته ليجعلوه أله وماكنه انتاج تعمل لهم.

فهذه هي حقيقة الحرب الدائرة الان بين من يريد ان يحبس الناس في ظلمات المتع الانيه الوقتيه المنقطعة والتي لا تروي إنسانية الانسان من ماء فطرته التي فطره الله عليها ولا تجلب له السعادة الحقيقية، بل تريد أن تفرغه من اي جوهر انساني يحترم انسانية الانسان ويقدرها أو يسعى الى تحررها وسعادتها.

لقد سعى هؤلاء المضلين الضالين في إطفاء نور البصير في وقلوب وعقول الناس لكي يسهل سوقهم وتسويقهم لمصالحهم الذاتية الضيقة واستعبادهم (ودين الله الاسلام جاء لإخراج الناس من عبادة الناس الى عبادة رب الناس). إن هؤلاء القوم يريدون ان يسخروا كل طاقات البشرية وجهدها لمصالحهم الضيقة والأنانية الفردية، فأشعلوا الحروب , ويضيقوا على الناس منافذ السعادة والحرية , ليبوا اسرى بين أيديهم , وتمنع عنهم حرية الفكر والتفكر الصحيح وتحبسهم في ثقافه وفكر يختزل طموحهم ويقيد تقدمهم وندافعهم, فيجعلهم اسرى للمتعة الوقتيه الانيه المخدرة , التي تجمد فكر الانسان , فلا يفكر ابعد من ما بين يديه, او كما وصفهم الله في كتابه حتى "اذا اخرج يديه لم يكد يرها" من الظلمة التي يعيشونها.

إن هذا الدفع لجعل المجتمعات تظل وتتيه في بحر الشهوات الانيه المؤقتة وتجعل منهم أله تتحرك حسب توجيهاتهم وأهوائهم من غير تفكر او تدبر. إنها سياسة القطيع التي تقسم الناس الى قطعان يبحث كلٌ عن لمقت العيش لا غير سواها، لإنه قد ضٌيق عليه في خضيرة الفكر والتفكر لا يستطيع ان يخرج منها، فيستسلم ويروض لكي يقتنع ويرضى ويستمتع بما حوله وبما متوفر له. فلا يدع له فرصه للتخلص من هذه القيود او كسرها.

لقد وجد هؤلاء الضالين المظلين في الاسلام العدو اللدود لهم لأنه يريد ان يخرج قطعانهم من حضيرة الفكر الضيق، ومن الاستعباد والظلمة الى نور الفكر والتفكر والتدبر بايات الله لفهم حقيقة هذه الحياة والمغزى والمراد منهم كبشر على هذه الارض.

إن هذه الدعوى اخافة هؤلاء المستعبدين، فعملوا بكل جد وجهد على ان يمنعوا وصول هذا الفكر الى عقول من استعبدوهم بالشهوة فسعوا جاهدين لتشويه صورة هذه الدعوى في مجتمعاتهم وتخويفهم منها، فدّعوا على هذا الفكر والدين ما ادّعوا من ضلالات وافتراءات. ثم خرجوا ينذروا قومهم من الإنصات لهذه الدعوى التحررية وكأنهم ينذرونهم من وحش كاسر مرعب مخيف، يجب تجنبه، فأشاعوا فكر "الإسلام فوبيا" اي الخوف من الاسلام في مجتمعاتهم.

غير أننا وجدنا رغم بشاعة هذه الحرب إلا أنها لم تستطيع أن تقف في وجه هذا الفكر الذي انتشر في مجتمعاتهم رغم هذه الهجمة الشرسة. وذلك لإن الفكر الإسلامي دعوة حق تستأنس بها النفس البشرية وتستكين وتسلم لها. لقد اعتنق واستكان وأسلم لهذا الدين الكثير من ابنائهم وبناتهم واعتنقوه. ولم يستطيع أن يوقف هذا المد النوراني كل محاولاتهم وألاتهم الحربية البشعة، لإن هذا النور كما نعتقد هو من امر الله لا بد أن تستنشق منه البشرية وأن يصل ليها بكل مكان وزمان ليكون حجة على العالمين يوم الدين.

لقد استخدم اعداء الحرية والتحرر هذه الفرية (الإسلام فوبيا) في حربهم على الاسلام للسيطرة على العالم اقتصاديا وفكريا، ولكي يجعلوا العالم كله يعمل ويدور حسب مصالحها الاقتصادية والسياسية. وقد ظنوا انهم قد نجحوا في حربهم هذه بعد ان اسقطوا الدولة العثمانية اخر معاقل العالم الاسلامي، وذهبوا بعدها الى تقاسم ممتلكات تلك الإمبراطورية الإسلامية بينهم، وحكموها وحاولوا نشر فكرهم الرأسمالي والشيوعي، فكانت شيوعيتهم تدعوا الى نبذ الدين بالمرة والتخلي عنه، وتنصرت لقيصر على الكنسية , ودعي أن الدين هو افيون الشعوب , أما الرأسمالية فقد اتخذت الدين والكنيسة مطية لها للسيطرة على العالم فكريا واقتصاديا وسخرته لمصالحها الذاتية .

ومع الانتعاش الاقتصادي في العالم الغربي ظهرت مشاكل اجتماعيه شتى في مجتمعاتهم, فتباعد الفارق الطبقي بين الناس بشكل غير عادل ومجحف وكبير مما أدى الى التفسخ في النسيج الاجتماعي وعم الانسجام, واختلت موازين العلاقات الاجتماعية والمفاهيم الفكرية والثقافية والاعراف الاجتماعية , فختله وأختلف موازين وأسس البناء الاجتماعي والأسري وتفككت العائلة, وتشوهت العلاقات الإنسانية ,لعجز تلك المجتمعات ماديا ومعنويا من بناء الاسرى, والذي يتطلب بنائها استقرار مادي وفكري ومنهجي, فتسارع انهيار بناء الأسر في تلك المجتمعات , واختلفت أسس العلاقة بين الذكر والانثى واختلفت موازينها ومواثيقها , وانعدمت صورتها وطبيعتها , فنشأة العلاقات الغريبة والشاذة بين الرجل والمرأة, لإطفاء نار الشهوة الجنسية عند الذكر والأنثى خارج حدود بناء العائلة والأسرى هروبا من المشاكل الاقتصادية والمسؤوليات والمتعلقات العائلية الأسرية, وللحصول على المتعة المندفعة من الشهوات الغريزية والتي اندفعت من شهوات منفلته من اي قيود انسانيه او أعراف وقيم متعارف عليها , لقد نشأ ذلك كله من الوضع المادي والفكري الذي اصاب تلك المجتمعات .

لقد ادى هذا الفكر وهذا الواقع في جعل الناس يختلف عندها ميزان الحكم على الاشياء، لتشوه البصيرة، مما ادى الى ظهور مشاكل كثيره في المجتمع والأعراف الاجتماعية.

وارتبك الناس في هذا العالم الجديد في تعريف الصح من الخطأ والعيب من ألا عيب والحق من الباطل، وأصبح الشاذ في عالم الامس، مألوف ومقبول في عالم اليوم، والمستقبح في عالم الامس مستحسن في عالم اليوم. فأنشأوا اعراف توافق اهوائهم وما وصلوا اليه من انحطاط خلقي. ومما زاد في الطين بله، أنهم استطاعوا أن ينشروا فكرهم ومشواذهم الى عوالم ومجتمعات اخرى في هذا العالم كانت في تعافي من هذا المرض، وذلك عن طريق التقدم في مجال التواصل الاجتماعي التي جعلت العالم كالبيت الواحد، يرى ويسمع بعضه بعضا. ففي هذا العالم تستطيع ان تسمع انيين الجائع وشكوى المظلوم وفسق الفاسق وظلم الظالم وتكبر المتجبر، وترى العالم بخيره وشره وانت في غرفت نومك.

وبذلك استطاع العالم مشاهدة سلبيات ذلك الفكر الشاذ من خلال تلك التقنية، فشاهدة أثارها السلبية على تلك المجتمعات التي تعيش ظلمات وعواقب ذلك الفكر من فضاعت وظلم في الفارق الطبقي الذي انعدمت فيه العدالة الاجتماعية والتي ادت الى التفتت الاخلاقي، واصبحت المادة والمنافع الشخصية والآنية والأنانية هي التي تحكم تلك المجتمعات، وانعدم فيها التعايش والتضامن الأسري، فأصبح الطمع والجشع من يحكم فيها، وانعدم ميزان الحق فيها.

لقد اقلقت هذه الصورة المظلمة النفوس الحرة السوية التي تأبى الظلم وتشمئز منه، فالأنسان السوي تشمئز فطرته ويضيق صدره عندما يرى أو يسمع عن هذا الظلم والإجحاف بحق الناس الفقيرة والمستضعفة. مما جعل الكثير منهم يبحث **عن** الحلول والوسائل للخروج من تلك الفوضى ألا أخلاقية التي يعيشها العالم. وكان خير دليل على ذلك تلك المظاهرات والاحتجاجات التي قامت في العالم كله غربه وشرقه جزعا مما رأوا من ظلم مجحف واستعلاء واستكبار وقتل وتشريد وتجويع لشعب استضعف واحتلت ارضه ويقتل شعبه لإخراجه منها ظلما وعدوانا، لقد انتفضت شعوب العالم جميعا لنصرة شعب فلسطين المظلوم. إن النفس البشرية تأبه الظلم وتكره الظالمين، ولهذا ثار الناس الذين لازالت قلوبهم وعقولهم لم يطفئ نورها.

لقد رست سفينة كثير من هؤلاء الباحثين عن الحق والعدالة الاجتماعية بعد ان ابحرت سفن بحثهم يمينا وشمالا وشرقا وغربا في كل الفلسفات والمعتقدات والاديان لتحط على ساحل دين الفطرة الاسلام، بعد أن أطمئنت له نفوسهم وأمنت به، لقد وجد الكثير من هؤلاء ضالتهم في هذا الفكر الذي وجدوا فيه الدواء لأمرض مجتمعاتهم، والحلول لمشاكلهم العقائدية والفكرية فأمنوا به واعتنقوه، ثم أصبحوا دعاة له.

لقد أصبح الدين الاسلامي أكثر الاديان والمعتقدات انتشارا في العالم، مما أغاض وأخاف قادة عالم السياسة والسلطة في العالم الغربي من هذا الانتشار الفكري، والتحول والاعتناق الكبير والسريع لشريحه كبيره من الباحثين والمفكرين، ومن كثير من عامة الناس الذين وجدوا فيه الراحة النفسية والاطمئنان والسكينة.

لقد انتشر هذا الدين بين شعوب العالم، لما فيه من وضوح وشفافية تلامس القلوب وتنسجم مع الفطرة، لقد انتشر أمره بين الناس. ولن تستطيع قوة العالم أن تقف بوجه ذلك النور الساطع الذي أنار ظلمات العالم وأنار ظلمات النفوس الحائرة، واسترشد به الباحثون عن الحقيقة، حقيقة هذا الدين وأمنوا به.

**أسلوب الخديعة والمكر في مواجهة الدين والفكر الإسلامي:-**

لقد أختار اعداء هذا الفكر سياسة عدم المواجه المباشر في محاربة هذا الدين لإدراكهم عظمته وتفوقه عليهم إذا ما واجهوه وجه لوجه , فاختاروا وخططوا لمحاربته من وراء جدار, وبما يسمى "محاربة الاديان" كلها على انها فارغه , وأنها لا تعطي حلولا لمشاكل العصر , وادعوا ان الاديان كلها خرافه وهلوسه تختبئ ورائها الانفس الضعيفة وان الاديان افيون الشعوب الفقيرة, لقد استخدموا هذه الحيلة الشيطانية لمحاربة الدين الاسلامي وذلك بصبغ الاسلام بخرافات ومتاهات الاديان الاخرى وبعملية خلط الاوراق , وخلط الحق بالباطل, ليضيع الحق ويموت في زحمة الضلالات التي وقعت فيها الاديان الاخرى. فصاروا يدنونه بجرم غيره من الاديان التي ظلت وأظلت.

فنشأة الدعوة الى "ألا دين"، وهدم فكرة الاله التي يقوم عليها الدين، ليطفؤوا نور الحق بأفواههم وادعاءاتهم الباطلة، ولكي يظللوا الناس عن طريق الحق، في غياب نور الحق، وفي ظلمة الباطل الذي ينشرونه بين الناس. لقد ارادوا ان يقتلوا الإسلام في ظلمة ضلالات الأديان الاخرى. لأنهم لن يستطيعوا أن يواجهوا حقيقة النور الساطع منه والذي يستطيع وحده أن يطفئ ظلم ضلالاتهم.

وذلك لإن هذا الدين الوحيد الذي لم يتغير ولم يتبدل، ولقد أيقنوا أن هذا الدين لو أنتشر بين الناس لفقدوا وخسروا مصالحهم الاقتصادية الجشعة الظالمة التي تستغل الناس وتستعبدهم. فأشعلوا حربا شعواء بلا هوادة عليه، فاتهموه بالتخلف والرجعية وهضم حقوق المرأة، واتهموه بالإرهاب والهمجية والقتل ليخيفوا الناس منه، ويصدوهم عن الاستماع لهذا الصوت النقي الدافئ الذي يحاكي القلوب وتستأنس به العقول لواقعتيه ومنطقه , فهو يخاطب الضمائر العطشة الى الحق والحقيقة , ويحاكي النفوس المكلومة والمجروحة ويداوي جروحها وينير ظلمات خوفها.

لقد أرعبوا الناس من هذا النور الساطع، وادعوا انه نارا محرقه قاتله تقتل من يقترب منها، فانشروا دعوة الخوف من الاسلام "الاسلامافوبيا " إلا أنه في حقيقة الآمر ما هي إلا خوفهم من عدالة الاسلام وما به من نور يضيء ظلمات الناس التي اوقعوهم فيها، وليس الخوف من الاسلام على ارواح الناس وممتلكاتهم. فالعقيدة لإسلاميه ما جاءت إلا لتحفظ للناس حقوقهم وتقيم الحق والعدالة الاجتماعية بينهم، وإعطاء كل ذي حق حقه، والى المساوات بين الابيض والاسود والاحمر والاصفر وبين الناس جميعا، وهي التي تدعوا الى ألآمن والأمان بين الناس، والتي تدعوا الإنسان الى "أن يحب لأخيه الإنسان ما يحب لنفسه"، "وأن من لا يؤمن جاره بوائقه فليس بمسلم"، وأن أقرب الناس الى رضى الله ومحبته هم الاكثر اصلاح في الارض، والاكثر امر بالمعروف ونهي عن المنكر. فهذا الدين هو دين اصلاح ومحبه ودين يدعوا الى التسامح والتصالح والعفو والتعاون على الخير، والسعي لخير البشرية جمعاء، ولإعمار الارض وإصلاحها، وحفظ حقوق الناس، والى العطف والرئفة بالصغير والضعيف والمسكين، والرحمة بالكبير، فهذا الدين يؤمن ان الناس هم خلق الله وعبيده وأنهم متساوون عند الله في الحقوق والواجبات وأن الله لا يظلم الناس شيئا، ولكن الناس انفسهم يظلمون، وأن الله حرم على نفسه الظلم وحرمه بين عباده وخلقه، وأن احسن الناس منزلة عند الله هم احسنهم للناس منفعتا وإصلاحا، وأحسنهم اخلاقا.

هذا هو الدين الحقيقي الذي جاء به خاتم رسول الله، فهو نور يشع في القلب ليهدي الله به الانسان الى خير نفسه وخير البشرية ولإعمار الارض بالأمن والامان. فليس في الاسلام ما يدعوا الى العنف والقتل والظلم، وليس فيه اجبار وأكراه الناس على تغير فكرهم ومعتقدهم. لآن أساس معتقد هذا الدين هو أن الله اعطى الإنسان الحرية الكاملة في اختيار ما يشاء، فليس من حق أحد ان يغتصب ذلك الاختيار الذي منحه الله اياه ليفعل ما يشاء ويختار على هذه الارض، من غير اجبار او قهر. فالمسلم يؤمن بما جاء في كتاب الله الذي قال فيه " ولو شاء الله لهدى الناس جميعا" (249). فنخن لا نسعى لتغير دين او معتقد الناس، ولكن ندعو الى العدالة الاجتماعية والصلاح والإصلاح، وندعو الى عبادة الله الواحد الاحد رب السماوات والارض من غير اجبار ولا إكراه، ولكن بالحسنة والموعظة. فالكل حر فيما يعتقد ويحب ان يتبع. لقد خلق الله الانسان وأحسن خلقه وميزه عن باقي مخلوقاته بهذه الحرية الفكرية فليس لاحد حق أن يسلبها. لقد خلق وسوى الله البارئ الخالق المصور هذه النفس البشرية وألهمها فجورها وتقواها، أي علمها ووضع فيها القابلية والإمكانية من نفسها ومما سخره لها مما حولها في ان تعمل ما تشاء من خير ما شاءت ومن شر. لقد بين الله لنا الحكمة في هذا التسخير والحرية في الاختيار في قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلكم امة واحد، ولكن ليبلوكم فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا) (250). اي ان من سنة الله في خلقه ان يكونوا مختلفين في التفكير والمعتقد، وأنهم أحرار فيما يفعلوا وما يشاؤون، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، في الدنيا والاخرى، وان لا اكراه في الدين، ومن لم يؤمن بهذه المبادئ فهو ليس من المسلمين ولو ادعى ذلك، فالإسلام مبدئ وعقيده تنظيميه تدير شؤن الحياة جميعا وتنظم العلاقات بين الناس جميعا وتدعوا الى العدالة الاجتماعية، والحرية الشخصية، والحرية في الاعتقاد والفكر.

إلا أن اعداء هذه الدعوة السمحاء، استخدموا ممن هم جهلاء في هذا الدين وينتمون اليه اسما وليس عقيدة، لتشويه صورة هذا الدين. ففي كل الامم والديانات والمعتقدات هناك اناس لم يفهموا معتقدهم وشطوا عنه، وأدخلوا فيه ما ليس فيه، فالعالم الاسلامي اليوم فيه كثير من هؤلاء الشاطين عن منهج الإسلام الحقيقي، والذين يدعون انهم على حق وأن غيرهم على باطل وهم يريدون أن يفسدوا فيه، وذلك نتيجة للضلالات التي نشرها اعداء الدين واستخدموهم لنشرها, فهؤلاء الجهلاء او العملاء اين ما كانوا لم يتشربوا من نور العقيدة الصحيحة لهذا الدين ,ولكنهم تلقوا الدين في ظلمة المتاهات التي نشرها اعداء الدين , من صراعات وترهات دينيه , فتلقفوا الدين عن طريق العاطفة ولم يفهموا حقيقته.

**حياة ومنهجية عمل المسلم :** ان الإنسان المسلم خلقه الله وانزله على هذه الارض ليعمل، وقال له اعمل فسوف يرى الله عملك والمؤمنون، وأنزله عليها ليعمرها بفعل الخير ودفع المنكر ومحاربة اهله، وأنه ملزم للدفاع عن الحق باليد والقول والفكر، وان لا يحق له أن يكون خاملا خائف مستضعفا وجلا من اي شيء إلا خالقه، وأنه لا يخلد الى الأرض طمعا في متاعها ويلتهي به عن الهدف الاساسي الذي خلقه الله من اجله، وأنه لا يحق له الاستسلام للباطل الذي احاط به ومنعه او حبسه عن اقامت ما امره الله به. فالمستسلمين للباطل والناكسين عن الدفاع عن الحق ليس لهم عذر عند خالقهم، فلا يحق للمسلم أن يستسلم إلا لله الذي خلقه يقول تعالى "( يا عبادي إن ارضي واسعة فأييا فعبدون )(251) , فلا يحق لمسلم أن يقيم في باطل او على باطل حتى وإن ضاقة به الحيل والسبل , فعليه أن يهجر الباطل وأهله إن لم يستطع الإصلاح فيه , يحكي لنا تعالى في كتابه مأل الذين رضوا واستكانوا وسلموا واستسلموا للباطل كيف حالهم, يقول تعالى عنهم ,"( إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض , قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا )(253) , . إن سبب خلق الإنس والجن بينه تعالى في قوله (وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ما ريد منهم من رزق وما اريد ان يطعموا) (61) فالعبادة هي ما بيناه من قبل فيما يحق للمسلم أن يعمل وفيما لا يحق له أن يفعله. فعبادة الله هي في تزكية النفس من اهوائها ليكون عملها كله خالص لله، وأن عليه محاربة اهواء ونزوات النفس وشياطين الانس والجن، وأن في عمله هذا قد يخطئ او يزل فعليه أن يرجع ويتوب ويرجع الى الحق والصواب ما دام حي ويعيش على هذه الأرض. وان الله يحب التوابين والاوابين اليه، ويكره المعاندين والمتكبرين والمصرين على العصيان والذين يجعلون إلههم هواهم.

فمن ما تقدم يتبين لنا ان الله خلق هذه الحياة الدنيا دار عمل وان الاعمال فيها يحب ان تتوجه الى الخير والاصلاح والإعمار الارض بالأمن والأمان , وان الإنسان يجب أن يكون في استقامة دائمه, وأنه اذا ما اخطئ في توجيه بوصلة عمله, وجاء بالسيئ من العمل , فما عليه إلا ان يعدل بوصلته ويصحح ما اقترف من خطئ او زلل , وان السيئات والزلات لا يمكن ان توقف الإنسان او تقتل طموحه في العمل على اصلاح الارض والسير في ما امر الله به , لإن الإنسان في فسحة من امره على هذه الارض يفعل ما يشاء ويختار وان خاتمة امره وفعله وتوجهاته هي التي تحكم مصيره في يوم حسابه , فهو في فسحة من امره الى ان تخرج روحه من جسده لتلاقي ربها .

**حال الاسلام ومسلمين في عصرنا الحاضر: -**

لقد ابتعد كثير من مسلمي عصرنا عن تعاليم الدين الاسلامي الحنيف وقد اصاب كثير منهم ما اصاب الامم الأخرة من امراض هذا العصر وقد انتشرت امراض الفوضة الدينية من جرثومة الظلال التي نشرها اعداء الدين , فأصيب بعض المسلمين بهذه الامراض التي نخرت في عقولهم الخاوية من التعاليم الحقيقية للدين الاسلامي الحنيف , فساحوا وسبحوا في الدين على اهوائهم فتحزبوا فيه وتشيعوا لما يحلوا لأهوائهم من غير انضباط ديني يقنن تحزباتهم أو تحركاتهم وتوجهاتهم في العمل. , وأتبعوا اهوائهم وارادوا أن يصيغوا الدين كما تشتهيه انفسهم , لقد سقط عندهم المفهوم العقيدي لجوهر الدين في الاخلاص لله في القول والعمل , فأي عمل او اعتقاد جعل لحزبا او تجمعا او شيعتا او لهدف سياسا فيه مخالفه لشرع الله فقد نقض حبل القبول عند الله , وانقطع ذلك الحبل ولم يصل من ذلك العمل شيء الى الله . وقد نبهنا رسوله الله صلى الله عليه وسلم، من مغبة ذلك العمل، في الحديث المروي عنه , في امر أولئك الثلاثة ( المجاهد والمنفق والعالم ) الذين أشركوا في عملهم غير وجه الله فلم يتقبل منها شيئا, لأنها كانت رياءً بين الناس وليس خالصة لوجه. **فالمسلم لا بد ان يفهم دينه لكيلا يقع في الهلاك.**

إن الفهم والتعلم والعلم في الإسلام مقدم على كل شيء، وأن الجاهل لا يصل الى نور الله بجهله، بل قد يقوده الشيطان الى الظلال. فعن أبو هريره وأبي ذر رضي الله عنهما أنهما قالا:

 : **((باب من العلم يتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوع، وباب من العلم يعلمه ـ عمل به أو لم يعمل به ـ أحب إلينا من مائة ركعة تطوع**). (253)

إن البعد عن روح الاسلام هو ناتج عن عدم اخذ الاسلام من مصادره النقية وعلماءه التقيه. لقد عكروا مشاربه الصافية بضلالات اعدائه، فهذا الدين له منابع يأخذ منها ومجاري صافيه متسلسله ومتصل علومها وعلمائها الى النبع الصافي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهي سلسلة من المعارف المتصلة والموصلة الى الرسول المرسل من رب العالمين. فلا يمكن ان نأخذ هذا الدين وهذا العلم من المتفلسفة الذين علمهم من هواهم، فالعلم الذي ليس فيه توثيق او سند، لا يؤخذ منه في دين الله. إن كل النظريات والفرضيات والتأويلات تصيب وتخطأ. ولذلك نجد الشطحات والنطحات من بعض مدعي العلم في هذا الدين، مما نتج عنه التفرق والتشيع الذي يكفر بعضه بعضا.

إن خلاصة هذا الدين أنه بعث لتخليص النفس من شوائب النفس الأمارة بالسوء وتنقيتها واخراج الخبث منها، قال رسول الله "انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق" , فكل العبادات في هذا الدين تعمل على تزكية النفس وتنقية الروح ليكون اتصالها مع خالقها في صفاء وتسليم لا تشوبه شائبه, فالنفس الزكية عندما تقرأ كتاب الله , تنار بأبياته واحكامه صومعة القلب ,فيمتلئ العقل بنور القلب , ليجعل افعال واقوال ذلك الإنسان تسير على نهج وتعاليم خالقها في الصلاح والاصلاح بين الناس . إن نور تعاليم هذا الدين تجعل من الانسان نورا يمشي على الارض لينير للأخرين دروبهم.

اما من يبتعد عن تعاليم هذا الدين ويتبع هواه، عندها يكون إلهه هواه، فيزيغ عن الحق ويتخبط في ظلمات أهواء النفس.

**فإذا كان المصدر الاشعاعي والفكري والمرشدي هو القلب النير، والمتلقي النور من خالقه، صار ذلك الانسان يعبد ربه ويسجد له في صومعة القلب التي أنشئها الله فيه، والتي أودع سره وعهده فيها، فالقلب هو المتلقي من لدن عزيز حكيم، ليكون ذلك التلقي صافيا نقيا لا تشوبه شائبه، ويكون هذا المتلقي هو اللبنة الحقيقية الصالحة في بناء المجتمع الانساني الحضاري وفي اعمار الارض.**

اما إذا كان عقل الإنسان منقطع عنه نور القلب، عندها يكون تلقيه من المحيط المظلم المشبع بهوى الأنفس الضالة، ويكون العقل هو السيد، ويصبح القلب مختطفا واسيرا عند اهواء النفس وشطحات العقل، فيٌستعمر القلب بهوى النفس، وتسوده وتحكمه أهواء وافكار العقل المتزمت المعجب بحاله. والمنتفخ بالأهواء.

فالمؤمن الممتلئ قلبه بنور الله تراه يمشي على حذر وخوف، ويسترجع ويستفتي قلبه بكل ما شَكٌل عليه. وعندها يكون العقل منفتحا على القلب النير، ليستنير بنوره، ويأخذ مشورته منه، فلا شطحات ولا نزاعات واهواء، فهو حذر خائف من ان يقع في الخطأ، لإنه يعلم ان الله يراقبه. وهؤلاء هم من اهتموا بتزكية النفس ومعالجة امراضها، والعمل على تطويعها وكسر شهوتها ومنع انجرافها في تيار الهوى وغواية الشيطان. ويبين الله الفرق بين هؤلاء وهؤلاء بقول تعالى (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على سراط مستقيم). فشتان بين هذا وذاك فالذي يمشي مكبا على هواه وشهواته تكثر عثراته وتتخبط خطاه ولا يأتي بخير. ام من يمشي على هدى وتوجيه من عالم الغيب والشهادة، فهو على نور من ربه يمشي على صراط مستقيم يقوده هذا المسير الى خير نفسه وخير البشرية جمعاء، فهذا النير القلب اين ما ذهب وحط يأتي بخير.

وفي امة الإسلام لايزال الكثيرون يتبعون ذلك النبع الصافي في حياتهم اليومية وفي معاملاتهم، ويسعون لتشريب هذا النبع الصافي لإنبائهم ومريديهم، ويحذرون القوم من الوقوع في الشطحات التي لا ترضي ربهم. فهؤلاء القوم في عباداتهم وتصرفاتهم وجميع اخلاقهم معتدلين غير مندفعين انيسين مؤنسين يأنس بهم من حولهم إلا شياطين الانس والجن الذين ينفرون منهم، لأنهم يخالفون أهوائهم.

وأما مسلمي العقل الذين انقطعت عنهم قناة النور الربانية، ترى فيهم التسرع والتعجل في العمل وفي اصدار الاحكام على الأخرين من غير تدبر ولا تفكر، ولا رجوع الى الشرع والحكمة، فيٌكفروا ويٌنفروا كل من خالف هواهم او معتقدهم حتى ولو رأوا فيه الحق. لآن الهوى عندهم قد عطل ميزان الحق فمال بهم الهوى كيفها شاء وأنى شاء. ونجد من هؤلاء كثيرون في أيامنا هذه تحت تسمياتهم ومسمياتهم كثيرة، فهم ليس على قلب رجل واحد، ولكنهم متفرقين كثيرا لكثرة اهوائهم ورغباتهم وميولهم، فكل يدعي له عنوانا واسما وحزبا، فتراهم يضلون ويُضلون، ويختلفون في صراعهم مع بعضهم البعض، وأما في صراعهم مع عدوهم وعدوا معتقدهم، فلهم شطحاتهم وتشريعاتهم واهوائهم التي يختلفون فيها فيما بينهم ويخالفون فيها شرع دينهم الذي يدعون انهم يدينون به. فهؤلاء هم من يستغلهم أعداء والإسلام ويستغل أهواءهم لتشويه الإسلام ولبث ما يشاؤون من فتن ووساوس وشبهات للطعن في دين الإسلام. وهؤلاء موجودون على طوال التاريخ لإنهم نواتج الجهل والهوى وعمل شياطين الانس والجن. ولكنهم دائما يفضحون وينكشفون ويختفون، يقول الله فيهم، (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) (254).

وأقرب مثال على ذلك تلك الجماعات التي شطحت في تطبيق شرع الله، وادعت انها تجاهد لبناء دولة الاسلام وتقيم شرع الله فيه، إلا انها سقطت في أهوائها وابتعدت عن امر ربها، فلم تقم دوله الاسلام، ولكن شوهة صورة الاسلام وأظهرته بالصور التي تنفر منها النفوس السليمة.

إن هذا التمثيل القبيح لشريعة الله السمحاء من قبل هؤلاء الجهلاء والمندسين، استغله اعداء الدين لضرب الاسلام، وتشويه صورته حتى تبعد وتخيف الناس منه.

لقد خالفت تلك الدولة المدعاة "بدولة الإسلام في العراق والشام "، شرع الله عندما هدمت الصوامع والبيع والمساجد التي يذكر فيها اسم الله، وأتهموا اهلها بالكفر والبعد عن شرع الله، وهم الذين أمروا كمسلمين أن يحافظوا على بيوت عبادة الناس حتى وإن خالفوهم في المعتقد. فلو كان هؤلاء يسعون للإصلاح وتطبيق ما امر الله به لنصرهم الله، على عدوهم الذي أخرجهم من ديارهم. فحاشى لله أن يخلف وعده , حيث قال تعالى (أٌذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا , وأن الله على نصرهم لقدير \* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله , ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا , ولينصرنا الله من ينصره , إن الله لقوي عزيز \* الذين إن مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر , ولله عاقبة الامور ) (255) فهذه الآيات تبين من الذين وعد الله بنصرهم وتمكينهم في الارض, وهم الذين يقومون بدفع الشر عن الناس جميعا , ويقاتلون الباغين والمعتدين, الذين يعتدون على حريات الناس واموالهم وأرضهم وأعراضهم , الذين يهدمون دور العبادة من صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا . فهذا هو الجهاد الذي امر الله به، فليس في الجهاد هدم لدور عبادة الناس، بل للحفاظ عليها من اعتداء الاخرين، لقد خالفوا شرع الله ومقصودة في الجهاد، والله لا ينصر من لا ينصر دينه وشرعه، ولكن وعد الله بالنصر للذين إن مكنهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وأمر بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولو أنهم اقاموا ما شرع الله به، لأكلوا الطيبات من فوقهم ومن تحتهم ولمنع الله عدوهم من ان ينالهم بسوء. إلا أن هؤلاء قاموا بنشر الرعب والخوف في قلوب المسلمين، وشوهوا صورة شرع الله وتعالميه بين الناس، فهؤلاء لم ينصروا شرع الله، فلم ينصرهم الله.

لقد اعتقد هؤلاء انهم يستطيعوا ان يبنوا دولة دينهم من مرتكز اهوائهم. فكفّروا من خالف أهوائهم، وشقوا وحدة المسلمين، فأرادوا ان يبنوا للدين دولة في محيطهم ومحيط اهوائهم قبل ان يبنوها في نفوسهم، فنشؤا دولة عنوانها الاسلام وحقيقتها دولة اهواء وتحدي وانتقام، فهوت تلك الدولة لآن كان عمادها الهوى. فهؤلاء هم من يستغلهم أعداء الإسلام في الطعن في الإسلام.

فلنعلم نحن قبل أن يعلم العالم من حولنا أننا كمسلمين على هذه الأرض كلفنا بمهمة عظيمه في هذه الحياة، ألا وهي تعريف الناس برب الناس ورب السموات والأرض وإصلاح الرض وإعمارها، وقد كان ذلك فعل أصحاب الرسول الخاتم لرسل الله، فكان كل فعلهم وعملهم وقولهم يصب في الإصلاح والاعمار، وكان دأبهم وهمهم تعريف الناس برب الناس والأمر بالمعرف بين الناس والنهي عن المنكر . وبهذا اعطاهم الله الخيرية على كل الأمم التي سبقتهم ووصفهم بقوله" وكنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتأمنون بالله" وقد اخذ المسلمون الأوائل بيد البشرية الى الخير في كل مجالات الحياة الإيمانية والثقافية والحضارية والعلمية, وأخذت منهم كل أمم الأرض تلك العلوم, وبرزة حضارة الإنسان وعلومه وتطلعاته, فأمم اخذت منهم كل شيء واسلموا لله كما اسلم المسلمين له مثل أندونيسية وماليزيا ومعظم دول شرق اسيا , وكما اسلم واقتدى بهم حتى ملك بريطانيا الأول الملك أوفا ريكس ملك مرسيا الذي حكم ممالك انكلترا السبع هي: ويسكس وساسكس وإسيكس وإيست أنغليا ومِرسيا ونورثَمبريا وكينت. (796-757) سنة 157هجريه، فسك النقود ونقش عليها كلمة التوحيد وشعار الإسلام وذلك لما وجد في الاسلام من خير وعدالة فأحبه وأتبع النور الذي جاء به (256) . وآخرون اخذوا من المسلمين الثقافة والحضارة والعلوم المادية الدنيوية والثقافية الفكرية فتحرروا وانعتقوا من عبوديتهم لمعتقداتهم الجاهلة التي حبستهم عن التفكر والتدبر.

ويذكر لنا التاريخ كيف كانت الناس والأمم تعيش قبل نور الإسلام. يذكر لنا القاضي والسفير والجغرافي أحمد ابن فضلان ابن العباس, في وصفه لتجار الروس في القرن العاشر الميلادي الذي كان يعيش فيه في رحلته إلى بلاد الروس والصقالبة والخزر في مهمة سياسية وتوعوية بين الجانبين العبّاسي والروسي حينذاك. وذلك حينما كتب ملك الصقالبة في ذلك العام إلى الخليفة العباسي المقتدر بأمر الله سنة (309هـ/921م)، يسأله فيه البعثة إليه ممن يفقّهه في الدين، ويعرّفه شرائع الإسلام، ويبني له مسجدًا وينصب له منبرًا ليقيم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته، ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له. فأرسل الخليفة المقتدر إلى ملك الصقالبة وفدًا يتكوّن من أربعة رجال أساسيين وبضعة مرافقين من الفقهاء والمعلمين والغلمان ومنهم ابن فضلا. يقول ابن فضلان منتقدا واصفا التجّار الروس الذين رآهم لقلة نظافتهم، وعدم اعتنائهم بالاغتسال، قائلًا: "ولا بدّ لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون وأطفسه، وذلك أنّ الجارية توافي كلّ يوم بالغداة ومعها قصعة كبيرة فيها ماء فتدفعها إلى مولاها فيغسل فيها يديه ووجهه وشعر رأسه فيغسله ويسرّحه بالمشط في القصعة، ثم يمتخط ويبصق فيها ولا يدع شيئًا من القذر إلا فعله في ذلك الماء فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي إلى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه.

كما وصف حال اجتماعهم في بيوت تُبنى من الخشب كان يجتمع فيها العشرة والعشرون والأقل والأكثر ومعهم الجواري للبيع، وكل منهم سرير، لا حياء بينهم، كما وصف احترامهم للصور الخشبية التي اتخذوها معبودات لهم، وتقديمهم الهدايا والقرابين لها لتيسير تجارتهم وبيعهم، يقول: "ساعة توافي سفنهم إلى هذا المرسى -بنهر الفولجا- يخرج كلّ واحد منهم ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ حتى يُوافي خشبة طويلة منصوبة لها وجه يشبه وجه الإنسان، وحولها صور صغار، وخلف تلك الصور خشب طوال قد نُصبت في الأرض فيوافي إلى الصورة الكبيرة ويسجد لها ثم يقول لها: يا رب قد جئتُ من بلد بعيد ومعي من الجواري كذا وكذا رأسًا، ومن السمّور كذا وكذا جلدًا، حتى يذكر جميع ما قدم معه من تجارته. ثم يقول: وجئتُك بهذه الهدية، ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة ويقول: أريد أن ترزقني تاجرًا معه دنانير ودراهم كثيرة فيشتري مني كلّ ما أريد ولا يخالفني فيما أقول"، ثم ينصرف. وقد أسهب ابن فضلان في وصف مراسيم حرق الموتى وما يُترك من مؤنة ومتاع مع الميت، وإذا مات أحد رؤسائهم أحرقوه مع من يرغب من عبيده رجالًا ونساءً وأكثر ما يفعل ذلك الجواري، ويصف مشهد سفينة أحرق عليها ميت مع الأضاحي حوله وطريقة قتل من يرغب أن يحرق معه بالخنق والطعن، وكانت العادة أن يشعل النار أقرب الناس إلى الميت، ويعتقد الروس أن أرواح أعدائهم الموتى تلاحقهم إلى العالم الآخر؛ ولذا فإنهم يقتلون أنفسهم حين يحسّون بخطر تعرضهم للأسر. (257) (محمد شعبان أيوب من مقال له في رؤية عربية لروسيا من القرن العاشر).

يقول المستشرق الألماني "سان سيمون" في كتبه "علم الإنسان": "إن الدارس لبنيات الحضارات الإنسانية المختلفة، لا يمكنه أن يتنكر للدور الحضاري الخلاق الذي لعبه العرب والمسلمون في بناء النهضة العلمية لأوروبا الحديثة". أما "شبرل" عميد كليه الحقوق بجامعة "فيينا" آنذاك، فقال في مؤتمر الحقوق سنة 1927: "إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد (صلى الله عليه وسلم) إليها، إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنًا، أن يأتي بتشريع، سنكون نحن -الأوروبيين- أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفَي سنة."

إن ما أخذته الحضارة الأوروبية من علوم وثقافة عن المسلمين كان له الأثر الكبير في تقدم الغرب الذي كان أشبه بـ (صحراء قاحلة)، لم ينبت فيها أي شيء، يغطيها ظلام دامس شديد، وتغلفها أفكار الكنيسة المثبطة التي لا تتماشى والعلم؛ خوفًا على مقامها ومركزها في المجتمع الذي أغرته طويلًا بخرافات وترهات ما أنزل الله بها من سلطان، في الوقت الذي كانت فيه الحضارة الإسلامية تشق طريقها، وتنشر علومها وثقافتها في الأصقاع انطلاقًا من مبادئها القرآنية السامية وآدابها الحميدة. (عبد الغني الدغوغي, الدور العظيم للمسلمين في بناء الحضارة الأوروبية, شبكة الجزيرة) (258) .

إن هذا النور الحضاري الذي أشرق به العالم واستنارت به من الحضارة العربية الإسلامية، يجب ان يأخذ دوره من جديد ويصحى من غفلته وما أصابه من أمرض هذا العصر، فالعالم الان بحاجة الى ذلك النور، لينير الظلمات التي حطت به واغرقته في ظلمات تلك النظريات الفارغة الني تسعى الى تفريغ الإنسان من إنسانيته وتحوله الى أداة انتاج مادية ليملئ خزائنها بالمال، وفارغ من أي خلق انساني.

إن العالم بحاجه الى الصحوة الإسلامية والنهضة من جديد لتخليص مما يحاك به.

فأول عوامل هذه الصحوة والنهضة هو أن ننظف بيتنا الإسلامي مما أصابه من عفن نتيجة الإهمال والغفلة التي كنا بها. والتي سببت في أن يصاب كثير من شبابنا من عدوى هذا العصر والتي جعلتهم يفقدون هويتهم وترتبك عقولهم، فتقهقره نفوسهم وهوة ووقعت في دهاليز الهوس والتخبط الغربي، معتقدين أنه هو الحضارة والفكر والرقي، فساروا لاهثين وراء سراب الحضاره الغربيه المتعثره في ذيولها , لإنهم قد فرغوا وأفرغوا من المحتوى الفكري الحضاري الاسلامي والعربي , فهؤلاء اصبحوا مرض معدي ومخيف يجب علاجه والتخلص منه حتى وإن ارتسموا بشهادة علميه او مناصب إداريه او مراكز اجتماعيه , فلإنسان المهزوم لا يصنع حضاره . إن مصانع حضارة الرقي والتقدم يصنعها الانسان القوي بمبدئه ودينه ومعتقده ,فهو ذو عزم وإراده , مؤمن بنفسه وبفكره ومعتقده ايمانا حقيقيا . أما الانسان الحالم العاجز المهزوم داخليا ,فهو ينظر الى بناء الاخرين بتعجب , ويرى في نفسه خوار وضعف وعجز , فهذا الإنسان لا يمكن أن يبني شيئا بل كل حلمه ان يسكن فيما يبنيه له الاخرين , او أن يسكن بجوارهم او أن يتمتع في مشاهدة عظائم اعمالهم والتغني بها . أن اول من ناقش هذه العله في هذه الفئه المهزمه فكريا هو المفكر العربي المعاصر مالك أبن نبي , فقد درس هذا المفكر المبدع الجليل هذا الداء وناقش طرق دوائه في مقالات وكتب كتبها ارجو الرجوع اليها , لقد عاش وتوفى رحمه الله من 1905 - 1972 .

إننا عندما نعرض هذه الامراض والمشكلات ونبين اسباب التخلف والتخبط , إنما نرجو أن تصحى الامه الاسلاميه لتقوم في دورها الذي كلفها الله به لإعمار الارض والنهوض بالانسان والرقي به الى الإنسانية المثلى التي اراد الله أن يعيش بها الإنسان على الارض التي استورثها .

إن التخلف العقائدي والأخلاقي في العالم وما نتج عنه من سلبيات في تطبيقات العلوم الحياتيه والصناعيه الحربيه والمدنيه التي وجهة في كثير من الاحيان لإستعباد البشريه بدل من تحرير ورفاهية الإنسان. كل ذلك نتج لإن المسلمين ابتعدوا عن الدين وحجبوا عن الناس نور الهدى , وتقاعسوا عن العمل في مجالات الحياة كلها العلميه والعمليه والإجتماعيه والفكريه , ولقد ألمني وأعجبني في نفس الوقت ما أقر به أحد العلماء الباحثين الغربيين وهو يتحدث عن التطور العلمي السريع في عالمنا الحاضر وعن المبتكرات والاكتشافات العديده , وذكر ان كل اصول هذه العلوم جاء من العرب والمسلمين , ثم عرج يتسائل لماذا اختف نجم العرب فجأة , وقال متحسرا لقد خسر العالم كثيرا عندما ابتعد المسلمين عن العلم والبحث العلمي , ولو انهم شاركوا في هذه النهضه العلميه لتسارعة هذه النهضه العلميه اضعاف مضاعف . وأنا اقول لو أنهم نهضوا من جديد لأخذوا بيد العالم والعلم والعلماء الى خير البشريه في جميع مجالاتها ولوجدوا الحلول لكل اشكالات ومعظلات وامراض العالم في عصرنا هذا. وأنقذوه من مما يحاك به. وصححوا المسير وللوصول الى الآمد الآقصى في الحضاره الإنسانيه.

(والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون) . صدق الله العظيم .

**المراجع**

1- سورة الانبياء الايه 35

2- سورة الاعراف الاية 172

3- سورة الشمس الايه 7

4- سورة الإسراء الايه 70

5- سورة الاحزاب الايه 72

6- سورة ال عمران الايه 19

7- سورة الحج الايه 78

8- سورة نوح الايه 19

9- سورة الملك الايه 15

10- سورة البقره الايه 31

11- الدرر السنيه من موقع علوي بن عبد القادر السقاف

12- ابو منصور محمد ابن احمد الازهري , معجم تهذيب اللغه تحقيق رياض زكي قاسم من دراسته محمود درويش من مفهوم النفس الانسانيه في الفكر التربوي الحديث .

13- فرج عبد القادر طه موسوعة علم النفس والتليل النفسي طبعه الثالثه (د.ن) القاهره 205صفحه 8520 من دراسة النفس البشريه ل محمود درويش .

14- أندريه لالاند موسوعه لالاند الفلسفيه طبعه الثانيه تعريب احمد خليل , منشورات عويدات , بيروت صفحه 810 دراسه فكريه محمود درويش .

15- رالف ن وين , قاموس جون ديوي للتربيه ترجمة وتقديم محمد علي العريان مكتبة اىنجلو المصريه القاهره 1964 صفحه 2170 دراسه فلسفه محمود درويش .

16- محمد عثمان نجاتي الادراك الحسي عند ابن سيناء دار المعارف القاهره 1961 صفحه 430 .

17- مراتب النفس وفضل مجاهدتها ابن تيميه .

18- سورة الانفال الايه 17

.

19- سورة الانسان الايه 30 .

20- سورة الاعراف 88.

21- معجم السنه النبويه , في مكارم الاخلاق , حديث ابي ذر :رواه الترمذي وأحمد والدارمي, حديث حسن .

22- مراتب النفس وفضل مجهدتها ابن تيميه اسلام ويب اطلع عليه بتاريخ 7-7-2019.

23- الدكتور فيصل غازي محمد (23\12/2012) الفرق بين النفس والروح , كلية العلوم جامعة بغداد.

24- الامد الاقصى للقاضي الدبوسي

25- رواه فضالة بن عبيد، في تخريج صحيح ابن حبان، عن شعيب الأرناؤوط، الصفحة أو الرقم: 4862، إسناده صحيح, وله شاهد صحيح من حديث أنس .

26- عن ابي هريره متفق عليه .

27- سورة الروم الايه 30 .

28- تفسير الطبري ,لسورى الاحزاب الايه 72 .

29- سورة الرحمن الايه 1-4 .

30- سورة النحل الايه89.

31- المائده الايه 3 .

32- سورة الروم الايه 30

33- تفسير الطبري لقوله فطرة الناس التي الله التي فطر الناس عليها .

34- سورة الانعام الايات من 75-79.

35- سورة الاعلى الايات من 1-5.

36- سورة الاسراء الايه 44.

2015 **FASEB Journal 29;876 37-**   
38- مدارك السالكين للشيخ ابن القيم الجوزي

39- سزرة المعارج الايات 22-23

40- تفسير السعدي لسورة العاديات

41- سورة الانبياء الايه 37

42- سورة الاسراء الايه 11

43- سورة التين

44- سورة الاعراف الايه 72

45- سورة الاعراف 17

46- سورة فصلت الايه 42

47- سورة الاسراء الايه 15

48- سورة فاطر الايه 42

49- سورة الفجر الايه 27

50- سورة الاحزاب الايات 45-48

51- صحيح البخاري

52- الامد الاقصى للدبوسي

53- سورة السجده الايات 6-10

54- سورة النور الايات 35-38

55- سورة العنكبوت49

56- تفسير الطبري لأية 49 العنكبوت

57- سورة البقره 152

58- سورة العنكبوت الايه 64

59- سورة الفرقان الاية44

60- سورة الانعام الايه 122

61- سورة الذريات الاية 56- 59

62- سورة الحج الايه40

63- سورة النور الاية 39

64- سورة غافر الايه 29

65- سورة هود الايات 97-98

66- سورة الانعام الايات 75-79

67- سورة النور الايه 40

68- سورة الاسراء الايات 94-95

69- سورة المؤمنون الايه 23

70- سورة المؤمنون الايات 31 38

71- سورة المؤمنون الاية 45-47

72- سورة الفرقان الاية 21

73- سورة الزخرف الايه 31

74- سورة البقره الايات 146

75- سورة الفقره الايه 89

76 - سورة البقره الايه 109

77- سورة ص الايات 4-7

78- سورة الانبياء الايه 25

79- سورة الانبياء الايات 57-70

80- سورة العمران الايه 102

81- سورة يوسف الايات 101

82- الرسائل الايمانيه للشيخ عصام الحساوي

83- سورة المؤمنون الايه 33

84- سورة المؤمنون الايه 81-90

85- كتاب موسوعة الملل والاديان \_ الدرر السنيه , الباب الثاني , اليهود وما تفرع عنها , المبحث الثالث : اليوم الاخر لدى اليهود الصفحه 145

86- سورة البقره الايه 89

87- سورة البقره الايه17

88- سورة النمل الايه 80

89- سورة المائده الاية 3

90- أيونيا و الفلسفه اليونانيه تأليف أز> عبد الجليل كاظم الوالي لبطبعه الاولى 2009

91- فلسفة -اللامتناهي , انكسماندريس 611 - 547 ق.م : فلاسفة ما قبل سقراط

92- سورة المرسلات الايه 25-26

93- كتاب نهاية نطرية التظور للعالم مايكل بيهي

THE EDGE OF THE EVALUTION FOR MICHIAL BEHE

94- سورة البقره الاية 89

95- سورة المائده الايه 83

96- سورة البقره 164

97- سورة البقره الاية 31

98- مقالة الدكتور محمود شلتوت جول ذكرى مولد النبي (ص) مجلة الهدي النبوي العدد الثالث لسنة 1362 هجريه ,في اصلاحه لنواحي المجتمع.

99- سورة سبأ الايه 46

100- سورة الزمر الايه 18

101- تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا 9/524 .

102- سورة الرعد الايه 41

103- سورة لقمان الاية 11

104- سورة الحج الاية 71-72

105- رسائل الكندي الفلسفيه , يعقوب ابن اسحاق الكندي

106- النسبه الدهبيه ..نتاغم الطبيعه وشر متتالية فيبوناشتي , يوسف الدجاني 7/24/2018

107- مقدمة ابن خلدون الجزء الاول الصفحه 460

108- عما انوئيل كانط , قراءه في نقد العقل الخالص

109- سورة النمل الاية 14

110- حدود العقل والتفكير . متى يجب ان يتوقف التفكير , محمد خليفه عثمان 19/20/2019 في مقال له في الجزيره نت .

111- سورة ق الايات 36-37

112- سورة الزمر الاية 8

113- سورة يونس الايه 12

114- سورة النحل الاية54

115- سورة الزمر الاية 23

116- سورة الاعراف الاية 7-16

117- سورة الاعراف الاية 22

118- سورة طه الايه 120

119- سورة طه الايه 121

120- سورة الحجر الاية 39

121- سورة الاعراف الاية 12

122- سورة الكهف الاية 7

123- سورة الاعراف 16

124- سورة الاعراف الاية 22

125- سورة النساء 120

126- سورة الانعام 112

127- سورة لقمان الاية 33

128- سورة غافر الاية 56

129- سورة غافر الاية 57

130- سورة فصلت الايات 36-37

131- سورة فصلت الاية 38

132- سورة الاعراف 146

133- رياض الصالحين عن ابي هريره (رض) رواه مسلم

134- رياض الصالحين حديث ابن مسعود (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم , رواه مسلم

135- سورة الاعراف 40

136- سورة نوح الايه 5

137- سورة الحجرات الاية13

138- سورة الزخرف الايه32

139- سورة الا نبياء الاية 35

140- سورة القصص الاية 81

141- سورة الكهف الايات 32-46

142- سورة التوبه الايه 126

143- سورة الرعد الاية 31

144- سورة الحج الاية 70=73

145- سورة الحج الاية 46

146- سورة فاطر الاية 28

147- سورة البقره الاية 17

148- سورة البقره الاية 74

149- سورة الانبياء الاية 25

150- سزرة النحل الاية 36

151- سورة النجم الايات 36- 58

152- سورة سبأ الاية 46

153- سورة العنكبوت الايه 51

154- سورة المائد الاية 3

155- سورة لقمان الاية 11

156- سورة الغاشيه الايه 17

157- سورة الانبياء الاية 44

158- سورة الذريات الايات 47-51

159- سورة العلق الايات 1-4

160- سورة الشعراء الايى 74

161- قصة خضوع المغلوب الاوربي لتأثير الغالب الاندلسي ل محمد واحمان

162-كتاب " تكوين العقل الحديث" ل المفكر راند

163- ويكبيديا الموسوعه الجره : التأثير الاسلامي على اوربا خلال العصور الوسطى

164- سورة الجاثيه الاية 13

165- كتاب موسوعه اليهود واليهوديه والصهيونيه , عبد الوهاب المسيري الجزء 8 صفحه 165

166- احمد ابو شهاب ,الفيس بوك 4/19/2015 , من احمد ابوجوده

167- سورة الانعام الايه 38

168- سورة الحج الايه 46

169- سورة فصلت الايه 30

170- موسوعة السبيل , عراني عبد الحي عرافي 5/01/2018

171- االإنسان في ثقافة ما بعد الحداثه ,الاستاذ الكتور علي اسعد وطفه

172- سورة الملك الاية 22

173- نيتشه وجذور ما بعد الحداثه الصفحه 145 , السبيل

174- النزعه العدميه وصلتها بالإباحيه الصفحه 1 , موسوعة السبيل , عراني عبد الحي عرابي رقم التسلسل 11.

175- نيتشه وجذور ما بعد الحداثه , ,اساتذة اليأس الصفحه 64-51

176- النبويه فلسفة موت الإنسان , روجيه غارودي الصفحه 12-14

177- علم ما بعد الحداثه د. ابراهيم الحيدري

178- الشعور / الاشعور , المعجم الفلسفي , جميل صليبا

179- خمسون مفكرا أساسيا معاصرا 57 , ل فرويد

180- فرويد بين الحداثه وما بعد الحداثه 1-2, للدكتور ابراهيم الحيدري

181- اثر نظرية فرويد على السرياليه (سلفادور دالي أنموذجا ) للدكتوره فاطمه عمران راجي الصفحه 115

182- سورة المائده الايه 5

183- العقل المسلم وتحديات ما بعد الحداثا : د. مسفر بن علي القحطاني

184- موسوعة اليهود والصهيونيه واليهوديه , الجزء الاول الصفحه 294-295

185- ما بعد الحداثه وموت الانسان , د. الطيب بو عزة

186- رياض الصلحين رواه مسلم

187- موسوعة السبيل , ما بعد الحداثه عرابي عبد الحميد عرابي , ما بعد البنيويه الصفحف49 كلود ليفي ستروس

188- إدغار موران : الازمه التي نشهدها معرفيه ونعيش في عصر تبلغ فيه القوة المطلقه والعجز البشري ذروتهما ,جريد لوماند الفرنسيه.

189- العقل المحكم للفليسوف ادغار كوران , إعادة التفكير في الاصلاح وإصلاح التفكر , نرجمة المنصف وناس

190 - افرام نعوم تشومسكي 1928 - ....., غازي الصوراني 20/04/2021

191- سورة الانبياء الاية 16-17

192- سورة ص الاية 27

193- سورة ال عمران الاية 103

194- سورة الجد الاية 78

195- سورة البقره الاية 124

196- سورة ال عمران الاية 80

197- سورة البقره الاية 131

198- سورة البقره الاية 132

199- سورة يوسف الاية 101

200- سورة المائده الاية 111

201- سورة ال عمران الاية 102

202 - رواه البحاري ومسلم

203- سورة العنكبوت الاية 50-51

204- سورة الحجر الاية 9

205- القرأن الكريم والانجيل والعلم , طراسة الكتب المقدسه في ضوء المعارف الحديثه . د. موريس بوكاي

206- سورة الانعام الاية 13

207- سزرة البقره الاية 255

208- سورة الاسراء الاية88

209- د. محمد الكالبي : ليطمئن قلبي

210- سورة القمر الاية 17

211- سورة فثلت الاية 44

212- سورة يوسف الاية 111

213- سورة البقره الايه 256

214- الاخلاق الاسلاميه ونسق الائتمانيه , عثمان امكور , الجزيره نت بتاريخ 2/2/2021

215- سورة فصلت الاية 37

216- سورة يس الاية 37

217- سورة الاحزار الاية 7

218- سورة ال عمران للاية 64

219- سورة المائده الاية 48

220- سورة الانعام الاية 112

221- سورة التين

222- سورة النحل الاية 76

223- "الله ليس كذلك " للمفكر زيغرد هونكه , الصفحه 102

224-" حكم النبي" ل تولستي 1908

225- "الدعوه الى الاسلام " ل السير تماس الصفحه 126

226- "الاسلام والعرب " ل روم لاندو الصفحه 172

227- " الله ليس كذلك " ل زيغريد هونكن الصفحه 34

228- " سيرة النبي محمد (ص) " ل المؤرخ كارين أرمستنج الصفحه 360

229- سورة النحل الاية 125

230- سورة الكافرون

231 - سورة البقره 256

232- "الاسلام في مفترق الطرق " للمستشرق البريطاني دي لاس أوليري الصفحه 8

233- المستشؤق البريطاني اندرسون

234- "الدعوه الى الاسلام "ل توماس ارنولد الصفحه36

235- سورة الاعراف الاية 165

236- سورة العصر

237- صحيح البخاري عن ام المؤمنيين عائشه رضي الله عنها وارضها الصفحف 3475

238- سورة الانعام اليات 151-153

239- سورة الرعد الايه 17

240- سورة العنكبوة الاية 3

241- سورة البقره الاية 214

242- سورة الرعد الاية 11

243- سورة الزلزله

244- "هل للإنسان مستقبل " ل برتال راسل

245- "فاوس" غوته 1848-1932

246- وليم جيمس "معنى الحقيقه"

247- مجلة المعرفه , نت , مقال عن الفليسوف وعلم النفس وليام جيمس

248- الاشكال الرمزيه ل ارنست كاسيرر,في سؤاله "ما الإنسان"

249- سورة الرعد في الايه 31

250- سورة المائده من الاية 48

251- سورة العنكبوت الاية 56

252- سورة النساء الاية 97

253- السنه النبويه رؤيه تربيويه

254- سورة الرعد الاية 17

255- سورة الحج الاية

256- مصطفى الكناني: عصر أوفا ملك إنجلترا ص 62

257- محمد شعبان أيوب من مقال له في رؤية عربية لروسيا في القرن العاشر.

258 – عبد الغني الدغوغي "الدور العظيم للمسلمين في بناء الحضارة الأوربية، شبكة الجزيرة.

(259 - كلود ليفي ستراوس: مداريات حزينة، ترجمة محمد صبح، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق، الطبعة الأولى، 2003، ص.360)

الفهرست

مقدمه" الانسان" 2: -

4: - الإنسان

5: - فألهم النفس البشرية فجورها وتقواها

8: -النفس

11: - الروح

12: -الصراع بين الجسد والروح

فتيلة القلب" الفطرة "16: -

21: -كيف تتكون وترسم الشخصية الإنسانية

22: - من المؤثرات الاخرى على سلوك الإنسان من الطعام والشراب

24: - ما هي العوامل المؤثرات في التفاعل الفطري مع المحيط لتكوين الإنسان، وإنسانيته الحضارية

25: -تعريف الانسان

26: - الفطرة

37: - موت القلوب

40: - شواهد وبينات المعرفة الفطرية للأقوام السابقة من القرءان الكريم

42: - وحدانية الله واليوم الاخر عند غير المسلمين

43: - البحث عن الاله لمخاطبته

46: -طهارة القلب تستوجب الطاعة

49: -الايمان باليوم الاخر

51: -الدلائل والشواهد من كتب التاريخ تدلل على ان الإنسان عنده علم فطري بربه

54: - معرفة الخالق من التفكر والتدبر في خلقه

59: - العلوم الخاوية من المعارف الإنسانية من نور البصيرة والإحساس الفطري لإدراك المعرفة الحقيقية للأشياء

59: - الفكر

60: - ذكر العقل في القرءان

63: -التوصل الى وحدانية الله من العقل والتفكر

72: - وجوب انضباط العقل بنور البصيرة

74: - القلب

- 78: - الدلائل والشواهد الذاتية للتعرف على الفطرة السليمة

الاستكبار، وفتنة “انا خير منه "81: -

فدلهما بغرور " أفة الغرور"82: -

84: - الغرور والكبرياء الغريزي

87: - التكبر هو سبب هلاك البشرية

87: - صراع الحضارات

95: - تطور الفكر الانساني

99: - القرءان الكريم كتاب الله ورسلته الى البشرية

99: - الدلالات الإعجازية والمنطقية من القرءان على أنه كتاب من عند الله وأنه أخر رسالات الله الى الإنسان على هذه الأرض

112: - البداية الحقيقية لمرحلة الحداثة والانطلاق الفكري والتوعوي في عالم الإنسان البشري

113: - متاهات الحداثة في عالم الغرب

113: - عصر الحداثة في العالم

119: - عصر الحداثة في أوروبا

126: - تحبط نظريات علماء ما بعد الحداثة

134: - عالم ما بعد الحداثة

140: - علم نفس ما بعد الحداثة

140: - فرويد ومبدأ التحليل النفسي

143: - الوجودية

147: -التفكيكية

151: - اثار تيارات مع بعد الحداثة

153: - الوجود (الأنطولوجيا)

163: - صراع الحضارات ومسبباتها الحقيقية

168: - الإسلام وعصر ما بعد الحداثة - 168

171: - العصر الإسلامي عصر النضوج الفكري

177: - نظرية الدكتور طه عبد الرحمن "الانتمائية"

190: - سبل التلاقي الحضاري

205: - مصير البشرية إذا ما تهاونت او تخلت عما كلفت به

206: - اٌسلام فوبيا (التخوف من الإسلام)

210: - أسس ومقومات الحضارة الإسلام

215: - ما هي معايير قياس الصحيح من الخطأ والحسن من السيئ والجميل والقبيح

220: - محاربة الأديان

225: - أسلوب الخديعة والمكر في مواجهة الدين والفكر الإسلامي

228: - حال الإسلام والمسلمين في عصرنا الحاضر